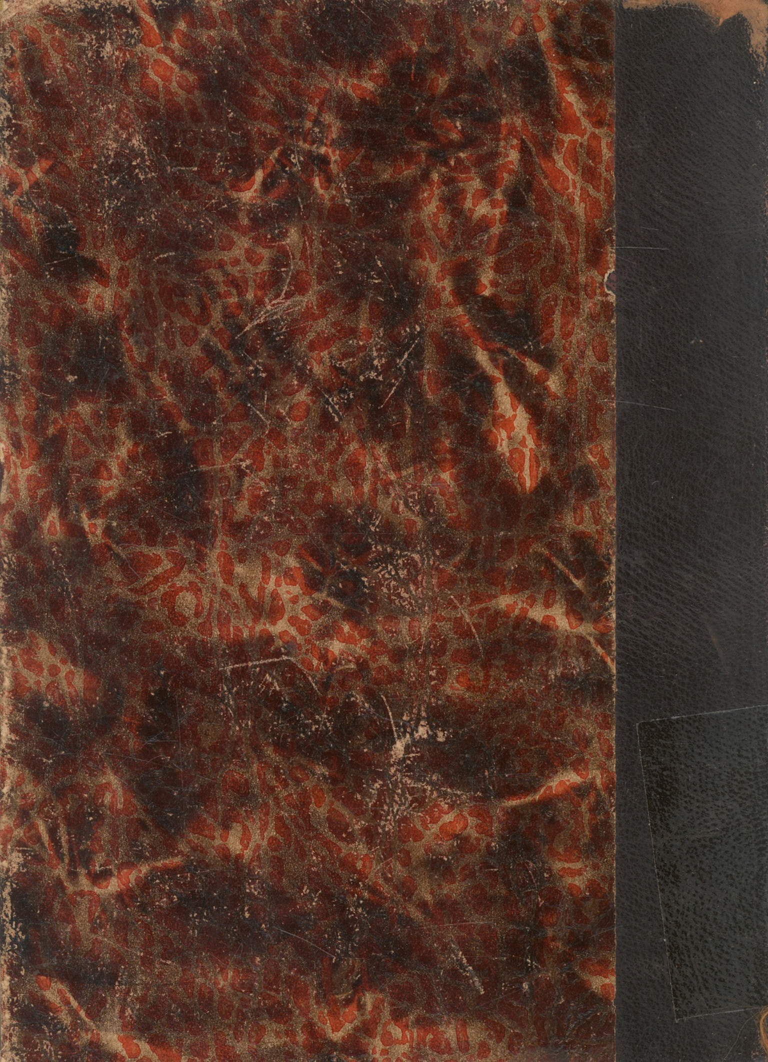


مطبوعات المطبعة العصرية بمصر *

ص

١٠٠ القاموس العصري عربي وانكليزي تأليف الياس انطون الياس

٧٠ » » انكليزي وعربي » » » »

٥٠ » المدرسي » وبالعكس » » » »

٢٥ قاموس الجيب عربي وانكليزي » » » »

٢٠ » » انكليزي وعربي » » » »

٣٥ » » » » » وبالعكس » » » »

١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية » » » »

١٢ الهدية السنية » » » والعربية » » » »

١٠٠ قاموس عربي وانكليزي (باللفظ) تأليف سقراط سبيرو

١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة مصورة) ترجمة توفيق عبد الله

١٠ رواية تاييس مصورة (لاناتول فرانس) ترجمة احمد الصاوي محمد

٦ » الزنبقة الحمراء » (» ») » » » »

١٨ » » » » (ورق ممتاز) » » » »

---

* تطلب هذه الكتب من كل المكاتب في مصر والسودان وفلسطين وسوريا والعراق ، او منا رأساً بالعنوان الآتي : —

الياس انطون الياس — صاحب المطبعة العصرية — بالفجالة (صندوق البريد رقم ٩٥٤)

١٠ رسائل غرام جديدة (مزين بصور) تأليف سليم عبد الاحد
١٠ الغربال ، بقلم مخائيل نعيمة عضو الرابطة القلمية بأمريكا
٢٥ علم الاجتماع (الجزء الاول في حياة الهيئة الاجتماعية) نقولا حداد
٢٥ « « (الجزء الثاني في تطور الهيئة الاجتماعية) « «
١٥ الحب والزواج فلسفةً وسنة « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٢٠ ملتقى السبيل (في مذهب النشوء والارتقاء) اسماعيل مظهر
١٠ حصاد الهشيم (مصور) للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني
١٠ مختارات سلامه موسى (تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير)
١٠ نظرية التطور وأصل الانسان تأليف الاستاذ سلامه موسى
١٥ في أوقات الفراغ تأليف الدكتور محمد بك حسين هيكل
١٠ عشرة أيام في السودان « « « « « «
١٢ مراجعات، في الأدب والفنون، تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد
١٥ الدنيا في اميركا (به نحو ٤٠ صورة بديعة) للاستاذ امير بقطر
٢٠ أناتول فرانس في مباذله لصاحب العطوفة الامير
٢٥ « « « (ورق مخصوص) شكيب ارسلان
٣ كتاب الحقوق الوطنية كتاب مدرسي لفرنسيس مخائيل
٢٠ روح الاشتراكية تأليف غوستاف لوبون وترجمة محمد عادل زعيتر
١٠ الاراء والمعتقدات « « « « « «
١٠ فاتنة المهدي، أو استعادة السودان (نشرت تباعًا في الاهرام)

٨	رواية الانتقام العذب	ترجمة الاستاذ اسعد خليل داغر
٢٠	رواية باردليان(٣ اجزاء متوسطة الحجم)	ترجمة طانيوس عبده
٢٠	رواية الاميرة فوستا (جزآن كبيران)	» » » »
١٦	» كابيتان	» » » » »
١٦	» الساحر العظيم	» » » » »
١٠	» فارس الملك	» » »
١٥	» فلمبرج	» » » » »
٥	» روكامبول	» » »
١٠	التربية الاجتماعية	تأليف علي فكري
١٠	مسارح الأذهان(٣٥ قصة كبيرة مصورة)	تأليف خليل بيدس
١٠	الحضارة المصرية القديمة (لغوستاف لوبون)	ترجمة صادق رستم
٨	مقدمة الحضارات الاولى	» » » » »
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات (مصور) ،	تألف الدكتور فخري
٣٠	الأمراض التناسلية وعلاجها وطرق الوقاية منها	» » »
٨	التعليم والصحة	تأليف الدكتور محمد بك عبد الحميد
٥	مركز المرأة	تعريب الاستاذ سليم العقاد
١٠	المرأة الحديثة	تأليف الاستاذ عبد الله حسين
٣	بول دى سويف الفاجرة	
٥	خواطر حمار (مصور للاولاد والرجال)	ترجمة حسين الجمل



بقلم

عبد الله حسين

الخريج في الحقوق والعلوم السياسية

وبه فصول عن المرأة الانجليزية للمسيو جلليكان

عني بنشره

الياس انطون الياس

صاحب

المطبعة العصرية

لصاحبها الياس انطون الياس

تليفون ٥٦٠-٢٠ مصر

(بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يتسع الحديث عن المرأة فى عصر من العصور مثل ما هو مبسوط فى هذا العصر . ففى كل مكان تجد المرأة شخصاً ، وموضوعاً ، وعاطفة وهدفاً ، وفكرة ، وحقيقة ، وخيالا ، وقد شغلت الصحف اليومية والسياسية والمجلات والكتب بفصول متنوعة عن المرأة . المرأة بضاعة الأدب ومتبارى أقلام الادباء . فلقد ترى صحفاً وجمعيات وشركات تعقد مباريات فى ناحية من حياة المرأة بأن تطلب من الكتاب أن يجيدوا الكتابة فى ما هى المرأة الجميلة ، أو لماذا يحق للنساء أن يشتركن بأصواتهن فى الانتخابات البلدية والسياسية ، أو ما سيكون مستقبل المرأة فى عام ٢٠٠٠ من التاريخ الميلادى ، أو هل الافضل للمجتمع البشرى أن تساهم المرأة الرجل فى أعماله المدنية أم أن تكون محافظة على التقاليد التاريخية أو الطبيعية لوظيفة المرأة . إلى كثير من هذه الموضوعات تتناحى الاقلام وفيها تنشق فنون الكلام .

وان من الحق أن يعنى الرجل بالحديث عن المرأة بعد إذ كسبت من حقوق الرجل حقوقاً ، واقتطعت من حريته حرية ، وحدت من سيادته على نفسه وعلى نفسها . وآراء الناس شعب فى مسألة المرأة . إنما وجهة عامتهم تحصيل الخير . ولذلك كان عند الكثيرين هذا الخير فى أبسط أشكال الحياة . وهى الحياة التى لبثت فيها المرأة بجانب الرجل كالمساعد والشريك التابع . على أنه يجب أن يعلم بأن الرجل مضطر لقبول الحالات الجديدة التى طرأت على مقام المرأة منه وفى مملكته .

ومن البحوث فى المرأة بحثها طبياً هل هى — طبيعة — أقل مقدرة من الرجل بحيث تبقى للرجل السيادة حتما بعامل تفضيل الطبيعة نفسها . وقد ظهر أحدث رأى طبى فى المرأة وفيه أن لا فرق بين الرجل عقلا والمرأة عقلا . وأن ضعف المرأة ، حتى الطبيعى المشاهد أو الطبيعى الخفى الدقيق ، يجب أن ينسب الى الحياة التاريخية التى فيها عاشت المرأة وهو عبوديتها للرجل ، وجناية الرجل عليها بالاستيلاء على مالها وحبس عقلها . ومثلها فى ذلك مع الرجل مثل المستعمر الجبار العاقل يمنع المستعبدين له من التعلم واليقظة ، مع انه لو اتيح لهم أن يتعلموا لربما كانوا ، فى عاجل ، أسياداً لأسياد اليوم وظفراء الساعة .

⁂

الرجل يحب المرأة والمرأة تخشى الرجل . من ذلك كان حب

المرأة للرجل مختلف عن حب الرجل للمرأة . الرجل ، من قديم ، يرى فى المرأة محلا لأغراضه فى الخير والشر . وهو بعاطفته الجنسية وبميله الى الانتفاع من انسان آخر — سمّه إن شئت مساعداً أو شريكا فى الحياة أو فى الخدمة أو فى النسل — يتكيف حبه للمرأة فيصبح حبه خياليًا ، وشهوانيًا ، ونفعيًا .

أما حب المرأة فهو رجاء المغلوب من الغالب ، وأمنية الضعيف عند القوى ، منتهى أمله أن يأمن شره ، وان يتركه يعيش وينتفع فى هذا العالم الواسع الفضاء الفسيح الأرجاء . ولذلك كان حب المرأة مشوبًا بالخوف والحذر والتردد . ولذلك إن هى أحبت حقًا فأن حبها ليبلغ أعماق النفس . ويستحيل الى نبضات فى القلب وسائل يمتزج بالدم . والمرأة ، فى حبها الصادق ، تحترق وتتعذب بقدر خوفها المتسلط عليها .

***

يمضى فى أحاديث الادباء والمفكرين تساؤل :لماذا تؤاخذ المرأة بسيئات لا يؤاخذ الرجل بها اذا هو اقترفها ، وقد رأينا المتحدثين لانفسهم يرون غموضًا فى ذلك ، وتخفى حكمته على أفهامهم . إلا اننا نرى أن ذلك اثر تقليدى تاريخى يخيل الينا انه صار كأنه من طبيعة الاشياء . فى الرجل غريزة احتكار المرأة لنفسه . وميل الرجل الى المرأة إلهام طبيعى لأن الطبيعة تريد البقاء والتجدد والحركة والوجود

وفى تلاقح الذكر مع الانثى استيلاد لنسل يعقب . والنسل استمرار للحياة البشرية والحيوانية ، بل والنباتية . الانثى هى موضع ذلك النسل العزيز . والذكر ، بغريزة الاحتكار ، حريص على جعل ذلك النسل من نفسه وحده وغير مشوب بنفس غيره . أما الرجل فليس محلا لاستبضاع النسل . وعلاوة على ذلك فسيئته لا يكون لها أثر أو يكون لها أثر زائل ووقتى . أما المرأة فريبة تعلق بها تسقطها الى حيث قد تلقى ذلا وعاراً ، وتلبس خزيًا وهوانًا . ومما يدل على صحة هـذا الرأى انه لما أضعفت المدنية الحديثة غريزة الاحتكار وانحلت عرى الامانة الزوجية ، وفترت الحمية في بعض البيئات — استتبع الأمر أن المرأة يتسامح فى سيئاتها بقدر واسع لم يحلم به الآباء أو الجدود فى أوروبا نفسها .

***

مما يتكلم فيه الكتّاب ما اذا كانت النهضة النسوية وما صار به الزمن بها من حقوق وحرية ومساواة وسيادة هو من عمل المرأة أو بأرادة الرجل . والحديث فى هذا ذو تفاصيل إنما فيما يتعلق بنا نقول إن هذه النهضة النسوية انما هى نهضة طبيعية أنشأها وقوّاها عوامل طبيعية . فجنس الرجل كان مستعبداً للملوك والظالمين ، وكان جاهلا ، ولم تكن له حرية ولم تعرف له حقوق — فأصبح لأفراد الرجال علم وحرية وحقوق ، ونالوا ذلك كله فى عهد قريب جـداً . ولم يكن

مستطاعاً أن يقضى التطور بهذا كله للرجل نفسه ، ولا يكون للمرأة فيه نصيب مع أن الحيوان الاعجم أصبح له نصيب . وقد شرعت القوانين للكلاب والحيوانات والطيور وللنبات حقوقاً يحرم الاعتداء عليها ! !

وغير هذا فأنى اصرح بأن الفضل الاكبر فى نهضه السيدات وشعورهن بحقوق انما هو للحروب التى استهل بها القرن التاسع عشر بل ان للحرب الكبرى فضلا واسعاً فى سرعة تقدم النهضة وفى تعميمها وشيوعها . وفى العلوم الطبيعية أن الحاجة تخلق العضو . فالحاجة الى عقول النساء وسواعدهن وجهادهن أدخلتهن فى كل الميادين . ولذلك نهضت المرأة التركية نهضة جريئة جداً وسريعة جداً . ولذلك كانت نهضة المرأة المصرية نهضة ضعيفة ، نهضة محاكاة وصناعة ، نهضة مظهرية فى الكلام والازياء . فالمرأة التركية خدمت فى ميادين القتال وكانت تحرر وتشغل الوظائف، تحل محل الرجال الذين قتلوا . أما المرأة المصرية فلم تسعف نهضتها حاجة . وهل لو كانت نهضة المرأة المصرية قوية كانت الى اليوم لا تدخل المدارس العليا . والى اليوم لانرى المصريات الموظفات فى الاعمال الكتابية وسكرتاريات اللجان والمؤتمرات ، والمحاميات ، والشاعرات الخلابات ، والاديبات القديرات ! والى اليوم نسمع جدلا سخيفاً وعنيفاً بين السفور والحجاب وبين أنصار السفور وأنصار الحجاب !

إن النهضة النسوية فى غير مصر لها مظاهر؛ لها وقائع، لها حقائق، ولها آثار. لأنها نهضة حقيقية. لأنها نهضة أوجدتها طبائع الامور ايجاداً، فطأطأ الرجال هامتهم لها؛ ووقفوا لها مصفقين معجبين

***

وضعت كتاب «المرأة الحديثة، وكيف نسوسها» لانني من الذين يتتبعون الحوادث الاجتماعية ويجهدون أن يفسروا غوامضها، وأن يروا فيها سلسلة وقائع حتمية: نتائج من مقدمات، ومقدمات لها نتائج. والمرأة اليوم تشغل — كما قدمت — الحادث الاجتماعي الهام، الذى يتجه اليوم نحو هدم نظام الزواج واقامة نظام جديد للعلاقات بين الرجل والمرأة لم تسفر وجه الايام عنه بعد.

وأنا أعترف فى هـذا الكتاب بأننى مدين بكثير من الفضل ولأبعد الآراء الحديثة فى المرأة وفى غير المرأة الى استاذى الكبير المسيو جالليكان من اشهر علماء الاجتماع الأوروبى. وقد نقلت ما فى هذا الكتاب من الاراء عن المرأة البريطانية منه، ولذلك اذا لوحظت عبارات قد ترى أنها استخفاف بالعادات الشرقية فان ذلك راجع إلى أننى كنت انقل هذه الآراء نقلا أميناً حرصا على صدق المعنى

وقد تكلمنا فى هذا الكتاب عن النزاع بين الجنسين، وأوردنا آراء كبار الفلاسفة قديما وحديثاً فى المرأة أو عينا أسباب سوء التفاهم

بين الجنسين . وعقدنا الفصل الثالث للحب وتأثيره على كل من الرجل والمرأة . ثم أتينا فى الفصل الرابع على تفاصيل العراك الذى يقع بين الزوجين ومسؤولية كل من الرجل والمرأة فيه . ثم تكلمنا عن العراك بين أفراد الاسرة . ويشهد القارىء فى الفصل السادس النزاع القائم فى أوروبا اليوم بين الرجال والنساء فى سبيل الاحتراف والحرف ، وهو نزاع لم تعرفه مصر للآن . ثم فى الفصل السابع النزاع السياسى من أجل الحكم والانتخاب

وقد بحثنا فى الفصل التاسع فى حقيقة الحب ووجوب التفريق بين صنف النساء المصونات ، وصنف النسوة الغانيات الساقطات . وبحثنا فى الفصل العاشر فى صفات الزوجة ، وهو بحث فسرنا فيه بعض المسائل الاجتماعية الغامضة فى الزواج وحب المرأة .

ويرى القارىء فى الفصل الحادى عشر بحثنا فى اختيار الزوجة خطيبها وفى أيهما أفضل أترك الزواج بين الفتيات و بارادتهن أم لارادة أوليائهن مع تفصيل فى وجوه ذلك . ولم نهمل المرأة المصرية فقد تكلمنا عن مطالبها في الفصل الثانى عشر .

وكان ضروريا أن نعالج بحث الامانة الزوجية وكنا قد نشرناه فى بعض الصحف . وفى الفصل الثامن عشر تكلمنا فى العفاف عن الشهوات ، أن الشهوات قد طغى سيلها وجرف بناء الاخلاق القويمة

ويذكر القراء ما قام فى الصحف من حديث حول البغاء بما أثار

نقع الاقلام زمنا . ولعلاقة البغاء بالمرأة الحديثة رأينا أن نقوم بنصيب فى هذا البحث الاجتماعى .

وقد اخذ الفتيات المصريات يحاكين الأوروبيات فى الرقص فلم نر ندحة عن اعطاء كلمة فى الرقص لم نبسط فيها القول والمفاضلة بين رأيين — رأى يقول بالرقص ورأى يحرمه . اذ مثل هـذه الابحاث لا تتعلق بموضوع كتابنا الذي يبحث فى المرأة الحديثة بحسب ما وقع لها وبحسب ما سيقع من شأنها المستقبل .

ونحن لا نتعامى فى بحثنا عن الحقائق والوقائع التى تحدث فى هذا العصر الحديث والتى تتطور تطوراً سريعاً ، لنشرد القلم فى عالم الترهات لنتحدث عن الشر وتأثيمه والخير والحض عليه نظريا .فنقول مثلا السفور حرام لاسباب كذا . والحجاب حلال أو العكس . تاركين حادثا اجتماعيا واقعيا وهو أن النساء سائرات يوما فيوما الى السفور والفجور وكل ما يسميه الناس أو بعضهم إثما سواء فى مصر وحدها أو فى مصر مـع غيرها كما في فرنسا التي بها الآن حركة رجعية ضد المرأة

وقد أردنا ببحثنا أن نعلم كيف يجب أن يسوس الرجل المرأة الحديثة بعد ما تطورت هذا التطور بخيره وشره ؛ فضائله ورذائله .

***

ولقد كتبنا اكثر فصول هذا الكتاب منذ اكثر من عام

ولدواع وأعمال عده لم نستطع اظهاره فى ثوب أوسع ولغة أصح ولم نستطع أن نفصل فيه ذلك البحث الهام «حق المرأة فى الانتخاب» لانا رأينا أن انتظاراً آخر سيكون من شأنه صرف النظر عن النشر لأن التطور الاجتماعى ، ولا سيما النسوى منه ، يسير سريعا جداً

من أجل ذلك نلجأ الى سماحة حضرات القارئات والقارئين الى العفو مقدما عن قصور وتقصير نعترف بهما قبل أن نقف منهم موقف المسؤول من السائل أو الملوم من اللائم . ونرجو أن نوفق إلى اظهار كتابنا باللغتين الانجليزية والفرنسية لأننا وضعناه فى مسألة المرأة فى العالم كله ، ولأن مسائل فى المرأة لم تعرف فى مصر الى اليوم مثل مسألة احتراف السيدات ومسألة المطالبة العنيفه بحق الانتخاب ومسألة الاندية المختلطة ، ومسألة العداء الاجتماعى والسياسى بين الجنسين . كما نرجو أيضا أن نوفق الى خدمة الاجتماع الانسانى ما طال الاجل بالحياة م؟

المؤلف

تنبيه

ورد في الكتاب خطأ مطبعي في سطور مختلفة منه ، وقد يكون قاسياً وهو مما يؤسف له . ولكننا نلجأ الى سماحة القارىء في تعرفها وفي عدم ايراد باب للخطأ والصواب .

الفصل الاول

نزاع طويل الأمد

لم يُرْوَ لنا أنه حدث فى أي عصر من عصور التاريخ الانساني أن الشبيبة التي نسلت من صلب الرجل لم تفتتن بما في بناته من محاسن وفنون . فهذه أشعار أقدم المغنيين تنطق بجاذبية النساء ، وتفصح عن سحر جمالهن . وفي كل عصر أشربت قصائد الشعراء بحبهن حباً ممزوجاً بسرة القلب وصدق العاطفة . ولقد تمتعت المرأة في الأمم الغربية بحياة كريمة كانت فيها مجمّلةً ، معظمة ، مخوفة . أما في الشرق فقد بقيت كأنموذج لجمال ضائع وكعبث يلهو به الرجل ، أو كجائزة يمنحها ثمناً لشجاعته أو فضائله .

ولم يقصر اعتبار المرأة بأنها كأعظم جائزة يستطيع أن يظفر بها الرجل على نظر الامم الشرقية وحدها . فلقد ورد في الأيدة [1] أن «جمعاً من العذارى الجميلات ينتظرن الابطال في بهو الاوردين ويملأن

(١) الايدة "Edda" اسم لمجموعتين قديمتين من الادب الأيسلاندى بين نثر ونظم وهي تتكلم عن الملائكة والجان والشياطين ويقال بانها أسبق من الالياذة والأوديسى وكانت قصائدها تغنى . ومنثورها يلقى فى المعابد .

كؤوسهم بمجرد أن يفرغوها». وفي عصر شيفالرى[١] بلغ الحديث حول المرأة من اضطراب الأعصاب حد الجنون. ولقد كان بترارك[٢] ودانتي[٣] محبين مفتونين . وقد أراد برنارد فينتادور أن يهجر السماء اذا حيل بينه و بين حبيبته من أن يراها في مقامها أمام العرش الإلهي. كذلك حام الروائيون حول جمال مخلوق أمثل وذكائه وعديد نعوته وأوصافه ، مخلوق حف بالهيبة والروعة وأجلس على قائمة كتمثال يعبد ، وذلك كله هو المرأة .

ولعلنا نتوهم من كثرة الاغراق في المدح وشيوع التمليق الخاطف أن عبادة المرأة ومنحها امتيازات كثيرة قد قضيا على البغضاء التي بين الجنسين . غير أنه يدفع هذا الوهم ما بين أيدينا من الادلة الكثيرة على أن الرجال كانوا – في أقصى درجات عبادتهم للنساء – يوجسون منهن خيفة ، ويمثلوهن في صورة بلاء وشر . بل كانوا يمقتونهن و يحقرون شأنهن

---

(١) شيفلرى "Chivalri" . اصل الكلمة لاتينى وقد تطورت الى معان كثيرة وهى تدل على النبل وعلو المقام وتدل على الاقطاعيات الخ أو على البطولة الخ

(٢) بترارك : فرنسسكو بترارك "Francesco Petrarch" (١٣٠٤ — ١٣٧٤) شاعر ايطالى عظيم . وهو طليعة العاملين على احياء العلوم .

(٣) دانتى : دانتى اليجيرى "Dante Alighieri" (١٢٦٥ — ١٣٢١) شاعر ايطالى كبير ولد بمدينة فلورنس

وكان رينان [1] يلاحظ أن الكنيسة رفعت المرأة الى درجة المقدرة على جلب الخطيئة . بينما كان ثغر دانتي يفتر عن بشر وغبطة عند مجرد ذكر فتاة عذراء ، لو أنهـا نظرت اليه وهو يحادثها لحسبت أنه مجنون . كما أنه من جهة أخري كانت الكنيسة تعلم الاولاد أن « الوحشية صفة التنين،وأن المكر صفة الأفعى ، وأن المرأة قد جمعت الرذيلتين »

وكان تيرتاليان يسمي المرأة « باب الشيطان » . وكان سانت أوجستين يتساءل لماذا خلق النساء في هـذه الحياة . كما كان سانت جيروم يصف المرأة بأنها « أصل كل الشرور » . ونرى لوثر [2] الذي حمل على الرهبنة والعزوبة حملته الساحقة ومسخ قول القائلين بأنهـا خيرة الفضائل — قد كان نصيراً لمذهب القائلين بحرمان المرأة من الثقافة الرشيدة بزعم « أنه ليس من شيء أضر بالمرأة اكثر من محاولتها أن تتفقه » . ونرى أيضاً هنري الثامن يصدر أمراً بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على « النساء وآخرين من طبقة منحطة »

وفي وسعي أن أحشو هذا الفصل بأقوال رجال الدين في المرأة

---

(١) . ارنست رينان "Ernest Renan" (١٨٢٣ — ١٨٩٢)
فيلسوف فرنسي عظيم

(٢) لوثر . مارتن لوثير "Martin Luther" (١٤٨٣ — ١٥٤٦)
المصلح الدينى الالمانى الكبير . مؤسس المذهب البروتستانتى فى النصرانية

لأبين كيف كان يُنظر اليهـا بهانة وكيف كان يساء فهم حقيقتها في وقت كان القيان والشعراء يرسلون القول في وصف جمالها ويرددون النغمات مطربة بطهارة حبيباتهم . ونجد أن كثيراً من أقوال رجال النسك والتقوى كان مكتوباً بلغـة غير مقبولة ، كما أنها تميزت بروح احتقار أو بروح بغضاء نحو المرأة .

وكان النساء أيضاً ، من جهتهن ، في خلاف مع الرجال ، سواء أكان سراً أم جهراً . على أن أرجحهن عقـلاً كانت لا تضطلع بهذه البغضاء ، وكن يدركن أن من قد يكون اليوم ملكاً مطهراً قد يصبح في الغـد شيطاناً مبعداً ، وأن الرجال يمسكون عن مدحهن عندما ينصبن خصومة مع أنانيـة الرجال . ولقد كانت كل ملكة من ملكات الشيفلري تعلم أن قرينها أحمق مسكين . ومع ذلك فلم يكن النساء شمس العداوة للرجال ، ولم يصدرن محررات وبلاغات ضدهم كما فعـل رجال الدين نحوهن . وأما الآن فنجد أنهن يتحدثن فيما بينهن وبين أنفسهن بما في بعولهن من حمق وأنانيـة وظلم ، وأنهن قد نبغن في فنون المكر والدهاء وفتقن الحيـل ، تلك الصفات التي كانت أبداً أسلحة المستعبدين .

ويرجع ازدياد عداء النساء للرجال إلى موقفهم . فانه اذا حدث أن أظهرت امرأة ذكاء أكبر من ذكاء الرجل من عشيرتها تعرضت بهذا الذكاء الى نسبة تهمة السحر اليها .

وقد كان التيوتون يرمقون « سيداتهم الحكماء » باحترام لأنهن كنَّ بلا نزاع أسبق منهم بالسحر . وبعد مضي ذلك الزمان عُزِي الى النساء أن لديهن قوة شريرة ، وعُددن خطراً على جيرانهن . ولقد كان الظن سبباً في تعذيب الالوف من النساء الابرياء في تلك العصور الوسطى ، التي يحاول بعض الكتاب الادباء أن يصوروها عصراً ذهبيًا سامي الخيال . مع أنه أربت فيه نسبة عدد السحرة من الرجال على عدد الساحرات من النساء اللائي كن فريسة الاضطهاد

ولكن أي حاجة لنا في أن نتكلم عن العصور الوسطى ؟ . لقد كان النساء — طبقاً للقانون الانجليزي العام — حوالي عام ١٨٥٠ غير معدودات من « الاشخاص » أو « المواطنين » الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم ، وكان لذلك مباحًا لبعولهن أن يضربوهن « بعصا لا يزيد حجمها عن رأس الابهام » . كذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ولا حق ملكية في الملابس التي كن يلبسنها.ولا حق في الاموال التي كن يكسبنها .وماأفخم هذا العصر عند بعض الناس!

ولقد غذت هذه التصرفات ما عند المرأة من غريزة حب الايلام والايجاع والانتقام من سيدها ومالكها ، وهو « الرجل » . وانني أرى هذه الغريزة أساسية لأنها صورة ظاهرة من صور الحب ، الذي هو أقوى العواطف التي عرفتها الانسانية . غير أن هذه الغريزة

استحالت الى حرب نظامية . وهي الآن خطة سياسية ووسيلة اكثر من كونها غريزة متأصلة أولية .

وتبحث في المرأة نظريتان : (١) نظرية تعتبرها رقيقة الاحساس لينة الطباع و (٢) نظرية تعتبرها قاسية . ولنا أن نتساءل: كيف نشأت هاتان النظريتان المتضادتان ؟ ولماذا يلجأ الرجال كثيراً عند الوقوع في حزن أو مأزق الى رحمة النساء ومشورتهن ؟ ومن جهة أخرى . لماذا يجهر الرجال بأن في النساء روح قسوة لا حد لها ؟ لنا أن نحاول بعد هذا أن نكشف عن هذا اللغز .

ونستطيع أن نجد الدليل الحي على هذه الصورة من العداء بين الجنسين ، لأنه غير منفصل عن مسألة الانهماك في خطوات الحب . نستطيع ذلك بنظرنا في تلك البلاد التي ما زال يحدث بها الزواج باختطاف المرأة . ففي زيلندة الجديدة من عهد غير بعيد كان الجندي الماوري [1] المحارب يستعمل القوة في الظفر بعروسه فقد كان يقبض على الفتاة ويبتعد بها وهو في ذلك يعاركها ويعضها ويرفسها . وبنات الماوري اولئك أقوياء الجسم مثل رجاله . ولذلك كان الصراع بين الشاب والفتاة يقوم بين متعادلين في القوة . ويروى في ذلك أنه كان

---

(١) الماوريون . قبائل الماورى "Maori" السكان الاصليون فى زيلنده الجديدة . ومعنى « ماورى » وطنى بعكس اجنبي

يبلغ من أمر المصارعة بين الاثنين أن يمضي الآسر ساعات قبل أن يستطيع أن يقهر الفتاة لمسافة مائة ياردة . وهكذا يبدأ الحب في الماوريين — كما يبدأ في شعوب أخرى أرقى منهم — باستعمال القسوة والعراك والألم .

وتظهر الفتاة البكر عند البدو مقاومتها لخطيبها بالقائها الحجارة عليه ، فيتسبب منها جروح بجسمه . وعند ما يحاول إمساكها – تعضه وترده بقبضات يدها وأظافرها حتى ولو كانت تحبه وتتمنى أن تكون أسيرته . أما المرأة الأوربية فليس من عادتها أن تظهر هذه الاشكال من المقاومة العنيفة . على انه لا بد من وجود عناصر التعصب والخوف والميل الى الوخز والايجاع في معظم مسائل الخطوبة . ولا فرق في ذلك إلا من حيث الدرجة .

وقد بقي الاسبانيات حتى منتصف القرن التاسع عشر يغتبطن برؤية منظر العاشق يضرب نفسه بالسوط حتى يدمي جسمه

وقد بقي في اسبانيا الى الآن من آثار هذه العادة عند الخطوبة أن ينتظر الخطيب ساعات طويلة يوماً بعد يوم تحت نافذة خطيبته ولا يبرح موقفه هذا حتى تتعطف فيبسم ثغرها له . وفي هذا العمل معنى التوسل بتعذيب النفس الى كسب رضاء المرأة

وقد روي عن النساء حوادث كثيرة كن فيها واجدات ارتياحاً

في توقيع عقاب عقلي وبدني على محبيهن . وترد هذه الظاهرة الى عاطفة الحب فيهن ، وفي ذلك معنى بيولوجي مهم جداً .

وهذا هو مصدر ما يوجد في المرأة من غريزة حب الايجاع ، الذي هو أمر ملاحظ حتى عند البنات الصغيرات عند ما يلعبن مع الأولاد . ويستطيع كل رجل أن يذكر التجارب الصبيانية التي من هذا القبيل . وفيما بين سن الرابعة عشرة وسن السابعة عشرة ، وربما بعد هذا السن أيضاً ، يغلب أن تثير الفتيات غضباً أو تحدث ألماً أو تشغل فكراً في الشبان الذين يعرفهم وذلك بقوة عاطفتهن . ولهذا يتعرض الاولاد كثيري الحياء لهذه الوخزات الأليمة . وليس للرجل أن يقسو كما تفعل المرأة . لأن لها من طبيعة جنسها ما يدفع عنها محاولة الرجل أن يقاومها بالمثل . ويبلغ حب المرأة لتعذيب الجنس الآخر أقصى مبلغه في كثير من البنات عند ما يسقط الشاب في اسار حبهن . وأكثر الشبان تعرضاً لهذا التعذيب هم الصنف الذي تكثر حماسته أو تكون له نفس شاعرية .

ويروي كثير من السيدات – بكل برود وهدوء – قصصاً عن تغلبهن على حب الرجال . وحقيقة ان معاملتهن لمحبيهن قاسية كل القسوة . وقد بلغني أن امرأة جميلة من هذا الطراز قد استغوت محبيها ، وبعد أن قهرتهم على الركوع عند أقدامها لفظتهم باحتقار

أدبي . ويظهر أنها كانت تبغي أن تسر نفسها بمشاهدة من يجهد في التماس رضائها .

الشعور المتضمن في غريزة ايلام الرجال واستثارة غضبهم انما هو مظهر من مظاهر العداء الجنسي ، ولكنه أيضاً متفق كل الاتفاق مع الاحساس الجنسي النسوي . ولما في المرأة من احتقار ، وبرود ، وقسوة نحو الرجل غرض معين . وهذه الدلائل الثلاثة هي تعبير عن طبيعة مُحِبّة . وعدم رفق النساء بمحبيهن عادة شائعة عندهن . ويغلب أن يتذرعن بها إما لاستفزاز هياج المحب وإما لاختبار اخلاص الرجل : فما نراه في النساء اللائي يقعن في شرك الغرام من التنقل من حرارة في أول الامر الى هبوط الى برودة إن هو إلا انقياد منهن الى غريزة أولية ، لعبت دوراً مهماً في علاقة الجنسين . إن المرأة التي تتأخر نحو ساعة عن الحضور إلى مكان اللقاء المختار ، والتي تلقى محبها ببرود مع انها قد تكون قد تلقته في اللقاء السابق بحماس — تفعل ذلك مغرضة ، وبعد تفكير سابق . وعدم الاكتراث أو هذا البرود ظاهر أيضاً في الحيوانات وفي المتوحشين بل أحياناً يبالغ فيه . أما في النساء المتحضرات فان المكر غامض ومعقد ويغلب الاّ يُحس به . وتتقلص هذه الغريزة حتى لتختفي في أعلا النساء تهذيباً . ذلك لأن المرأة المفكرة التي تصرح بعواطفها كما تجهر بآرائها الناضجة غنية عن

استعمال الحيلة وهي تحتقرها كوسيلة شيطانية لا تتفق مع ما ظهر في الرجال من صنوف خيرة

ومهما كان الحب تامًا – أي أنه وليد عاطفة حقيقة – فانه لا يخلو من شائبة الخوف في نفس المرأة . والخوف — كالألم في بعض الأحوال — مثير للعاطفة . ويوجد من النساء فئة لا تحب من الرجال الا من كان خلقه السيطرة والإمارة مع شيء من التوحش والقسوة . والدليل على ذلك قائم فيما نراه من الأمثلة العديدة التي نجد فيها النساء متعلقات برجال خشنى الخاق بل ومتوحشي الطباع . ولعنصر الخوف ، الذي هو جزء من التواضع ، فائدة فيزيولوجية ، وتعالج كل النساء تقريباً هذا الفزع .

إذا تكلمنا عن قسوة النساء فلسنا نعني بذلك ما نسميه من قسوة عند ما نرى أولاداً يسيئون معاملة الحيوانات

ومن هذه الناحية نجد — بالعكس — أن عدد الرجال الذين يقتنون الحيوانات ويؤذونها اكثر من عدد النساء . ويكثر ميل الصبية الى اغضاب الحيوانات وايذائها مع أن هذا الميل ليس ظاهراً كثيراً في البنات . وتمنع غريزة الأمومة (١) من وجود القسوة التي

---

(١) أي في كل امرأة غريزة طبيعية تجعلها تتصف بما في الام من الرحمة والشفقة

بهذا المعنى في نفس النساء لأن الشعور الذي عنـد كل أم هو ميل للعطف والوقاية نحو الضعفاء والمساكين .

وتنصب قسوة المرأة على رأس الرجل وأحيانا على الاطفال . وليس من شيء يبلغ مبلغ القسوة المريرة الجامدة التي يظهرها عادة الزوجات الثانيات نحو الأطفال المولودين من الزوجة الأولى . وتوجد حوادث ضرب وحرق وبتر كثيرة تقع منهن على الأطفال مما يجعلنا نعتقد بأن « الجنس اللطيف » و « حب الأم » انمـا هما صيغتان روائيتان في لغة الكلام .

وهل مع ذلك تكون النساء لطيفات ؟ أجل أنهن في العادة اكثر نعومة وعاطفة وعزاء من الرجال . ولـكن قد تضغط عليهن الحوادث فتصيرهن أقسى من الرجال . وقد أظهر النساء في الثورات والحروب أنهن أبعد من الرحمـة وأنهن متصفات بقسوة أشد مما في من الرجال . فالنساء في القبائل المتوحشة يعذبن ويأكلن جرحى الحرب. كما قد يرتكب النساء المتمدينات اعتداءات مزعجة أثناء الثورات والحروب الداخلية إذا دفعن إلى العنف وذلك عندما يشعرن بأذى يقع على طائفة من جنسهن .

وقد يصير الرجل قاسيا وشديداً عندسورةالغضب .ولـكن تكون قسوته عادة طبيعية و « جنونا قصيراً » كما كان يسمى السلف القديم الغضب . أي أن القسوة لم تكن وليدة تفكير وإمعان . أما المرأة

التي تريد الانتقام فانها تعمل ، فى هدوء مستخدمة مهارة في خططها .

وليس الجرح الذي يصيب اللحم بشيء يذكر . ولكن الجرح الذي يحدث في القلب الحساس من أفظع صور العذاب. ولست انكر أن الرجال كثيراً ما يجرحن النساء بقارص قولهم . ولكنهم لايبالغون في استعمال لسانهم سلاحاً للطعن . وتراهم أغبرين في اقناعهم ومحاججتهم عنفاء في طعنهم . في حين أن كثيراً من النساء ماهرات في التهكم والسخرية المرة ، واجدات سروراً في تضحية فريساتهن . والتعنيف هو أول ما يجب ذكره الآن من اخلاقهن . ويمكننا أن نقول عنه بهذه المناسبة في هذه العجالة بأنهُ مثال من مظاهر القسوة النسوية . والزوجة المعنِّفة هي حقاً كارثة . وخير أن يجلد الرجل مراراً مستمرة بالسوط ذى تسعة الذيول من أن يسوطه ويشده ويثير سورة غضبه لسانُ امرأة مغيظة من وقت الى آخر

ومع ذلك فقد تكون تلك المرأة المعنفة نعمة وبركة . فتكون علاجاً لمرض السل . فقد رأينا رجلاً ميكانيكياً في قرية اقمنا بها بعض سنين عاجزاً عن العمل بسبب مرض الرئة . وكان لذلك مضطراً أن يقضي سحابة نهاره مع قرينته ، التي كانت فظيعة بقارص الكلام إلى أن بلغت الحد الذي أصبحت فيه لا تطاق . فلم يجد هذا الرجل مناصاً في آخر الأمر من أن يعتاد الخروج من البيت والجلوس في الحقول كلما بدأت الزوجة في أغضابه . وإننى أعزو الى ذلك شفاءه من

السل . فقد كان دواؤه الراحة والهواء الطليق . ولو لم يكن لسان قرينته قد طرده من المنزل لما أمكن أن يهتدي إلى هذه الوسيلة الصحية . وهذا دليل على أنه لا يوجد شر بغير خير . ولقد سمعت برجال قد عنفوا وأحرجوا الى الموت . أماهذا الرجل فقد عُنِّف وأحرِجَ الى الحياة .

ولم استطع أن أبت فيما اذا كانت المرأة اللطيفة تزيد في لطفها عن الرجل اللطيف . وانني اعتقد بأن المرأة تحس بتأثير عملها اكثر مما يحس الرجل عندما تهيج غضباً أو تحدث ألماً . وربما كان هذا هو التعليل المقبول لسلطانها بكونها بلسماً شافياً مثلما تحدث فى الرجل جرحاً دامياً . فهي تدرك ما الذي يهدىء أو يهيج فتعمل طبقاً لغريزتها نحو غاياتها المقصودة . فاذا شاءت أن تلقي بك إلى جهنم ساقتك اليها بلا شفقة . وإذا أرادت أن ترفعك الى السماء السابعة رفعتك اليها بقدرتها وبديع لطفها . تستطيع المرأة أن تكون ملكا اكثر مما يستطيع الرجل . كما تستطيع أن تكون شيطاناً خبيثاً اكثر منه .

إنى أسمع الآن حضرات سيداتي القارئات يعارضنني في هذا القول لأن النساء يزعمن ، عادة ، أن الرجال يلحقون الاذى بالنساء اكثر مما يفعل النساء معهم . ولكن كيف تستطيعين يا عزيزتي القارئة أن تقولي ذلك ؟

فانت لست برجل. والرجل وحده هو الذي يستطيع أن يقدر الألم الذي تسببه له المرأة . وكل ما يمكننا أن نقول هو أن الجنسين يعذب كل منهما الآخر في شكل محزن . وان تقدير درجة الألم انما هي مسألة تجربة ومقارنة فلا يمكن أن تختبر بحسابات دقيقة أو باستعمال اداة . ولذلك يجب أن تبقى محل بحث مفتوح .

الفصل الثاني

الحرب اليوم

« الرجال لا يفهموننا » كم مرة سمعتَ ، يا قارئي ، هذه العبارة في حياتك ؟ أما أنا فقد سمعتها مكررة مرات لا تعد وسأظل أسمعها حتى أموت .

« الرجال لا يفهموننا » قد أرى على الأقل عشر سيدات من سن مختلف ومن درجات متفاوتة في الجمال – يرددن هذه الصيغة بنغمات مختلفة ما بين نغمة رقيقة الى نغمة نفس معاركة عنيفة .

أجل . لسنا نفهم المرأة وليست المرأة تفهمنا . هذا صحيح كله وحق أيضاً . لا ريب أن الرجال يفهمون النساء اكثر مما يعترفن لهم بمعرفته ولكن الفهم عند الطرفين غير تام . وكيف يستطيع الرجل أن يفهم المرأة في حين إنها هي ، بلا جدال ، لا تستطيع أن تفهم نفسها ؟

واني أعرض عليكم الدعاوي التي تقيمها النساء على جنسي لأزن حجتها بقدر ما أستطيع أن أحكم بأنها تستحق . وبعد ذلك أسوق حجة الرجال على النساء . وأول تهمة يلصقها النساء بالرجال هي انهم

(**أنانيون**) . وأنا أضع هذا الوصف بحروف كبيرة لتأكيده . لأننا جميعاً نعلم كيف تنطق النساء هذه الكلمة بلهجة التأكيد ونكون نحن واقفين مرتعشين في محكمة المنزل ومحاولين أن نوضح أغراضنا وأن نعذر أنفسنا :

« إنما الرجال **هم** الأنانيون » . وتأكيد اللفظ كما ترى واقع على « **هم** » . وقد سمعت هذه التهمة كثيراً حتى انني بدأت أشك في صحتها . نفهم أن تكون الأنانية صفة عامة شائعة في بني الانسان . أما أن الرجال اكثر أنانية من المرأة فهذا شيء آخر

وما هي الانانية ؟ يعرفها قاموس « بأنها اعتبار الشخص لمصلحته وسعادته دون سواها . أو انهـا هي الحب النفسي الأقصى أو إيثار الذات الذي يقود الشخص لان يجري أعماله لأنجاح مصلحته الخاصة، أو قوته أو سعادته بدون نظر الى مصلحة الآخرين » .ان الانانية ، في أسوأ معانيها أو في معناها المجرد ، هي أساس الفساد الانساني وهي مضادة لحب الخير الذي هو أساس الخلق الإلهي . فكما أن الله هو الحب كذلك الانسان فيحالته الطبيعية هوالانانية . الانانية هي رذيلة لا تتفق بحال مع السعادة التيينشدها الانسان . ولذلك فهي مخالفة لحب الذات (ماكنتوش)

ولننظر فيما يأتي اذا كانت حالة الرجل الطبيعية هي الانانية ، فانه

من الواجب علينا جميعاً لا فرق بين رجال ونساء أن نكون ظنينين . لأننا جميعاً مخطئون ولأننا جميعاً سفهاء ولأننا جميعاً أنانيون . وما يهمنا الآن هو أن نبين ما اذا كانت النساء على صواب في تحميل الرجال هـذا النصيب الثقيل في اثم حب الذات

لقد أنظر في احدى الاحراش أو الشوارع فى توتيخ مواطناً من متوسطي العمر من جنس الرجال يحاول على الدوام أن يركب قطار الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ ليصـل يومياً الى شارع بيزنجهال . وانني أراه من خلال نافذة جالساً أمام مكتب في محـل أنيق وحوله مجلدات جافة تسمى كتباً وهو منكب على التحرير والحساب ويجهد أن يؤدي الواجب الذي ندب للقيام به . وهو يقصد إلى جانب النهر مرة حيث يقضي زهاء أسبوعين ، يلهو فيهـا بلعبة الجولف ، ويسبح في كل صباح في ماء البحر ويعمل ما في وسعه لكي يتناسى متاعبه الدائمـة التي يعانيها في مكتبه بشارع بازنجال بقية أيام السنة . ولذلك يستطيع هذا الرجل أن يعد على أصابعه النقط الخضراء في بيداء حياته

وما هو شأن هذا الرجل في الحياة ؟ هو الحامى الخالد للنسل ، ولأهل المنزل ؛ وهو الرجل المقـدم المرشد ، هو رب الأسرة ، الأب الانجليزي .

لقد سار مرة عاري الجسم في الغابات ومعه في يده بلطة يبحث عن

صيادمنافس فيقتله أو حيوان حي فيذبحه . ولقد برزت شخصية ذلك الرجل و بقيت من آثاره اسلحة محفوظة في المتحف البر يطاني . وهذا الرجل الطبيعي نفسه هو ذلك الرجل الذي تراه الآن لابساً سترة رسمية أنيقة ببنطلون . وقد تقول إنهُ بهذا اللباس يؤدي واجباً عليه . وهذا حق . إلا انه فيما بينه و بين نفسة يؤثر أن يلعب الجولف أو يقصد حول حديقة للنزهة ، لولا أن أصبح همه أن يجعل حياة أبنائه خيراً من حياته الطفوليه وأرغـد عيشاً وأقرب الى السعادة منالا . وهو — بدلا من أن يتنح عن الـكد عند بلوغ سن الخامسة والخمسين — يستمر في الـكد في المدنيـة حتى يهرم و يبلى وذلك لـكفاية حاجة زوجه و بناته من اللباس .

فهذا الانسان هو مثال صحيح مما نرى . ولم يقع اختياري على مثال غير عادي . ولـكنني تخيرت مثالاً يحدث كل يوم . على انا نعلم أن هذا الرجل لن يخلص من اتهام جمهور النساء اياه بأنه أناني . طبعاً هو انانى . أليس انساناً ؟ إنه لمسرفٌ في شرب النبيذ فيجرع مرة زجاجة منه ، و يدخن لفافات من التبغ التي تباع بأربعة بنسات . وهو مذنب أيضاً لأنه يركب في الدرجة الثانيـة بدلا من الدرجة الثالثة أليس مذنباً حقاً ؟ مؤكد إنه رجل انانيٌّ . إذ هو يتحرى دائماً الجلوس على ذلك الـكرسي الأنيق عند ما يقدم من المدينة .

وماذا بعد هذا من حاجة لنا أن نضيف زائداً الى قائمة ذنوبه ؟ مهما اطلنا القول نخرج منه على أنه أناني على كل حال .

تؤكد سيدات هذا الزمان أنهن غير مستطيعات أن يتمتعن بحياتهن بسبب ما في الرجال من أنانية . فالرجل هو الذي يستأجر المزمار والعود والنساء يرقصن فقط

في العصر الالفي السعيد عندما تبلغ «حرية النساء الاقتصادية» التي ، بصفتي رجلا، أرجو تحقيقها — سيغير النساء كل هذا على أنه لا يمكنني التنبؤ بما سيكون عليه أمر تلك الحياة السعيدة في ذلك الزمن البعيد

لا يستطيع الرجل أن يتمتع بحياة الرجولة اذا كان متزوجاً أو كان فقيراً . كما لا يمكن لامرأة أن تحيا حياة الانوثة اذا مالت إلى أن تعد الرجال مثالا لعدم الانانية

ولنذكر قليلاً من الامثلة الشائعة المعروفة التي يدعى فيها بقراط [١] أنانية الرجال : تزوج إدوين من انجلينا منذ عام . وقد جاء حديث العطلة السنوية على لسانها . فقال إدوين : « عزيزتي : أود الذهاب الى بورتموث حيث توجد حلقات للعبة الجولف [١] لكي نمضي العطلة السنوية » . كانت انجلينا عند ذلك متسمة بسمة

---

(١) أبقراط ابن اقليدس ولد سنة ٤٦٠ ق . م . عاش ٥٥ عاماً . ويلقب بابي الطب لأنه أول عالم فيه دون كتباً علمية وله حكم مشهورة وهو القائل انما نأكل لنعيش ، ولا نعيش لنأكل .

الوقار . وكانت صامتة عند ما ذكر ادوين العاب بورتموث . ولكنها تكلمت . وكانت متجعدة الجبين وكان صوتها يبعث على الاعجاب ، ويظهر منه أدب ويخيل للسامع أنه بعيد . كما لو كان صوت رجل أجنبي . فتعجب من ذلك إدوين الاناني ! « ماذا ! . هلا تريدين الذهاب الى بورتموث » فاجابت انجلينا :

« انت تعلم انني أود الذهاب الى هاستنج »

— ولكنني أكره هاستنج

— ألم تفكر أبداً انني قد أكره بورتموث ؟ . . . بل الحقيقة انني قلت كثيراً أن بورتموث لا تحب .

فعبس وجه إدوين مدة طويلة

ثم قال : اذاً . سأذهب الى هاستنج ما دمت تريدين ذلك ولكنك تعلمين انني سوف لا أكون مسروراً فيها

— اوه . اذا كنت لا تحبها فسوف لا أذهب اليها . لست أريد أن أجرك الى هاستنج على الرغم منك . . . سأذهب الى بورتموث . . . فانه على الدوام يجب أن ينتظر من المرأة أن تخضع وتسلم

وتنهدت انجلينا تنهداً عميقاً . وضمت يديها الى حجرها ، كأنها شهيدة وتمتم إدوين وأمسك باحدى الصحف وخرج متجهماً

أجل . انني أعتبر إدوين في هذه الحالة أنانياً . ولكن كيف

تصف سلوك انجلينا ! ان مجرد قولها « ان المرأة هي التي يجب عليها أن تخضع على الدوام » تدل على أنانيتها وعدم حزمها واذا لم نصدق بأن إدوين يخضع كثيراً لانجلينا فعلينا أن نعتقد أنه رجل وحشي . قد يكون عدم تذكرها لخضوعه لها وفاء منها لمبادئها ونظرياتها . انها قالت ما قالت لأنه مطبوع في مخها طابع أن الرجال أنانيون وان النساء هم الذين يجب عليهن الخضوع والتسليم . ولذلك فقد ظلت مؤمنة بالعقيدة النسوية المتسلطة .

لقد قالت لي امرأة « يشجر في الحياة الزوجية خلاف حول ما إذا كان يصح فتح نافذة أو اغلاقها اكثر مما يحدث لأي سبب آخر » أحسب أن هذه المسألة هي صغرى الحوادث التي ينشأ منها نزاع بين زوجين . وا كثر ما يظهر النزاع بسبب إظهار الانانية وحب السيطرة والسيادة في المسائل التافهة لا لأسباب مهمة

وما لم يكن الرجل وزوجته قادرين على استبقاء الوفاق الدائم فاننا نشهد حوادث خلاف وغضب عائلي . ان « التسليم » بشهامة وكرامة ليس أداة سهلة في أي نوع من الشركات . على أنه خلق ضروري للدرجة القصوى .

ويوجه النساء الى الرجال إتهاماً آخر وهو تهمة الخشونة والانفعال وإنني لا أنكر انه يوجد كثير من الرجال من طباعهم الخشونة في الفكر والكلام . وتجد أكثر الرجال أشد صراحة وخشونة في

أحاديثهم . ولكن اذا كانت الخشونة رمز الرجال فان الغلاظة هي الصفة النسائية الشائعة فيما يتعلق ببعض المسائل الحيوية . يهزأ الرجال في كلامهم بعلاقة الجنسين الطبيعية . والعلاقة الجنسية في كل طبقات المجتمع البشري موضوع تكثر فيه الثرثرة التي لا فائدة منها ولا داعي لها وهي حديث لا خير فيه . وليس في عموم النساء عقول خشنة ، إذ هن لا يتدخلن في هزر فاحش فيما يتعلق بالوجهة الجسمية في عاطفة الحب . غير أنه يكثر بين النساء من تتحدث عن الحب بهجو وغلاظة تقرب من الخشونة

ومن صفات الجماعات والأمم المدعي تدينها ما تراه في مناقشة الافراد في الحب من ذكر ما في الرجال من خشونة وما في النساء من وقاحة مع تجنب الخوض في المسائل الجنسية .

أما البلاد التي يكون فيها الدين خشناً والقسيس سيداً عالي المقام يكون الكفر أو السب جرماً عاماً يرتكبه كل الناس . فيسخر الرجال من الأشياء المقدسة . ويستعملون الاسم المقدس في العبث كلما كان الدين مضايقاً وخطراً مخيفاً على التمتع باللذائذ الدنيوية وكما يحيط بالأديان الغموض والتحريم — كذلك يحيط بالمناقشة العلنية في موضوع الجنس الاسرار والقيود المانعة .

ويجد الضلال الانساني متنفساً ولذاذة في السخرية من هذه المباحث ، التي نأى عنها المجتمع الانساني باعتبارها أشياء لا تستحق

الذكر اللهم إلا همساً . لذلك كان ما يظهر من الخشونة في الرجال والخفة في النساء عند ذكر الحب بين الجنسين – رد فعل للكتمان الضار وغير الطبيعي . وكان فساد التفكير شائعاً في كلا الجنسين . وما يختلفان في ذلك إلا في طريقة العبارة عنه . ويمكنني أن أشير إلى رجال ونساء كثيرين قد طهرت أجسامهم . ولكنني لم ألق غير قليل قد طهرت أفكارهم

ولم تزل عقولنا مريضة وغير سليمة من ناحية « البحث في الجنس » . ومحال اصلاح مجال الفكر والعمل . الذي هو مجال تتحكم فيه غريزة الجنس ما لم تطهر عقولنا من شرّي الخشونة والحياء.

نحن في حاجة الى الكلام الواضح القاهر بدلا من الهمس القبيح والالفاظ المبرقعه السخيفة والهزء الموبوء والضحك المخنوق

ان نزة الرجال وصمة غالبة فيهم . وهنا نجد ايضا مثلا من اختلاف كل من الجنسين في اظهار السرور الذى ما تدل عليه حركات الحواس . ويزيد التنبيه الدائم والتخيلات السامية هذه النزة كلما كانت المدنية مشتبكة مركبة عالية . ومن الخطأ ما يقوله الوعاظ والكتاب من ان المتوحشين كثيرو الشهوة والنزة . فأن المتوحشين الذين يعيشون في احوال صحية فطرية ذوو عفة وتدين بالقياس الى الشعوب المهذبة التى تعيش فى دعة ولهو . وتكثر العواطف

الغراميةفي الرجل المهذب أو المرأة المهذبة اذا كانا في حالة نفسية عميقة بسبب مائة من المؤثرات المنبهة ومن الشهوة أن يشغف النساء بالطعام اللذيذ ، والفراش الوثير ، والغرف الدافئة الانيقة والملابس الجميلة ، والزينة البديعة ، وقد حمد «جرمين تايلور» ربه على ملذاته الشهوانية ولو كانت لنا عقول سليمة لفعلنا مثل ما فعل . فليس من باعث على الحياء في طيبة نفوسنا بطعام لذيذ ، حسن الصنع ، وبزجاجة نبيذ ، أو لفافة تبغ ، واذا كنا نعتقد ان لنا خالقا يجزل لنا الخير فاننا نطعن في حكمته اذا ادعينا ان لذاذتنا بحاسة ذوق خفية وغير لازمة . وان كنا نعتقد في ذكاء الطبيعة فانه واجب علينا أن نعترف بأننا قد وهبنا جهازاتنا العصبية لتكون سبيلا إلى شعورنا بما يسرنا كما نشعر بما يؤلم . ويخلط الناس بين طيبة النفس السليمة وبين الرغبات المشوشة التي تظهر في ثرثرتنا حول اللذة الشهوانية على اعتبار أن الأولى شيء كريه أو شر .

واكثر ما يكون اللوك بذلك في ألسنة النساء ، ويقل في الرجال .

وتتحمل مبادىء الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها اكبر نصيب في أصل وجود هذه الحملة ضد التمتع بحواسنا تمتعاً مفيداً لا غبار عليه

ولقد أفسدت أحكام (الاعدام) والعقوبات عليهم العقيدة وأنشأت رد فعل ، كان من جرائه أن ازداد الرجال اندفاعاً وراء شهواتهم بسبب الدعوة إلى اعتبار العفة المطلقة خير الفضائل .

يقول المؤلف الفرنسي(دافيد استارز)في كتابه الممتع عن «المرأة الانجليزية » إن النساء ينظرن الى الرجال كما ينظرن إلى أطفال كبار. وقد سمعت المرأة الحديثة كثيراً تشبه الرجال بالاطفال . و بمعنى آخر صحيح و يستحق الاعجاب : إن الرجال أطفال حقًا . ذلك لأنهم يحتفظون بنضارتهم ومضائهم وسذاجة الطفولة لمدة أطول من النساء. وهو يتهم أكثر من هوية النساء . و يلعبون كثيراً وفي سذاجة . وهم أقل منهن اهتمامًا بجد المظاهر .

وما أسرع ما تتوقف المرأة عن الظهور بمظهر الشباب بمجرد شعورها انها امرأة ، وما يتبع هذا الشعور من ميلها إلى منع التهكم والازدراء بها . وقد لاحظت عند ما كنت أشرف على فرقة تمثيلية أن الرجال والأولاد مثلوا دوراً هزليًا بينما خشى النساء والبنات أن يظهرن مسخوراً منهن في أعين أصحابهن . وكنّ أوعى لأنفسهن من الرجال ثلاث مرات . ولم يشغفن قط بما يبعث على ضحك الجمهور . وكان همهن أن يظهرن جميلات ومحترمات في الوقت نفسه . و بيان ذلك أن المرأة مطبوعة علي التصنع . ولذلك لا تسمح لنفسها بالظهور بمظهر صبياني ، وهي لا تجرأ على اللعب على الحبل بعد سن الثامنة عشرة على الاكثر .

وكثيراً ما أرى في أحد أندية الرجال أعضاء في سن الخمسين أو

الستين يلعبون على الحبل كما يلعب تلامذة المدارس . وهذا المنظر يسر نفسي كثيراً لأن فيه احتفاظاً بروح الطفولة العالية

ولنذكر أيضاً أن العبقرية أقرب الى الطفل . ولست تسب رجلاً إذا ناديته بقولك : « أيها الولد الكبير » . وليس في اغتباطك بالاشياء البسيطة دلالة على ضعف العقل والصواب . ويغلب أن يكون ذلك علامة على عقل كبير . ويمكن اثبات ذلك باستجماع بعض حوادث وقعت لبعض العلماء والمشاهير اثناء رياضتهم .

وعند ما نرى أن زمام أعظم المسائل الكبيرة في يد الرجال ، وان الدنيا قدسارت الى الامام سيراً منتظماً — فلا يكون هناك ما يدعو إلى تعييرنا إذا قال النساء بأننا « مجرد أطفال »

كذلك النساء ، في دائرتهن النسائية ، مجرد أطفال كالرجال فيشيع في حديثهن السخف أكثر مما عندنا . وعندهن غرور صبياني . وهن ، في دائرتهن النسائية الخاصة ، مستهترات كاخوتهن . سر في أهم شوارع الطرف الغربي من لندن بعد الظهر ترى جموعاً من السيدات من كل سن ، يعطلن المسير على الأرصفة بوقوفهن ينظرن الى الصور والتماثيل التي لا قيمة لها ، وإلى الأشرطة المزوقة في نوافذ الحوانيت . ومع ذلك فانه اذا ذهب رجل إلى صيد السمك

أو للعب فان هؤلاء السيدات ينظرن اليه بابتسامة أسف ، ويدعينه « طفلاً كبيراً »

يعزو النساء عيباً آخر يخصصن به الرجال وهو سرعة الغضب . لكن ليس هذا العيب محتكراً للرجال واني أشك حقاً فيما إذا كان الرجال ، من وجه عام ، يماثلون النساء في الحنق ، وعلى أهبة إظهار سوء الخلق مثل النساء . والهياج في مستشفيات مجاذيبنا يصدر من النساء اكثر من الرجال . ولست أجد فرقاً كبيراً من هذيان الرجل الموبوء بالهواء الاصفر وغضب المرأة العصبيــة الهسترية . فعندنا في الحالتين انفجار . وعلى العموم يكون انفجار النساء أطول ولو أنه قد يكون أخف وطأة

ويجرنا هذا الكلام الى دراسة المضايقة النسوية وسببها وطبيعتها لقد أنتج شيوع التعنيف فى النساء اعتياد لسان المرأة التهكم والاستهزاء واللسع . وقد ابتكر آباؤنا زماماً كزمام الخيل يلبسه النساء المنازعات فيقيهن ضيق الصدر

المضايقة ضرب من النشاط النسوي . ولسان المرأة فصيح وطلق وهي مغرمة باستعماله . وهي معنِّفة بطبيعتها وحدها دون باعث مثل الدج [1] الذى يغنى في الفجر الندى . ويميل اكثر النساء الى

---

(١) طائر

التعنيف بدون مناسبة . وتشوب مخاطبة المرأة من العاملات أولادها التهديدات الفظيعة بدون نية نفاذها . وهي تهدئ مشاعرها بمضايقة أحد الناس . كما تهدئ بادرة الغضب والسباب رجلا مغيظاً محنقاً

ومن الأسف أن يطول زمن التعنيف . لأنهن يمضين في سيل سريع من الالفاظ ويكسبن همة كلما أمعن في ذلك. ويكثر أن يقتل الرجال زوجاتهم المضايقات وأن يضربوهن

وتوجد المضايقات في كل الطبقات . وتكون المرأة المضايقة في العشيرة المهذبة سفيهة وقحة مثل اختها بنت الأزقة ولو ان عبارة الأولى أعف من الثانية . والمرأة الباردة المتعلمة هي أسوأ النساء المضايقات أما المرأة العصبية الهسترية فتجهش عاجلاً أو آجلا بالبكاء وتسقط وتقضي وقتاً وهي في حالة جنون وتلجأ الى وسائل مادية للابانة عن حنقها

ليس الحنق كله رذيلة من الرذائل . إنه مظهر من مظاهر غريزة اللوم والانتقام . ويجب أن ننظر إلى غريزة المضايقة بصفة أنها عادة شائعة في النساء ولا تنحط هذه العادة إلى رذيلة مريضة إلا اذا كانت غير منقطعة وكان مبالغًا فيها . وخير سبيل الى سياسة المرأة المضايقة هي أن توافقها على انك حيوان تام وتعس وتضحك عليها . فأذا أخفق ذلك في ملاطفتها فعليك أن تفر من وجهها

المرأة أكثر احساساً وتأثراً من الرجل ، ويظهر هذا في أحوال

كثيرة . ولا شيء يعززه اكثر من موقف النساء تجاه الدين وذوقهن في الدراما . ويقال ان النساء أتقى من الرجال . وحقاً انهن اكثر منهم تعلقاً وأشـد تأثراً منهم بعنصر الوجدان وبطقوس الاديان ومراسمها . وعلى الضد من ذلك نجـد أن عدد منشئات المذاهب والمعتقدات من النساء قليل جداً لا يذكر بجانب منشيء العقائد الجديدة من الرجال .

النساء أشد انصار النظام الاكليركي ، وخير أصدقاء القسيس . أما أساتذة التاريخ الاكليركي فيستطيعون أن يقرروا ما إذا كان رجال الاكليرك كانوا خير أصدقاء النساء ! . فمن سانت بول الى ما بعدها لم ترم الـكنيسة مطلقاً الى رفع شأن النساء . وفي نواح عدة كانت هذه التعاليم سداً منيعاً في وجه المثل الاعلا في المساواة الجنسية ، وفي الحصول على جمعية صالحة من الجنسين .

ولا يحفل النساء بمباحث الدين الفقهية العميقة وبعلم اللاهوت انهن يرغبن في التأثر في عبادتهن وهذ التأثر متحالف مع عاطفة الحب وإنك لتجد السيدات اللائي خُدعن في حادثة الحب التي وقعن فيها قد تحولن ، بطبيعة الحال ، الى الدين يتخذن منه سلوى ومخرجاً .

والتاريخ الذى كتبته الاخت « جين ويزنج اوف لدون » انما هو مستند انساني يوضح اجتماع التصوف الديني مع عاطفة الحب .

أما في الفن فمن الضروري الالتجاء الى النساء إذ المرأة مسؤولة

عما في الفن الخالي من الذوق ، وفي النقش ، والدراما والشعر ، والقصص . وفوق طاقة فننا تصوير تأثير العواطف المضغوط عليها . كما اننا نخشى كثيراً التعبير عن الاحساسات المستقرة المتحركة الحقيقية الحيوية وربما يظهر هذا اكثر وضوحاً في الروايات الانجليزية المكتوبة خصيصاً لتسلية السيدات منه في أي نوع آخر من الفن .

يتلهى سيد المخلوقات (الرجل) في فردوس المجانين . فهو يتخيل أن المرأة تبع له . وهو ليس مخدوعاً في ذلك من جهة . ولكنه مخدوع غبي من جهة اخري . ان ظلم المرأة عظيم . يستطيع الرجل أن يفخر بقوته البدنية وبانفساح مجال الفرص أمامه ، وباتساع ميدان العمل المفيد أمامه أكثر مما عند النساء . وفي تقرير هذه الحقيقة توضيح عن كل شيء . وليس في هذا شيء عظيم ومفيد للرجل كما قد يظهر غير ذلك .

ان الغرض الاكبر للطبيعة هو استمرار النوع . ومن غير وعي بظلم المرأة يكد الرجل طول حياته خضوعاً لأوامر الطبيعة ولغاية واحدة رئيسية ، هي حماية الأم ونسلها . فمن وجهة نظر الطبيعة هذا هو كل واجب الرجل في الحياة

يحسب الرجال انهم قد اختيروا كأزواج من أجل ملاحة قسماتهم ، ومميزات عقولهم ، وسلوكهم الجميل . ومبلغ خطأ هذا الاعتقاد بقدر شيوعه . يختار النساء من يحببنه من الرجال بعد تفكير

وامعان ونظر صحيح الى ناحية قدرته على كسب العيش وكونه حامياً أميناً للمرأة . أما النساء اللائي تأسرهن لاختيار أزواجهن العاطفة الخيالية الحادة التي تفقد الرجال صوابهم - فهن قليلات وماذا يمكننا تحت ظل نظام اقتصادي يمنع النساء من تحصيل رزقهن أو على الأكثر الحصول على زهيد تافه أن ننظر منهن أن ينظرن الى الزواج بغير القيمة الحسابية والنفعية

وتقف العادة والاخلاق العرفية في وجه النساء فتحرمهن من التمتع بسعادة الحب وسرور الأم ما لم يجدن رجالاً قادرين على كفالتهن مع أولادهن في راحة .

فالرجل أداة المرأة . فهو يتشكل ويُستخدم من أجل أغراضها وفي مصلحة النوع الانساني . ويتوهم انه هو الطالب للزواج وهو الآسر القانص ، وانه هو الشريك السيد بعد عقد الزواج . وقليل من الرجال يدركون ما للنساء من السيادة التي يقضي عليهم بالعيش تحت ظلالها . وما سيادتهم الا خداع لانفسهم ومقام كاذب . انهم لا يزيدون على انهم قرناء المرأة المطيعون وهم يشتركون بدون وعي منهم في مؤامرة دبرتها تلك المحتالة السيدة (الطبيعة)

الفصل الثالث

الزوجان في الحب

تعني الطبيعة بأن الحب يسيطر على اكثر الرجال والنساء. لأن كل الكائنات الانسانية العادية ابتداء من سن السادسة عشر الى سن الخمسين وأحياناً بعد هذا السن عرضة إلى الاحساس العميق بالحب الجنسي. ويفرض في ذلك وجوب وقوع كل ذكر وكل أنثى في الحب ولو مرة واحدة في العمر على الأقل. لأن الذين لم يعرفوا الحب يكونون ناقصين في شيء من الأشياء الانسانية الطبيعية طبقاً لما دلت عليه التجارب الاخلاقية والوحدانية والعقلية. وانني أمقت اولئك الأشخاص الذين يقولون إنه لم تتحرك فيهم هذه العاطفة. ويزيد مقتي إياهم أن أراهم يتبجحون بأن ذلك علامة السمو ودلالة الحكمة والصواب.

وكيف تريد مني أن أعجب بك لأنك سمكة ذو وجدان سمكي وأعصاب وجهاز ناقصين؟

وجدير بنا أن نرثي لحال الرجال الأسماك والنساء الأسماك. لندعهم في لذاذاتهم الحقيقية أو المصطنعة وفي ظل سموهم البارد. ولا

نجدٌ فى تقدير شأنهم . يمشون فى الارض ينصحون ويحذرون من حرارة الدم . ويجهـدون أن يتهكموا على الاحساسات الرقيقة التى عجزوا عن الشعور بها . ثم يحدثونك بأن هذه الاحساسات لا معنى لها . ولست أدرك ما هو الغرض الذى يرمى اليـه هؤلاء الناس . أحسبهم يمثلون دوراً من أدوار الاقتصاد والنظام فى هذه الطبيعة . على أنه يجب عليك ان أحببت المرأة ، كما يجب عليك أن تحبها ، وأحسست بميل الى الشعر وبروح للرواية فعليك أن تتجنب هؤلاء الرجال الاسماك واولئك النسوة الاسماك .

الحب هو أعظم معلم . إننى أتحدى كل العلوم والفنون والفلسفات مضارعته . قد يقول برنارد شو لصغار تلاميذه « إن الحب عاطفة كريهة » ولكن مع هذا فان رجالاً أعظم من « شو » قد تحققوا ان هذه العاطفة نفسها هى أعظم شىء فى الحيـاة . ومن حسن الحظ أن العالمَ يحب « العاشق » وفى هذا يكون العالمَ حكيماً ويسهل أن تصاغ مذاهب فى السخرية من الحب والاجتماع والدين ، وفى كل عواطف جليلة ، ومثل أعلاء ولكن ليس من السهل أن نفهم القوة والاهمية والتأثير الذى لهذه الاشياء . وفى نظر بعض تعساء الرجال الذين يسمون أنفسهم فنانين ومفكرين لا قيمة للحب لأن دمهم كالماء .

قد يكون منظر الشاب المحب مريعاً . ولـكنى لا أجد ما يدعو الى الضحك من ذلك النوع من الجنون الذى يتملكه . فليس من يضحك من الحب غير السفهاء والـكفار والفساق . وقد يكون الشاب المحب اكثر الناس انخداعاً . ولـكن من أجل الحب يجب علينا الاّ ننغص عليه بسخريتنا وضحكنا منــه . لأن صوتاً خالداً يناجى نفسه ، ولأن الامانى النبيــلة الرقيقة التى اشتملت عليها نفسه آخذة فى الظهور . وان نفسى متأثرة من طهر كثير من الشبان . ويسمو الشاب المتحمس ذو النفس الخياليــة ، ويجمل فى أعين الناس . وهو فى شعوره بالحب أطهر من فتاة عذراء . لأن حبــه لا يكون وليد أى غرس من غراس التفكير

وهو أعظم خيالى تحت الشمس . وتكون العذراء فى نظره أسمى من ملكة ، وينسب الى العذراء كثيراً من صفات الحسن والملاحة والفضائل . كما ان قلبه مغمور بعبادتها . وتراه فى مجلسها يرتعد فرقاً مصحوباً بعبــادة ، ويعقل لسانه فى حضرتها عن الكلام ، ويجيش بصدره شعور ملتهب .

وا أسفاه ! أن يقع كثيراً فى حب فتــاة فارغة العقل ، قاسية النفس؛ فلا تستطيع أن تقاسمه عواطفه الخيالية الشعرية . وهل يكون الامر كذلك لأن السن المحبوب المطلوب هو من السابعة عشر ،

وهو أصغر سن يتجلى فيه الخيال فيضطر الشبان الى أن يشغفن بحب نساء قد تجاوزن سن الشباب!

يشعر الولد بحب شديد نحو امرأة فى سن الكهولة ، ويجد فيها الصفات التى يهيج لها فؤاده ، ويجد سحر الحنان ، والاحساس ، والنعومة ، والرخاوة ، مما لا يجده فى الفتيات اللائى يعرفهن

ويكون حب الشاب أملى طبيعة وأصدق غريزة من حب الشابة . وتفكر البنت الانكليزية فى مسائل أخرى كثيرة غير جاذبية الشاب المحب وحماسته . فقد تعلمت أن تحتفظ بعقلها وتتجرد عن الهوى . وانها إذا أحبت كان ذلك فى حزم واهتمام صحيح بمسائل أخرى بجانب الغرام الخيالى الشعرى .

تعرف النساء الكاهلات التى يفتتن بها الشباب كيف تحب ولذلك فهن يعطفن على المحبين . لأنهن قد تعلمن هذه العاطفة . أما الفتاة التى لم تتمرس بهذه العاطفة فان استعدادها أن تعد الشاب المتيم بها معتوهاً . فتميل الى الهزء به . وإننى أعرف حادثة غرامية هى أنه كان فى حانوت شاب صغير مغموراً بحب فتاة من سنه . وكان يعنى عناية خاصة بنظافة ملابسه وتطهير جسمه لكى يظهر شهماً بهجاً — كما يجب على المحبين أن يفعلوا — كلما خرج مع حبيبته للنزهة . وحدث مرة وهو فى حمرة الهيام أن اعترف لها بأنه يتعمد دائماً أن يلبس خير أزيائه كلما أراد لقاءها . فما كان من الفتاة إلا أن أسرفت

في الضحك ، ولم يثر هذا الاعتراف فى نفسها أى عاطفة . وما كانت تنظر دائماً الى عواطفه نحوها إلا بتهكم وسخرية فى حين أنه كان واجباً أن تري فيها سمواً انسانياً راقياً .

وكيف كان ينتظر من امرأة اكبر من هذه الفتاة أن تتلقى هذا الاعتراف ؟ لست أعتقد مطلقاً أنها كانت تضحك من هذا التعس المسكين فترده كئيباً خجلاً . بل أنهـا كانت تتحقق أن هذا الشاب محب صادق شغوف بأن يسرها فى كل شىء ، راغب فى أن يكون مقبولاً فى عينيها . وكان شعور الأم ، وهو شعور قد تجردت منه تلك الفتاة فى علاقتها مع محبها ، يتدفق فى جنبيها فنراها تطبع قبلة على جبين ذلك الفتى الرخو المسكين .

أيتها السيدات : ان كان عندكن أى احترام وتقدير للقلوب الطاهرة فلا تهزأن بزهرة الحب المشرقة التى تنبعث من صدر شاب ذى نفس شعرية . لتكن رحيمات ورقيقات سواء أكنتن مسرورات أم متألمات . فستعلمن بعـد قليل ان الحب شىء نادر وثمين . وربما تحسرتن — فيما بعد — على ما قد تلقينه من خشونة رجل آخر أو قسوته . وإنه لمن الاثم الاستخفاف بالحب . والسخرية من اخلاص الشبان فيه .

ان السورة التى تصحب حب الرجل تفقده الحنان والخديعة ، كما يجب أن يتسلح العشـاق . انما فى النساء الامر مختلف وللاستاذ

« وليم توماس » قالة رشيدة ، فى نصيب المرأة فى الحب فى كتابه « الجنس والمجتمع » قال :

« تتفنن المرأة تفننًا دقيقًا متينًا فى جذب الرجال . ويكون فنها على أتم حال بحيث تكون هى العضو العامل فى اتمام الخطوبة اكثر مما يكون للرجل فيها نصيب . ونحن نتكلم الآن عن الرجل بصفته خطيبًا ، أى أنه هو البادىء بالتماس حبيبته . ولكن الحقيقة هى أن المرأة هى التى فكرت فى وقوعه فى الحب ، لأنها هى التى دعته الى الالتفات اليها : بزيهـا ، وسلوكها ، ونعومتها ، ودلالها ، وتحفظها ، وبرودتها التى تستعملها عند الفرص . فالرجل هو الذى (يخطب) ودها . ولكنها هى التى تدير العملية . »

وفي هذا — اذاً — مثال فى خضوع الرجل للمرأة . حتى فى الحب ليس الرجل هو الشريك المهم فى لعبتـه . فهو مسوق بقوة طبيعية نفسية . فيقع فريسة فى يد المرأة . وهذا الامر تعرفه كل امرأة . فلذلك تستعمل ما منحتها الطبيعـة من هذه القوة فى الظلم . وقد سبب الحب موت كثير من شجعان الابطال والفرسان فى عصر البطولة والفروسية . ويؤدى ما تستخدمه المرأة من سيطرتها فى الحب الى الألم ، وحتى الى الموت فى يوم من الايام .

يقول الاستاذ توماس : « ومن سامسون واوديسى الى ما بعدهما يعترف التاريخ والقصص بما عند المرأة من سهولة سحر الرجل بحيث

يهيم بها جنوناً . وما رُكّب فى الرجل من طبيعة المحافظة على المرأة ، وحمايتها ، وميله اليها يمنعه فى الحقيقة من المقاومة » .

وهذا صحيح جداً . إذا ان الرجال يتحملون تعذيب النساء اياهم وسبابهن ، وقسوتهن ، وسوء معاملتهن ، حتى ان الرجال يحنقون على جنسهم ، الذى سبب كل ذلك . فتمعن المرأة فى استغلال الرجل لاغراضها ، ويستمر الرجل فى الخضوع لها .

هل نفهم من ذلك أنه ليس فى النساء حب دائم ، حار ، ونبيل ؟ كلا . أنهن أحياناً يسمين إلى الحب الشعرى الخيالى فاذا كانت قلوب بعض النساء صلبة متحجرة كالماس — فانه توجد غيرهن ممن امتلأن رقة ورحمة ولوعة . وليس من أساس خاصية الجنس اللطيف أن يكون حب أفراده مجرداً من الحرارة التي نجدها فى الرجل المحب الولهان . والحقيقة أن ما تبديه المرأة فى الحب من برود وسلبية ورزانة انما هو صادر عن حيل صناعية . واذ كان الرجل الشاعر يقول عن الحب أنه « وجود المرأة الكلى » فان النساء لا يدركن هذا القول ولم يتلقينه كدرس أولى فى طبائعهن . وبعكس ذلك فان السيدات يقفن من الحب موقف الخجل المعتذر الخائف . ويعتبر اعتراف الفتاة بأنها مستنفدة فى حب رجل كأنه شىء يخالف أدب العذارة . وهى تتعلم أن تخفى غرائزها الطبيعية والجبلة . ويوجهها كل ما تتلقاه من التربية فى داخل المنزل وخارجه الى أن تكون منافقة فى علاقتها

الغرامية . على أنه بجانب ذلك يجب ألاَّ ننسى أنها تُربى على أن ترى في الزواج مصيرها المحتوم .

قد توجد نساء من مثيلات ما يكتبه جورج سان ولورانس هوب . ولكنهن نادرات كفنانات فضلاً عن ندرتهن كمحبات . ومن هذا نفهم سر الخاصية التى تظهر فى الروايات التى يحررها سيدات فى موقفهن تجاه الحب . ولا بد أن يكون ما يكتبنه عن أقوى عاطفة انسانية على اعتبار أن الرجال والنساء أرواحاً تجردت من الأجسام بدلاً من تكونهم من لحم ودم حارين — إما صادراً عن جبن أو عن نقص فى التجارب

وقد يظهر أن البرودة « الاناستسيا الجنسية » فى النساء خلق موروث . ولكن يجب علينا أن نتذكر دائماً أن هذه الحالة فى الشعور الانسانى قد ثبتتها وشجعت عليها وغذتها وسائل صناعية عملت فى عصور كثيرة . ومن المرجح أنها ليست خاصية أساسية من خواص السيدات . ولو أننا ننظر الى أن أمهاتنا يعتبرن مؤدبات ومتخلقات بمستلزمات الخلق النسوى بقدر ما فيهن من جهل بحياتهن الجسمية ورغباتهن الطبيعية — لما عسر علينا أن نفهم أن التعفف والبرودة النسائية ليست بحال طبيعية مطلقاً .

أوَ ليس من الملموس أن لو كنا ربينا على أن نخطىء تمايح الطعام

وتنكهته لـكانت صنوف الطعام وألوانه غير مقبولة ولاختلت وظائف الأعضاء الهضمية اذا تناولناه على هذا الحال ؟

ولا يمكن أن يكون الانسان صحيحاً اذا نفر من طعامه . أما الشهوة الأخرى (الحب) فهى أسمى وأقرب طبيعـة . وليس من الممكن موازنتها مع غريزة الطعام والغذاء لأنها أعظم تماسكاً . وأشد صلابة ، واكثر التصاقاً بالقوة الروحية والعقلية .

واذا ذكرتُ برود النساء المذكور فلأننى أجده أحد أسباب شقاء الزوجيـة . وكما أن النار أو الرخام تجذبهما الى بعضهما خواص عملية وأدبية فكذلك يوجد ما يوحِّد بين الهائم بالغرام والخلى منه ونتيجة ذلك مشهودة أمام أعيننا فى كل يوم . اننا ننتحل أسباباً كثيرة للشقاء الذى يلازم بعض الزوجيات . ولكننا نغفل عن السبب الصحيح ولا تجـد في كل مائة شخص رجل أو امرأة — فرداً واحداً يجسر على أن يواجه المسألة بشجاعة ومن وجوهها الصحيحة . فالميل فى كل مكان هو الى خداع النفس وغش الآخرين فى هذه المسألة الحيوية

ومن آن الى آخر ينتخب اكثر مفكرى روائيينا ، الذين يعتقدون أن الخيال يجب أن يكون بنقد الحيـاة من طريق عرض الانفعالات التى تحدث فيها — هذا الصنف من السيدات فيجعلوهن موضوعاً لرواياتهم . وأتذكر الآن توماس هاردى وفرانك هاريس و ه . ج ويلز بصفتهم الروائيين الانجليز ، الذين لم يسدوا الباب على

هذا الموضوع . ففي رواية « توتو بونيجي » تجد صورة هذا الطراز من النساء ، وتتناول « ماريون » الكلام على أحوال طبيعية وضرورية تظهرها شنيعة مفزعة . وهي تعرض طائفــة كبيرة من النساء تستحق العطف ، والفهم ، والتربية ولا يجوز احتقارهن لأنهن فقدن كثيراً من العواطف الرقيقة بأندفاعهن في بحر الآراء الكاذبة ولذلك فهن لسنَ مسئولات عما بهن من اعتلال وضعف .

هذا هو شكل من أشكال العداء بين الجنسين مما سندرسه في محله فيما بعد . انني أقول بلا تردد ان الانتكاس هو مصــدر شقاء الأسرة اكثر من أي سبب آخر فضــلاً عما يؤدي اليه ذلك من رذيلة ونتائجها . وقد اعترف بهــذه الحقيقة فوريل وآخرون من العلماء الباحثين

ويتجنب أوساط الاجتماعيين والكتاب عنــد التكلم في مسألة الزواج الخوض في هذه الناحية . أو يعجزون عن إدراك مكنوناتها

وسواء أكان سبب اختلاف النساء عن الرجال في وجهة الحب هو الطبيعة أم التربية فانه مما لانزاع فيه ان هذا الخلاف بين الجنسين في فهم الحب هو علة عدم الوفاق بل وعلة العداء المجهور به . ويكثر أن يقوم النزاع في أثناء الزوجية عما قبلها : ذلك لأنه تجرى المحاولات في الحب في سكون حتى ان المحبين لا يعرفان ما اذا كانا يتحادثان عن الخطوبة أو عن لعبــة التنس . ولا يعرف الواحد منهما صاحبه

فينشأ خلاف بينهما . وتكون عقولهما ملأى بالغرور والأوهام ويظهران فى أخلاق فاضلة . طبعاً يوجد شيء من الغضب والخلاف أثناء الخطوبة . ولكن ليس هــذا في العادة غير مناوشات خفيفة لا تبلغ مبلغ المناظر المريعــة الشائعة فى الحياة الزوجية كما انقشع الغرور شيئاً فشيئاً كما تنقشع قشرة البذرة تذروها الرياح .

ولطول أمد الخطوبة مزية إعطاء المحبين فرصــة تخليهما عما يظهرانه من سمو الأخلاق ، فتنجلى حقائقهما كما فى كل المخــلوقات البشرية الضعيفة

اذا عاشرت امرأة لمدة ثلاثة أو أربعــة أعوام فى مدة الخطوبة فأكبر الظن انك تتشاجر معها من آن الى آخر « فتقبلها ثانية وأنت دامع العينين » . ثم تعاشرها متعلقاً بهواها الى أن تستيقظ أنانيــة جديدة . وبهذه الطريقة تعرف أنت وتعرف المرأة التى يهواها قلبك ما فى كل واحد منكما من الضعف والنقص واذا كنت فيلسوفاً فستعتزم أن تصبر وتتحمل فى الزوجية والا آلت خطوبتك الى نتيجة مشؤومة فى يوم من الأيام . سيؤول الأمر إما الى رجوع الى الضحك والفكاهة فى الخطابات الغرامية وفى الهدايا وفى الوعود المتبادلة وأما الى انفجار محزن وتصريح بالاحتقار وربما إلى جهر بالعداء والبغضاء

يود أكثر النساء ان تطول مدة خطوبتهن . ويزعمن ان عهد

الخطوبة أوجب الى المسرة وأدعى الى الهناء من عهد الزواج . لأنهن يخشين ان يفقدن بالزواج ما في العاشق من هوادة واين وصبر وخير

وانني أحسب أن هذا شعور غريزي ، يدل على تشكك وتخوف غريب ، وعلى آخر على اتهام للخاطب . ولا يسرع الرجال بالخضوع للحب بخلاف ما يقال عنهم . أعرف فلاسفة يشبهون الزواج بمقبرة الحب . ومن الذين ينظرون الى الحياة شذراً ومقتاً من يميل الى نصح الفتاة بأن تدرك أنه خير لها أن تستبقي يد الكرباج مرفوعة فوق الخاطب الذليل الخاضع لمدة طويلة بقدر المستطاع ، ولكن ليس هؤلاء العابسون بحجة في المسائل التي تتعلق بالزواج

ويكاد يكون من الخطإ الدائم اطالة أمد الخطوبة ، لأنه يعسر جداً على الرجال والنساء العاديين الضعفاء أن يبقوا ملائكة مدة طويلة وليس بنافع تشديد الضغط على المتحمس المتيم لأن طبيعة الكائنات البشرية تدعوها الى الجفاء بمضي السنين .

كيف يتاح للرجل أن يسوس المرأة الحديثة كمحب لها ؟ لو أن كل سيدات العصر متشابهات لكان الجواب على هذا السؤال موجزاً فانه ولو أن النساء من اليوم يغنين من مفتاح نوتة عالية ومؤثرة إلا انهن يملكن نغمات من كل الأنواع والطرب فاذا ما غنت المرأة انشودة الاستقلال الشائعة بصوت عال متهدج فعليك أيها الرجل أن تفكر قبل أن تودع كل قطرة من رجولتك . يوجد رجال يحبون أن

تحكمهم النساء المحبوبات منهم ويوجد من الرجال من يستطيعون أن يتحملوا الخضوع لهن . ويوجد آخرون يكرهون أن يخضعوا لحكم النساء .

ويمكنني أن أصرح برأيي الضعيف فى القسم الأول . لان الثانى لا يحتاج الى رأيي ومشورتى . فنفوس أفراده صعبة ساكنة سهلة الانقياد . وهم ، مع ذلك يعقلون وخبثاء ويفهمون أنه مقدر عليهم أن يكونوا أزواجاً أقوياء . وهم يعلمون ببعض القيود التى تقيدهم وانها تقابل (وتوازن) برجولية المرأة التى تتنزل لاحترامهم بالتماسها دوام ارتباطهم بها وخضوعهم لها . ويوجد بعض رجال ، وربما ليسوا من القلة كما نعتقد ، يحبون أن يزعق النساء فى وجههم وأن يظلمنهم ، وأن يطأنهم بالنعال

وربما شاءت الطبيعة أن تخرج هذا الصنف من الرجال لغاية هى تخرج طبقة من المرأة المسترجلة . إذ لا نزاع فى أن الزوج الموافق اللين العريكة هو العون النافع للمرأة النابولونية ، التى خلقت لتأمر وتقهر . ويغلب أن تشمل السعادة المرأة الممتازة على العادية فى عشرتها مع الرجل اللين الخاضع . ويمكننى أن أقول بأننى سمعت مرة أو مرتين فى حياتى بأن الرجل اللين يسب فى غير جهر

إن الرجل الذى يستطيع أن يتحمل سيطرة حبيبته يستطيع أن

يألف حالته بالثبات والصبر . ويجب عليه أن يحافظ على حقوقه فى أول طور من أطوار الخطوبة والا فقد الى الأبد حريته

ولنفرض أن « جوندولين » تكره ذكور الكلاب فهى تريد أن تحتفظ بنوع آخر من الحيوانات وإن الخطيب قد يقاق بالاحتفاظ بقطة وجرو صغير . فهل يجب التنزل — ازاء ذلك — عن ذكر الكلب ؟ أخشى ذلك اذا كانت جو يندولين تجعل المسألة غاية ترمى اليهـا ، وكان (هوراسيو) يرغب فى الوفاق العائلى . ولكن يجب على هوراسيو ألا يسلم فى ذكر الكلاب بدون معارضة .عليه أن يعارض فى اضافة القطط الى الكلاب . وأن يقرر بأن يتحمل الواحدة فيها دون الأخرى وأنه لا يتحملها معاً فى وقت واحد . وأن يقول بأنه اذا كانت جوندولين تستطيع لاى سبب من الاسباب أن تقبل كلباً ذكراً فى حضن العائلة فانه هو أيضاً لا يستطيع أن يقبل قطة وكلباً فى آن واحد .

أعرضْ المسألة للتحكيم وكن ثابتاً . بالرغم من ذلك يمكنك أن تستبدل الكلب بالثعلب اذا كنت لا تريد الاحتفاظ بذكر الكلب. ولكن حذار أن تقبل القطة مع الكلب البكينى . لا تدع نفسك تتحطم قبل أن تخرج من الميناء

اراك تبتسم من ايضاحى هــذا وتظنه هزلا . ولكننى أؤكد لك أنك اذا كنت تخرج من الغضب الجنسي بالتنزل عن حقوقك

الصغيرة فانك ستجد المرأة الممتــازة تمنعك من التمتع بحريتك فى العمل . انها ستعاملك كطفل . أى مع الحنو . فهى ستستعمل صفة الامومة المعروفة بطريقة مقلقة للرجال أقوياء الارادة . وعنــد ما لا تنظر الينا السيدات الاقوياء كما ينظرن الى الاطفال الكبار ، أو يدلعننا ويزجرننا فانهن يعتبرننا أنانيين محتقرين

ان المرأة الحديثة تتطور فى مسالك الذكاء والفن والاستقلال وفي اخضاع الذكور لحكمها . وسواء أرضى الرجال أم لم يرضوا — فان سلطتهم فى كل طبقة ما عدا الطبقة المنحطة آيلة الى الزوال . وقد قدر على التجسد الفاسد بالفناء فيما جد من الاحوال

ولست أرى امام عينى فى أى تطور انسانى شيئاً يمضى مسرعاً مثل تقدم النساء نحو المساواة الجنسية . فاذا أخطأ الرجل الحديث فى ملاحظة ذلك فانه يكون ناقصاً ، بالاسف ، فى الملاحظة والادراك ويعلم الرجال الذين قد تحققوا هذه الحقيقة ، وواجهوها . انه واجب عليهم أن يختاروا رفيقاً وليس لعبة يتسلون بها . وسيأتى من ذلك خير عظيم يصيب الرجال والشعب . على أنه فى دور الانتقال يضطر كلا الجنسين أن يتحملا كثيراً .

نحن فى مواجهة كلا النمو والفنــاء ولما كانت هذه التغيرات لا يمكن فصلها من الألم الموجود فى التكوين البشرى كانت كذلك لا تقبل الفصل من ألم الامة .

ان الجيل القادم من فتيات النساء المتعلمات الجانيات الصائحات على الباب ليس أقل نسوية وجلسة من نساء عهد اليزابث ، اللائى كن يتعلمن اللاتينية ويحادثن الرجال فى مسائل عقلية ولا شك أنه قد سُمع صوت « عدم الانوثة » فى ذاك الحين . فان هذا الصوت قد سُمع فى كل قرن ، وليس من مبتكرات الصحفيين المتأخرين ، ولكنها شكاية الرجال القديمة الذين كانت غيرتهم من نجاح المرأة إحدى الصفحات الواضحة فى التاريخ الانسانى .

ووقتنا الحاضر هو عهد المرأة التى تحتقر الرجل وتكرهه إذ لا يوجد ناد نسائى فى لندن لا تسمع فيه كراهة مؤكدة من كثيرين من الاعضاء

وماذا عسى أن يكون سبب هذا الموقف غير الطبيعى ؟ أهو احتقار حقيقي أم تصنع ؟ فى أغلب الاحيان تراه نوعاً من أنواع التبرم بالحياة من الوجهة العامة فى شخص الرجل الذى يجعل مسؤولاً عن كل نقص فى حال المرأة . وفى بعض الاحيان يكون اسلوباً نسوياً فلسفياً قليل الغناء . واحياناً تكون الكراهة حقيقية وعميقة

ويندر أن يوجد نساء يكرهن الرجال عن جد . أما اولئك النسوة اللائى يقلن انهن لا يأبهن لشأن الرجال ويشعرن نحوهم باحتقار فقد يكنَّ كثيرات . وليس طراز المرأة التى تحتقر الرجل ، أى الطراز الصادق في احتقاره وكراهته ، كما تقول القصص

والصحف الهزلية دائمًا نوعًا من حيوان ذى شارب وقوام مستقيم ومحب لملابس الرجال . كما انها ليست على الدوام المرأة الممجوجة الطلعة ، المقيتة الصوت فى زى خفيف . بل انها قد تكون احيانًا بعكس ذلك جميـلة فاتنة للرجال ولو أنها تعد غير عادية فى الجنس النسائى

ومن الغريب ، ومن الحقيقة أيضًا ، ان طراز النساء الكاره للرجال محبوب ومن افراده أبطال سلسلة حكايات غرامية . وكثيراً ما يحببن حبًا يخلصن فيه . وسَهْلٌ عليهن أن يأسرن قلوب الرجال . ولست أستطيع أن أتذكر فى هذا الضلال الانسانى الغريب ان النساء اللائى يحببن والرجال الذين يحبهم النساء ، فى قابلية اظهار عداء جنسى قوي . ولا يدعو العبث المعتاد ظهوره فى كلا الجنسين الى مثل عال من جانب جنس تجاه آخر . فقد أنفقوا أنفس الاشياء فى الحياة فى عواطف مقلدة وصلات مصطنعة . لقد لعبوا كثيراً بالحب حتى هجرهم الحب نفسه . وفى المغازلة عامل كبير من عوامل الفساد .

ولا يمكننا أن نماشي الحب من دون أن نكوى بألم نفسى . طبعًا توجد مغــازلة وعبث لا ضرر فيه ويوجد ايضًا عبث يفني القوة الباعثة على الحب . فاذا كنت تلعب وتعبث بالحب فان الحب سينتقم منك بأن يطير على ألاَّ يعود ثانية

من النســاء جماعات كالفراش الهائم ، وهن يعبثن بالحب عبثاً ممجوجاً . هن آفات وبلاء . إذ بعد أن أنفقن الشباب الوسنان فى الدلال والطيش أسففن ، فى سن الـكهولة ، اسفافاً شائناً : فكنّ حشرات لاذعة ، حانقة ، غاضبة ، تترنح بين الغيرة والغبطة بما يشين ويخجل . ولأنهن قد فقدن ما كان لهن من لذة عند ما كانت فتوّة الشباب تدفعهن من زهرة الى اخرى — فقــد طفقن يهزأن بكل عاطفة صادقة ، ويتعمدن اظهار الاحتقار نحو محبيهن المفتونين بهن .

والمرأة التى تعرف بكراهتها للرجال بين أن تكون مخلوقاً لم تهبه الطبيعة جمالاً ، أو انساناً بارد الشعور ، أو سيدة متعبة لا تطاق فقدت الحب بسبب خطئها أو بسبب سوء حظها . ويغلب أن تكون المرأة الصريحة التى يزهد فيها الرجال – جوهرة عميت أعينهم عن كشفها . كما يحدث أن تكون ، من جهة أخرى ، سيئة الخلق ، غبية ليست جذابة بعقلها ، كما هى جذابة بجسمها .

وتكون المرأة ، التى جمد شعورها ، وبردت حساسيتها – شخصاً كارهاً مشاغباً ، ولا سيما اذا كانت جميلة ، يجيش الغضب فى صدرها ويستولى الحنق على حواسها على اولئك الرجال الممخرقين ، الذين مروا بها دون التفات اليها ودون انجذاب بجمالها الفاتن . ذلك أن المغرورة لا تدرك أن الجمال الخارجي ليس بكاف وحده فى احداث

التأثير وجذب القلوب . واذا كانت برودتها موروثة ولا يمكن الشفاء منها فخليق بنا أن نرفق بها ، وغير جدير بسعداء الحظ أن ينتقدوا سلوكها .

ويوجد فى جيش الجنس العظيم فيلق النســاء الكارهات للرجال . وهو فيلق عظيم القوة . وتدل الدلائل على أن المجندات فيه فى ازدياد . وتبرز فى لوائه عبارة « ويل للرجال ! » . والدعوة الى السلاح قوية عالية مسموعة . هؤلاء هن النساء المستقلات عن الرجال مخلوقات ، حانقات ، معاديات لمبادىء الطبيعة الأوليــة . وحركتهن لا شيء فيها من الاهتمام الجدى بالحيــاة الاجتماعية البيولوجية . على أنه لن تكون امهات المستقبل من صنف النساء الكارهات للرجال . بل أنه ليخشى أن يفسِدْنَ الرجال بما يظهرنه نحوهم من فرط الشفقة كما أفسد الرجال النســاء فيما مضى بما كانوا يظهرونه من الشفقة والتسامح معهن .

ويوجد باعث كبير على عداء الرجال من جانب النساء وهو الخوف من « المجهول » فانه لما أن سمع المتوحش دقة الساعة لأول مرة ضرب الساعة والقاها فى الحال وهو يرتمد فرقاً وخوفاً فسقطت مهشمة . كذلك الخوف والكراهة لما ليس معلوماً ولما ليس له توضيح هو شعور طبيعى ، لا نشاهده فقط فى عالم الفطرة ، ولكنه شائع شيوعاً كثيراً فى ماي فير وكينز جتون كما فى بثنال جرين

وقد صحب المرأة فى كل أدوار حياتها الابهام والتقديس والمراسم المقدسة . فان الكتابات المقدسة فى كل الاديان من أقلها شأناً الى أحسنها ثقافة وتماماً ودقة تبين فِي جلاء كيف كان الرجال يخشون النساء ويفزعون منهن فى أكثر شؤون الحياة ، وهذا ناشىء مما فشى من الاعتقاد بأن للنساء قوة مغناطيسية قادرة عاملة

ولا يستطيع الرجل الحديث العادى أن يحرر نفسه من الاعتبار الخرافى الذى يشعر به نحو المرأة فاننى أعرف رجالاً كثيرين يظهرون خوفاً غريزياً من النساء ، ويتجنبون مجتمعاتهن بقدر ما يشاؤون « لأنهم لا يعرفون كيف يتحدثون اليهن ولا يستطيعون أن يفهمونهن » ويصف النساء بعض هؤلاء الرجال « بالغزلان المساكين» ويغلب أن يكون هؤلاء الرجال ذوي رجولية حقة ، وشجاعة طبيعية صادقة ، وجد . ولكنهم فى حضرة النساء يرتعدون وتحبس ألسنتهم عن الكلام ويتولاهم رعب .

أما الرجل الذي يفهم النساء اكثر الفهم ويخشاهم أقل الخشية فانه يكون حاصلاً على أثر قوى من الروح النسائية . وليس معنى قولنا هذا أنه أنثى ترجلت أو رجل مخنث . فانه قد يكون من وجهة الرجولة وصفاتها بحق المعنى رجلاً ، عقلاً وجسماً . وكل ما فى الامر ان له في عقله وقلبه تلك الصفات التى تمكنه من الفهم والعطف اللذين هما صفتان غالبتان فى النساء بأكثر مما فى الرجال .

ويوجد مثل ذلك فى المرأة التى تكون أسعد النساء فهماً للرجال ، فيصفها الرجال بأنها الرفيق الكريم سواء أكان ذلك فى رابطة الزوجية أم فى صلة الصداقة لأن لها فى عقلها وقلبها عنصراً من الرجولية .

الفصل الرابع

الحرب الزوجية

أصبح التزوج الآن طرازاً غير عصرى . وترتفع الأصوات من « كاساندرا » ضد نظام الزوجية الذى طال عهد احترامه . ولما كنا اطفالاً صغاراً كان آباؤنا شباناً لأن الرجال والنساء منذ عهد غير بعيد كانوا يتزوجون صغاراً . ولكن الزواج فى هذا الزمان يؤجّل كما يؤجِّل الرجل الخبيث سداد السفتجة التى لا خصم عليها . فاننا نريد أن نحظى بكل اللذاذة التى يجود بها رأس مال الوَحدة والحرية حتى ولو كانت نيّتُنا ، فى آخر الأمر ، أن نتزوج حتماً .

لم يمض اكثر من خمسين عاماً على عادة تبكير الشبان والشابات فى الزواج عند بلوغ سن العشرين . وأحياناً قبل ذلك . فقد كان أسلافنا أقل حزماً وتبصرة ، من الجيل الحديث . وكانوا اكثر عاطفة وتعجلاً فى تقرير الزواج . أما الآن فان الرجل ينتظر حتى يبلغ الخمسة والثلاثين أو الأربعين ، والمرأة ترفض أن تدخل فى متاعب الزوجية فى سن العشرين . وقد أصبح الزواج نفسه فى الوقت الحاضر أعسر وأصعب مما كان فى زمن آبائنا وامهاتنا .

ويرجع تأجيل الزواج الى عوائق اقتصادية . ففي الايام التي كانت تُلبَس فيها القمصان البسيطة - كانت الطبقة المتوسطة متواضعة معتدلة ، بل ومنحطة اذا قيست بميزان الحياة اليوم ، فلقد كان التجار والمحترفون واصحاب المحال يسكنون في المصانع والمكاتب والحوانيت . وكانوا ينفقون قليلاً على المظاهر . واكثر ما كان يفعله أحدهم من هذا القبيل أن يستأجر عربة ذات عجلتين للذهاب الى « ريشمند » وهذا حال زهيد . أما اقتناء سيارة وسائق فهذا شيء آخر .

وفي عامة القول تجد كل شيء ، ومن ذلك الزوجات ، في زماننا هذا أغلا ثمناً مما كان عليه الحال في عهد الملكة فكتوريا . وليس رخص الطعام ورخص الملابس بنسبة ما حدث في زيادة الاجور . ومن أجل أن يحتفظ الرجل بكرامته عليه أن يقوم بوفاء مائة بند وبند من أبواب المنصرف . ولا يستطيع اليوم أي انسان ، محامياً كان أم فناناً ، أم مؤلفاً ، أم محترفاً بأي حرفة أن يظهر في المجتمع فقيراً ليس في جيبه نقود . وقد أصبحنا تجار بين عشرة أمثال ما كنا منذ ستين سنة فقد غزَت الروح التجارية معبد الحب . وقد كانت جداتنا تقنع بأن تتزوج من تجار ومحامين وأطباء فقراء ، وقد رضين أن يسكنّ في الشوارع التي تعد الآن وضيعة حقيرة لا تطاق .

ومن أجل أن يستطيع الرجل العيش الآن يجب عليه أن يظهر

بمظهر المالى الناجح ، اذ يُقَدَّر الانسان بقيمة منزله وزيه ومصروفه . وفى الحقيقة يُقدر بكل ما يوجد عنده ما عدا تحصيله العالى وفضائله !.

ويوجد عائق آخر للزواج البكر فى الحملة التى لا تنقطع والتى يقوم بها المعلمون من كل نوع ، والكتاب ، والصحفيون ، والقصصيون ، والروائيون . وان الاصوات المرتفعة والمناقشة الدائمة حول « حياة الوَحدة » أو العزوبة كفيلة بجعلهم يفرون من الدخول فى اتحادات توصف بأنها « عبودية » ، « عدم مساواة » ، « غاصبية » « عالة أو طفيلية » ، « مخالفة للآداب » . وفى كل عام للمطبوعات تظهر قصص تبعث على التشاؤم . وهى تعالج موضوع شقاء الزوجية بأشد ما يمكن من عنف العبارة .

ومع ذلك فانه ما زال يوجد أمثلة من الزواج المثلى . ان الزواج السعيد هو خير مؤثر أخلاقى فى المجتمع ، وهو السعادة الأولية التى تمنحها الحياة الدنيا الرجال والسيدات ، الذين تنطق طبائعهم بالحب والزوجية . والسبب الذى يجعل الكثيرين منا غير سعداء فى زواجهم هو اننا لا ننظر الى الزواج كفن جميل . يتصور الخاطب القادر الظافر انهُ يمكنهُ أن يخلع لباس العاشق ويتخذ ثوب الزوج بعد اشهر قليلة يقضيها فى المداعبة والملاطفة . وتتصور الزوجة التى تمكنت من أن تحضر عاشقها الى قفصها انه سيظل دائماً أليف هذا القفص ، وانهُ لم

يعد عليها ثمت من حاجة الى الفنون اللطيفة التى كانت تستخدمها فى زمن الخطوبة

والحاجة الى تدعيم الحب أثناء قيام الزوجية أشد منها فى أيام الخطوبة . بارك الله فينا من أطفال يحبون أن يكونوا ملحوظين ، مملقين ، متلطفاً بهم ، متمتعين باللعب والمداعبة ! . بمجرد أن يكف الزوج عن الاعجاب بزوجته بما لها من السمات والتقاطيع المليحة والجمال الفتان أو ما عندها من التدبير المنزلى أو المواهب العقلية أو طيبة النفس أوغير ذلك – ينتهي دور العاشق ويدخل فى حياة كلها عذاب وتحمل . كذلك الزوجة اذا هى تركت تلك الفنون اللطيفة التى تعد شيئاً كثيراً فى الحياة ، اليوم ، وانقطعت عن أن تجد لذة فى آراء قرينها وسخافاته – فانها تكون بذلك قد نسيت انه لا يمكن أن يحفظ الحب نضارته وضياءه إلا بالدهاء والحيل والخداع .

فى الزواج المثلى هدنة للنزاع الجنسى . فعنصر الخلاف العام متجاهل كما لو كان غير موجود . فمثلاً لا يجرى على شفة رجل « ما أشبه ذلك بالمرأة ! » وفيه تمتنع زوجته من صب جام الانتقاد والتأنيب على الجنس الآخر . سمّ ذلك خداعاً ان شئت . فأيهما تختار : حالة الهدنة بما فيها من احتمالات السلم والسعادة او حالة الحياة المنكّدة التى يجهر فيها بالعداء الجنسى ؟

تتوقف الزوجية الصحيحة التامة على الاستعداد العقلى والطبيعى .

وما أندر أن يظفر رجل وامرأة بفضيلتى العقل والجسم الصحيح تقر بهما عين أحدهما بوجودهما فى الآخر . أو ليس ذلك فى مقدور الرجال والنساء ؟ أجل . ولكن قبل أن يعم الزواج المثلى يجب أن يتعلم الرجال ماذا تريد النساء . كما يجب على السيدات أن تدرس ماذا يرغب الرجال . وكيف يمكن تعلم هذا تحت نظام العلاقة الحاضر بين الجنسين بما فى تلك العلاقة من نهى الشرائع عن الحديث البرىء بينهما ، ومن الخداع الكثير المتنوع ، والمصانعة الكاذبة ، والمفتريات مما لا طاقة لى بالاجابة عليه

العراك فى الزوجية افظع ألوان المنازعات التى تنشب بين الجنسين فانها تصير آلافاً من البيوت جحيماً ، وتولد المساوىء الجنسية ، وتشل خواص الرجال والنساء الرقيقة . ولها تأثير مفزع على الابناء . وهو هو سبب فى ضرر عقلى وجسمى . فلنحاول أن ندرك أهم اسباب العراك الزوجى .

يحدث أن يُغرم رجل من أوساط الناس بامرأة ، وأن تكون هذه المرأة — قبل أن تصبح قرينة ذلك الرجل — ذات أفكار مغموسة بسخافات عن الحب والزواج . فتكون السخافات سبباً فى جرف الشريكين الى حيث يحسبان أنهما يبلغان براً آمناً .

وماذا عسى أن يدرى الرجل العادى من أمر روح المرأة التى تسند رأسها الى صدره ويطوق ذراعاها جسمه ؟ ماذا يعلم من أمر

الطبيعة الفيزيولوجية لهذا المخلوق البشرى - أعضائه ، وظائفه ، رغائبه التى تختلف عن رغائبه هو من وجوه كثيرة ؟ . وجوابنا لا شىء تقريباً .

ثم ماذا تدرى المرأة من أمر الحياة الداخلية الحقيقية للرجل ، الذى وكلت اليه نفسها ، ومن حقيقة شعوره نحوها ؟ ماذا تعلم من حياته الفزيولوجية ووظيفته ؟ جوابنا أيضاً أن لا شىء تقريباً .

ولكن مع هذا فان ولدىْ آدم هذين قد اختطا أن يعيشا سوياً عيشة هى أمتن الاتحادات البشرية رباطاً وأن ينشئا نفوساً أخرى فى العالم !

ويغلب أن تنشأ الحرب الزوجية من الجهل المطبق عند جنس فيما يتعلق بالجنس الآخر وهو جهل يبعث عليه ما اعتدناه وما أساء الينا به المعلمون والآباء . ان « نصف الحياة » أو «نصف العالم»[1] العظيم الذى قضى على النساء ألاَّ يعلمن بحقيقته هو كتاب مغلق فى وجه الفتاة ، التى تجد نفسها ، فجأةً ، مقيدة طول حياتها — لكل النيات والأغراض — برجل يستطيع أن يقهرها على قضاء رغائبه ويسخرها لشفاء هواه بكل وسيلة لا يتحرج فى اثم ولا يتورع عن مأثمة ومنها استخدام القسوة . ومع ذلك كله فهو لا يخرق بتصرفه ، قانون البلاد !

قد يكون « رجل الدنيا » وهو الرجل الذى « خبر الحياة »

---

(١) الرجل او جنس الذكور

قد عالج كثيراً من التجارب ، سواء أكانت مفيدة أم ضارة ، وعلى كل حال يكون قد حصل اخيراً على قسط معين من المعلومات . ولكن المعلومات التى استقاها من « نصف العالم » لا تصلح اداة لفهم نفسية امرأة جاهلة ورغائبها . والراجح ان يكون عقله مُلوّثاً . أما عقل تلك المرأة فيكون أبيض من الصفاء والطهر فى بساطة وسذاجة . وغاية أمرها أن لها ميلاً الى ناحية أو أخرى . وحتى لو كان الرجل طاهراً فانه يندر ، فى اكثر الأحيان ، أن يصلح لأن يكون الحامى الوحيد لشخص المرأة ، ونفسها ، ومستقبلها .

ان الزواج هو كشف مستمر للحقائق عند كل الناس ما عدا أغناهم وأقلهم شعوراً ، واخفهم تأثيراً ، انه كشف لا ينقطع لما فى الانسان وما فى شريكه . واننى أعرف من المتزوجين مَنْ يشبه ارتياحهم لِفتيَيْن ينموان معاً . وليس هؤلاء هم الرجال والسيدات الذين يعيشون المعيشة الحقة . و يوجد عشرات الألوف من الناس لا ينعمون بالحياة مطلقاً . اننى فى ذلك أتكلم عن المخلوقات البشرية التى اضطرت الى ان تفكر وان تشعر بالهام الوراثة والعادة . وهؤلاء هم الاشخاص الذين تقدم الحياة اليهم وسائلها المؤلمة كما تهدى شعورها المحبوب . واليهم يوجه سؤال — كيف يستطيعون أن يصلوا الى خير الزواج . وهو سؤال حيوى .

ان التعليم ، في اوسع معناه ، هو احد الأدوية للجهل الذي في الجنسين فيما بين علاقة احدهما بالآخر . ولكن فهمنا « للتعليم » قاصر على الكتب . وليس له اي علاقة بالكثير من الأمور التي تجري في الحياة . يجب ان نجعل العلاقة الاجتماعية بين الجنسين اكثر حرية قبل ان نزيل سوء التفاهم والعداء الجنسي . وتساعد الأندية المختلطة على كسر الحوائل المشؤومة القديمة . وتعليم الجنسين معاً في سن الشباب خطوة اخرى في الطريق السوي . و بالجملة فان كل شيء يمنع الفصل بين الجنسين يكون من شأنه ان يقلل عدم التفاهم الموجود بين الرجال والسيدات . و يبعث على الأمل بأن يكون الاتحاد الجنسي في المستقبل اسعد مما هو الآن .

ويجب علينا ان نصمم على وجوب تعليم الحقائق الفزيولوجية اولاً في المنزل ، ثانياً بالطرق العلمية في الكليات . وانني اعلم ان كلاً الاشخاص الخبثاء وادعياء الطهر الذين يقومون فى كل طبقة على المجتمع — سيضحكون ويعارضون فى هذا الاقتراح . ولذلك يجب محاربة هذه العصابة قبل البدء فى اقامة اى اصلاح

يجب ان يشجع كل ما يؤدى الى التفاهم بين الجنسين فى قلب الشاب والمرآة تجاه الآخر . يمكن استخدام الفن والروايات التمثيلية والشعر والقصص لخدمة هذا الغرض . ولكن يجب تجنب كل فن كاذب . ان علم الحياء يفيد فائدة جلّى فى ايضاح الغامض من الحياة

العضوية وفى بيان عمليات الطبيعة فى توليد النبات والحيوان . بمثل هذه الوسائل نستطيع فى المستقبل ان نخلص من هذا الوجل الفظيع غير المناسب والكاذب ، فنخرج شعباً جديداً نظيف العقل ، رجالاً ونساء .

سيكون الزواج فى المستقبل اكثر جاذبية لألبفى العزلة – اكثر مما هو هو الآن . ولن يكون عقد الزواج قاسياً في المطالب وفى ايجاب المعاشرة بين اشخاص قد فقدوا حبهم . ستوجد وسائل تسهل انفصال تام شريف دون حائل امام زواج ثان . ولن يطعن فيمن يقطع رابطة لم تعد تطاق . وعندما يكثر عدد النساء اللائي يستطعن ان يكفين انفسهن المؤونة فسوف لا ينظر النساء الى الزواج كوسيلة الى العيش .سيتزوج النساء من اجل الحب البرىء . وسيكون زواجهن من اجل الحاجة الطبيعية ، ولرغبة فيهن فى ان يعيشوا فى دعة وكسل ، او محبة فى منزل مستقل ، او فراراً من الأقارب ، او تجنباً لسماع تأنيب العالم النسوى القديم .

كثرت المناقشة حول « الحب الحر » في الثلاثين سنة الاخيرة. ولكننى لا استطيع ان اسرد ، ولو جزءاً صغيراً ، مما يقول الكتاب الثقاة والمصلحون عن هذه المسألة . الحب الحر هو لهؤلاء الذين لا يتحملون اى نوع آخر من الحب . ولست أرى سبباً فى ان يكون أفراد الأمة مجبرين على البقاء فى فراش زوجية لا تحتمل . ونحن

قدر من اجدادنا على تدبير فرص النجاح فى ذلك الحب عندما تزوج (جودين) من (مارى وولستو نكرانت)

لم يثبت الحب الحر فى حياة الأمم انه نصر لأنصار الاشترا كية فى الحب . وقد دل تتابع من الحوادث من عهد الملكة اليزابيت الذهبى الى التجارب المختلفة التى عملت فى بلاد الانجليز على أنه فشل . وبعكس ذلك فان الاتحادات الحرة بين اثنين من النساء والرجال المنفردين تكون سعيدة . فهذه محالفات زوجية بدون المراسم الدينيـــة أو التسجيلات القانونية ، وفى اعتقادى ان الرجال والنساء الذين يجدون سعادة في الزواج الحر الذى من هـــذا النوع يستطيعون ان يجـــدوا سعادة فى زواج رسمى . ولكن هـــذا لا يحل المسألة التى تتعلق بمـــاذا يجرى نحو الرجل المتعدد الزوجات والمرأة المتعددة المحبين . وهؤلاء الذين ليس عندهم غريزة الزوجية

يشاهد العداء الزوجي فى الازواج والزوجات الذين ارتبطت قلوبهم فى اعماقها تمام الارتباط . ويمكن ظهوره . وأحياناً يكون الظهور بحدة وبحرارة العاشقين . فيأخذ الكره مكان الافتتان وتنتثر اللعنات من شفاه طالما انغمست فى القبلات ويرتفع الغضب على اليد التى طالما كانت برداً وسلاماً . ما افظع التحول ! .

تقلب هـــذه المناظر أسس نظرياتنا الرقيقة وتجعلنا نصمت ونحزن ونطعن

أخبرني طبيب قد أتيحت له فرص لدراسة الطبيعة البشرية في جهات مختلفة من الكرة أنه لاحظ ان القتال شائع فى الحياة الزوجية فى كل طبقات المجتمع. ولا يمكننا أن ننازع فى هذا القول. فالهيستريا مرض منتشر فى رجال هذا العصر ونسائه، واكثر شيوعاً فى النساء. ويغلب ان تكون المرأة الهستيرية جذابة بعقلها وجسمها. لأنها حساسة ومحبة ووجدانية وكثيرة الحيوية وكثيرة التغير

ولقد كان اكثر القديسات والأبطال، والشهيرات الفاتنات، والشاعرات، هؤلاء اللاتي أبلين بلاءاً حسناً بأعمالهن العظيمة هستيريات. وقد اظهر كثير من نبهاء الرجال علامات الهستيريا

وليست الهستيريا شراً عظيما. ولكن قد تؤدى بعض المشاحنات بين المحبين والأزواج والزوجات الى وقوع حوادث بينهم. وقد تسبب مشاجرات عنيفة، وتسبب مشادة جسمية وحوادث قتل. وخصوصاً اذا اصيب كل من الرجل والمرأة بفقدان الرقابة على مواضع مجرى الدم

وفى الطبائع المتشبعة بالفن توجد هستريا ارقى مما تقدم. وينشأ من زواج محبي الفنون حوادث بين أفراد الأسرة لا عداد لها. على أنه من جهة أخرى قد أثبت زواج بعض محبى الفنون انه مثل اعلا وان الحب فيه حب شعرى طاهر.

وينبئك كثير من النساء، وربما اكثرهن، ان الرجل الذى يستطيع عند غضبه ان يمد يده الى المرأة انما هو « حيوان نذل ».

وان « القسوة » التى من هذا النوع لا تقبل الصفح والمغفرة . مع انه لا يوجد ما يبرر هـذا القول المسرف . إذ الشائع ، فى الأوساط المتمدينة ، انما هواعتداء النساء اعتداء ماديًا على الرجال.وهو مايشهد به كل طبيب له حظ كبير من التجارب . وفى اكثر الحوادث التى يدعي فيها بقسوة الزوج تكون المرأة هى البادئة بالشر . وقد روى لنا رجل ذو مركز سام فى المجتمع ان المرأة التى كان يهواها كانت تغضبه وتخربشه وتضربه فى وجهـه ، وترفسه برجلها . ويستطيع أن يروى لك هذا آلاف من الرجال . وكثيراً ما يحمل رجال من طبقة العمال الى المستشفيات لتضميد الجروح التى احدثتها زوجاتهم فى فترة الحدة . نحن لم نسمع بهـذه الحوادث لأنه اذا اتهم رجل سيدة بالاعتداء عليه- قوبل اتهامه بالهزء . وربما وجد القاضى، الذى يفصل فى الدعوى ، ينصحه بالعوة الى بيته حتى لا يكون سفيهاً أحمق !

تستفز المرأة القوية فى ارادتها المحنقه الغاضبة الرجل لمهاجمتها . عندئذ تنشب المنازعات بينهما ، ويهيج شعورها وتحرك لسانها بالتأنيب والصراخ ، وتنـذر زوجها بقارص الكلم ووخز الابر . واذا خرج من الغرفة تبعته رافعة صوتها المتعالى،وموغرة صدره الى الجنون. فان لم يكن لدى الرجل قوة خارقة لضبط النفس هاج غضبه . فيضربها بيده او يقبض على يدها ويطالبهـا بألاَّ تتخلق بخلق الأطفال . عند ذاك تصرخ المرأة بأن الرجل وحش مجرم وقاطع طريق . وانهـا

لا تبالى اذا سمع الجيران بذلك . يكثر جداً ان تكون المرأة هى البادئة بالضرب . ومن السخف الادعاء بأن المرأة الخشنة ، وهى تحت تأثير الغضب ، لا تضر ولا تؤذى .

وسوف لا أدهش اذا رأيت الكثيرين من النقاد بعد الاطلاع على كلامى هذا يتهموننى بأننى أتعمد الدفاع عن ضرب الزوجة بعلها أو تبرير ذلك الضرب . على ان صراحتى لا تمنعنى من ان أبوح بكلام خشيت ان يساء فهمه . ان الحقائق تدعو الى الحزن . ولكنها حقائق يجب تسجيلها كما هى من غير تشويه . اننا نسمع اتهامات مفزعة عن وحشية الرجال وقسوتهم . ولكننا نسمع قليلاً جداً عن الاستفزاز المريع الذى يلقاه الرجال من النساء قبل ان يفقدوا ما عندهم من ضبط النفس . وفى العدل ان يعترف الانسان بأنه يجب ان تعطى المرأة المتعبة الأعصاب ، الكثيرة الهم ، المثقلة بالامراض الفزيولوجية و بالاسرة الكبيرة و بزوج صعب — قدراً مناسباً للتنفيس عن كربتها . ولكن ماذا تقول فى المرأة الفاسدة الغنية المنعمة بفاخر الطعام ، والتى ينشأ ضيق صدرها عن داء عصبى مصدره اللهو والملل؟ ان هؤلاء النساء يرثى لحالهن ولكن لا يعذرن

فى الحرب الزوجية يكون كثير من النساء متعمدات استعمال القسوة واظهار البغضاء الوحشية مثل الرجال . ومن الحق « ان

الكلمات الصلبة لا تكسر عظاماً » ولكن الالسنة العاضة تطعن القلب . وأثر طعن الكلام يكون انكى وأشد وتكون الانفجارات فجأة وشديدة مثل شدة الرعد والبرق فى شهر اغسطس[1] . ويصعب العثور على السبب فى ذلك . على انه بعد انتهاء العاصفة تكون المرأة نادمة ومحبة . انهـا امرأة طاهرة القلب . ويجب ان يتلقاها الرجل الذى اساءت إليه وضربته بزراعيه وان يعترف بأنه كان واجباً عليه ان يكون اكثر صبراً وحزماً .

ان صبراً من أجل امرأة عنيـدة سائدة مشاغبة لهو صبر هرقليين[2] ولم يحاول اكثر الرجال هذا العمل . والزوج الهادىء ليس عنده ميل أو اهتمام من أجل مثل هذا العمل الغريب

ومثله الأعلا هو استبقاء السلام بأي ثمن . وعندما ترغي زوجته وتزبد — يطوى ذراعيه ويصغى فى سكون . وينزل عن كل شيء من أجل السلام . ويجتهد الرجل المكروب ، باستخدام ما للرجولية من نفوذ وتأثير في سياسة المرأة التى من هذا القبيل وأحياناً ينجح . وفى اكثر الأحيان يخفق . فتظهر معارك تنشأ من اعادة الكرة ويستمر الى الموت او الى انفصال متفق عليه يفصل الارتباط المعذب .

ويكثر ان تكون المرأة الحديثـة التى من الطراز المشاغب ،

(١) فى انجلترا لا فى مصر
(٢) نسبة الى هرقليس

قابلة للتعقل والحب . فاذا كانت تصغى مع سكون ، وهو موقف يضايقها — فانه يمكنك مع ثباتك وتعقلك وشفقتك ان تقنعها بأنها ليست دائماً فى جانب الصواب . وانه ليس عندك رغبة فى المشاغبة؛ ولست تنوى أن تصنع ما يدعوها الى المشاغبة ؛ او انك ستتساهل فى بعض المسائل لا فى كلها ؛ وانك تحترمها ؛ وانك قد حبوتها بكل عهد فى ذلك الاحترام عند ما اخترتها من بين جميع النساء اللواتى عرفتهن لكى تصير رفيقة ، دعاك اليها قلبك . وتجب المصابرة مع المرأة اذا كانت لا تصل الى مثل هذا البيان او ان تطرد من معيشتها معك . ومن المرجح انك ستعجز عن قطع العقدة وقبول الانفصال منها لأنه توجد حتى في النساء المشاغبات الغاضبات العنيدات قوة طلسمية ماكرة لجذب الرجل . فلا يبقى الا التحمل والقدرة على الصبر

يقال لنا كثيراً انه يجب الاّ توجد مسألة سياسة المرأة . ومن غير شك توجد أمثلة فيها يسهل التوفيق بين الازواج والزوجات ، او انهم يكونون من سعة الادراك بحيث لا يظهر ما يحدث من خلافات . ولكن لا يكون هذا صحيحاً إلا فى الزوجة فى عامة المخلوقات الآدمية . يجب الاّ يشعر أى رجل بعار اذا كانت تدبره زوجة عاملة محبة مخلصة . ولكن مَنْ مِنَ الرجال يستطيع عيشة سعيدة مع امرأة — طبيبة ماهرة في الجراحة ؟

ان القول بعدم وجود سياسة فى الزواج انكار لاوضح حقائق

الحياة . لقد خلق اكثر النساء مدبرات للرجال . واذا أراد الرجال ان يحتفظوا بهذه الحرية التي هى الآن ميزتهم الخاصة المدعى بها — يجب عليهم ان يتعلموا كيف يسرون النساء . وأرجو ان يُسمح لى بأن أفسر ما أقول باتخاذ مثال « تربية الخيل » وهو فن مارسته بعض الممارسة : إذ أن من الواجب على المدرب الماهر الاّ يخطىء فى معرفة نفسية الجواد . يجب عليـــه أن يدرس « المهر » كما يدرس الطبيب خواص الطفل . فبعض الخيل على استعداد للغم ، والبعض للرفس ، وفى البعض رقة ولطف ولـكن مع عناد ، والبعض الآخر حاد الطبع وهكذا . ويمكن اصلاح الجواد المشاغب بشدة محكمة . ولـكن قد يفسد جواد باستعمال السوط فى قيادته . على أنهُ من وجهة عامة يجب ان يكون استعمال السوط فى سياسة الرجال والنساء والأولاد والخدمة رمزاً اكثر منه اداة . وكل فن الادارة متجمع فى الملاطفة النفسية والحزم . والقوة الوحشية ، فى العادة أو ربما على الدوام ، اسوأ وسيلة وأقبحها . وانا عليم بأن القوة هى خلق انجليزى . ولـكن ليس هذا حجة وقلما يكون معقولاً .

لقد قلت إن النساء خلقن سائسات للرجال ، مدبرات لأمرهم طبعاً أن واجبات الامومة تجعلهن مدبرات ومنظمات ولـكنهن فى الأغلب مدبرات سيئات خشنات ولسن اساتذة مفكرات في الطبيعة البشرية بالطرق العلمية ، لأنهن يعتمدن على القوة كما يعتمد الرجل

على القوة . ولكن استعمال المرأة للقوة يختلف عن استعمال الرجل لها
تستعمل المرأة قوتها بدافع دعوة الى الخير فى الرجل . وقد تعلمت
كيف تستخدم هــذه القوة بتأثير ظالم . اذا اخطأت المرأة فانها
لا تلبث ان تعود فتستولى على زمام الزوج المهان المضرور بالتجائها
إلى غريزة حماية المرأة التى ركبت فيه . فهى تبكى وتستخدم أندر
الفنون فى بعث الرحمة والرفق . ولا يستطيع رجل ان يقاوم فنونها
إلا اذا كان المستعطف خامد الشعور فاتر . لا يمكنك ان تدوس
على ذلك المخلوق المرتعد الباكي ، الذى تغمر دموعه رقبتك ، ويخفق
قلبه على صدرك . أنت تستسلم.ولكن هل تستسلم بمهانة ؟ نعم ، أحياناً ،
لأنها كثيراً ما تكون هى المخطئة ، والمحتالة الماكرة ، والطفلة الفاسدة
التى تعتزم ان تظفر بك دائماً

حتى المرأة القوية عقلاً ، التى تأبى أن يُعبَّر عنها بأنها « مضللة »
تعلم ان آخر دعوتها هو الالتجاء الى غريزة الحماية والغيرة فى الرجل .
« فى التضليل » الذى هو قوة فى يدها . وان آخر هموم من المرأة
انما هى على ذلك الجانب القابل للجرح من وجدان الرجل . ولذلك
توجد ظروف توجب على الرجل ان يحتفظ بدرع صلب للوقاية من
هذه الهجمات . ان فى التسليم ، فى حالة ما اذا كانت الغريزة والاقناع
يدعوان الى الرفض البات ، ارتكاب خطأ قد يترتب عليه ظلام
الحياة كلها بالنسبة الى الرجل وبالنسبة الى المرأة أيضاً .

يجب على الرجل ان يذكر من أى مادة لينة قد تكوّن . ان اصابع المرأة الرقيقة الجميلة التى تخلب لبه – يمكنها ان تشكله فى قالب، لا يستطيع معه ان يتعرف صورته . وذلك هو السبب فى ان كثيرين من عظماء الرجال ، الذين سمت مطامعهم وعظمت آمالهم . ومن الفلاسفة المصلحين، والفنانين،والسياسيين والحبور عاشوا عيشة الانفراد والوحدة وتجنبوا هذا التشكيل فى أيدى النساء . ألم يعترف عظام اساتذة الدين بأن أهم رغبة للرجل فى الحياة هى أن يعرف كيف يسر زوجته ؟

قال « نيتشه » [1] ان المرأة – فى الأصل – غير قابلة للوفاق والسلام . ومن نقائص النسوية الشائعة جداً الاستفزاز والميل الظاهر الى المحاربة الكلامية . السبب فى الغالب طبيعى فيزيولوجي يتعلق بالحياة الجنسية المركبة للمرأة.يجب ان يصبر الرجال على النساء . لأن النساء يتحملن فى تربية الشعب من سن الحداثة الى سن الكهولة

ومن جهة أخرى فقد يكون اظهار القوة أو حتى اعمال القسوة ضرورة من أجل ان تساس بعض النساء المصابات بالهستريا . ويغلب ان يكون عدم الوفاء أو عدم الاخلاص هو الباعث للنساء على اتهام الرجال بالخشونة . وتستحق المرأة العنيدة ان تعامل بقدر معقول من الخشونة اكثر من اسداء النصيحة اللطيفة . وليس اكثر الرجال لطفاً وأدباً هم اكثرهم حظاً من حب النساء . فان الانثى تنتظر ان

---

(١) نيتشه Fredrich Nietzche

يكون فى الرجــل شىء من الخشونة . على ان الرجل الذى يستطيع ان يكون خشناً يجب ان يكون رحيم القلب . يحمد اكثر النساء ويسرهن ويأسرهن احترام الرجال إياهن .

على ان بعض النساء يؤثرن الرجل الذى فى اخلاقه خشونة حادة وانك لتكون ناقص الادراك والتمييز اذا كنت لا تعرف ما يلائم المرأة التى تختارها . ولــكن مع ذلك فان المرأة ، بخلقها المتغير ، تتغير من يوم الى آخر . فما يعجبها فى الصباح قد يسوؤها فى الليل . والحقيقة ان النساء يجعلننا منهمكين فى البحث عما يرضيهن . وأحياناً .. تذهب كل مجهوداتنا عبثاً !

وقد يفيدنا ان نظهر قليلاً من الفتور أو الاغضاء أو ما لنا من مقدرة على توليد الغيرة . ومتى كانت المرأة مشاغبة هوائية ، كثيرة الشعور بأنها امرأة فانها لا تلبث ان تسيطر عليك بهذه الوسائل اذا كنت عاجزاً عن جلب السرور لها . لذلك يجب عليك ان تعاملها بسلاح مكرها واداة حيلها . فاذا كانت ما تزال بك مهتمة فانهـا ستغير حالها وتعود الى حواسها ولو تظاهرت أول الأمر بعدم الاهتمام

ولكن لا تكن شفيقاً جداً عند ما تؤلمك المرأة وتطردك من صحبتها . اتركها وحدها زمناً لا تعد اليهـا متشفعاً ما لم تكن قد اشتقت الى لسعة وزجر منها . اذهب الى الملهى واصحب معك امرأة أخرى من صديقاتك ما أجمل هذه المسائل كلها !

الفصل الخامس

العراك في الاسرة

تكون تربية الأولاد منشأ كثير من المنازعات التى تقوم فى الحياة العيلية بين الوالدين . ويحتمل ان يزيد تقلُّب الاحوال الجديدة هذه الاختلافات . لأن ابنة هذا الزمان ثائرة ، فتيــة ، عنيدة أو مصممة . وهي قادرة على بذر الخصومة بين الوالدين . وان توجد بينهم قطيعة وجفوة . هذا على نقيض ما كان عليه الحال في حيــاة الأسر المنصرمة حيث كانت الابنة تُضحى في سبيل رقى الابن وفى سبيل راحة الاب والأم .

كانت مهنة البنت هى الزواج . وما كانت بها حاجة الى التعلم والى التدرب تدريباً عالياً لكى تقوم بشؤون تلك الحيــاة المنزلية . ولقد كان هذا هو قاعدة السيادة الأبوية على البنات .

لـكن الفتاة الحديثة آخذة فى تغيير كل ذلك . فهى تتكلم عن حياة استقلالية ، وهى كثيراً ما ترغب فى الفرار من المنزل . وفى أن تكسب بنفسها كفايتها من العيش . وقد أمست تسخر من الفكرة القائلة بأن الزواج هو الغاية أو القصد الوحيد من حياة المرأة

ويبلغ ما ينفق على البنين فى الأسر المتوسطة المتيسرة مثلى ما

ينفق على البنات على الأقل . وأما فى الطبقات المنحطة فلا يوجد من المال ما يكفى للانفاق حتى على تربية البنين فضلاً عن البنات . ولكن حتى فى هذه الحالة قد جرى القياس على ان البنين يجدون تعليماً مدرسياً اكثر مما يجد البنات . ولذلك فالبنات ثائرات فى وجه عدم المساواة وهن يطلبن أن يتاح لهن فرص الحياة ، وأن يفسح لهن فى مجالها كما هى متاحة فسيحة لاخوتهن . وان انت أنكرت عليهن هذه الفرص فلا تستغرب إن غضبن لانكارك

ينسى الرجال ،عندما يتكلمون عن عجز النساء وعدم كفايتهن ، أن يذكروا ان النساء قد منعن من استعمال ما عندهن من استعداد وكفاية . وسيظل أمام النساء زمن يجب ان يجتهدن فيه لمحاربة هذا الضرر الناشىء من معاملة الرجال من هـذه الناحية . وستستعر الحرب وتصلى سعيراً أليماً فى دائرة المنزل والاسرة

حتى (نيتشه) بطل الطبقة المفكرة الحديثة في كلا الجنسين كتب شيئاً ليس فيه غناء عن النساء الماهرات وعن استعدادهن للتعلم . حتى هـذا الاله النصفى الذين يؤمنون أشد الايمان بمبادىء « ما فوق الخير والشر » يهزأ بالمرأة وعقلها فى قوله « حتى لو كانت المرأة تميل الى الحياة المدرسية فانهـا لا بد ان تكون ، مع ذلك ، ناقصة شيئاً فى طبيعتها الجنسية . يجب ان تعامل النساء على مثال

الطريقة الشرقية » ثم يصف « نيتشه » الرجال الذين يوافقون على المساواة الجنسية بأنهم « ذكور ضعاف العقول »

ولقد قال الرجال فى كل العصور « اذا كانت المرأة غبية فلا تضيع وقتاً فى تعليمها » ونظراً لأن النساء ، من ناحيتهن ، قد قبلن آراء الرجال تجنباً للمقاومة والمعارضة وما ينجم عنها من عواقب — فقد كان الدور الذى لعبنه فى العالم ، فيما مضى ، هو تمثيل الغباوة والبلادة إرضاء لآبائهن واخوتهن وازواجهن . أما الآن فان النساء على استعداد لمحاربة ذلك النظام العتيق بقوة السلاح . ولقد حان الوقت الذى فيه يرفعن راية العصيان . ولن تؤدى ثورتهن هذه الى حفظ السلام فى البيت والأسرة . ولذلك فى استطاعتى ان اذكر عشرات الأسر تستعر فى داخلها تلك الحرب الجنسية فى الوقت الحاضر . وان « آن فيرونيكا » فى الرواية التى وضعها « جون ويلز » صورة حقيقية تمثل العراك الذى يشعله النساء ضد استبداد الآباء

والأب البريطانى هو أحد اسباب هذه الحرب .أنه الآن يدفع ثمن خطأ ارتكبه جنسه واسلافه الأقدمون وليس علينا إلا ان نرثى لحاله. ما أشق صدر هذه النفس الجديرة بالاشفاق ! لقد انضمت (مود) الى جماعة المطالبات بالانتخاب . وتركت (بريس) المنزل وصممت على ان تكسب عيشها بالتحرير على الآلة الكاتبة . وقد أصبحت (اني) مفكرة ومتقدمة ! وهى قد انضمت الى جماعة أنصار الفنون .

وتتحدث عن مبادىء اجتماعية خطرة . وتتكلم بلغة الزنادقه . ويشعر الأب المسكين بأن أساس منزله الصلب « يرتفع من تحته » . ويشهد مصرع أفكاره العتيقة التى يتصور بها مركز النساء الاجتماعى ينهار حول تاجه العارى

حقاً ان هذا الموقف مؤثر . ومع أنه قديم ومع أنه ظاهر وشائع فان الآباء فى كل جيل جديد لم يتألفوه بعد

أيها الأب البريطانى العزيز . أنه ولو أن نصفاً من عقلى يعترف بموقفك المحزن فان النصف الثانى يبعث فيّ سروراً لأنك حُملتَ على الخصومة . فلقد تمتعت بحكم طويل ، طويل جداً مثل الباشا الشرقى فى قصره بين خدمه وحاشيته . وقد ارتكبت فى عهد غباوتك خطأ عظيما . فقد سجنت جمهور النساء وأغلقت الباب بالمفتاح . ولقد فللت عزيمة بناتك على اختلاف صنوفهن ، وقدرتهن ،وحرية التعبير عما فى نفوسهن . اللهم إلا ما تعلق بصفة الأمومة التى هى خلق المرأة الطبيعى والذى يبعث فى نفسها الشفقة والحنان لأولادها ولذويها وللناس أجمعين . ولقد عقت رقى المرأة بمئات الوسائل

ولقد كان الأب البريطانى يجد فى حليفته (وهى الأم البريطانية) الخاضعة له كثيراً أو قليلا عوناً على تصرفاته القاسية نحوها . صحيح أن النساء كنّ يساعدن الرجال ويشجعنهم على سحق جنسهنّ ، واختبرت المرأة هنا وهناك ان تجهر بحقوقها فى وجه المعارضات التى

تبدو من الرجال ومن النساء . على ان جمهور النساء ، اللواتى يعتمدن على الرجال فى كفالة معيشتهن ، اضطررن لأن يخضعن لسيادة الرجل . وقد انشأ هذا عداء بين الجنسين فى العلن وفى والخفاء

يتآمر الوالدان على حرية الابنة ولربما كانا غير شاعرين بهذه المؤامرة . وربما كان غرضهما حفظ النسل ووقايته ، مع ذلك فان من شأن هذا الغرض أن يرمى الى وضع البنات وحدهن فى ناحية ، والمعلومات التى يراد منع النساء من اقتنائها هى ذات المعلومات التى هن في حاجة اليها . ولقد شاعت الكوارث التى يحدثها جهل النساء الى حد ان الناظر اليها ، ولو كان جامد الشعور ، يتحرك فيعجب من ان تكون التربية التى تعطى للمرأة خرافة ولدت من امخاخ المجانين . وقلما تحدثت مع سيدات فى موضوع من المواضيع دون ان اسمع تاريخاً مذكوراً عما كان من الألم والخطأ فى الطريقة التى ربيت عليها النساء فى المنزل والمدرسة على السواء

ان المرأة الراقية ، بكل ما فيها من اخطاء فى تقدير علو منزلتهما ونقص في عرفان مساوىء والديهـا وذويها القدماء ، هى أحسن حالاً وأقرب خيراً ممـا كان عليه سيدات الجيل الماضى (اللاتى لم يعرفن غير الخبز والزبدة) . وقد أصبحت صالحة لأن تكون قرينة رجل متعلم . وان تلد أولاداً أوفر صحة ، وأقدر على تربيتهم بتعقل ، وأدنى ان تؤدى خدمات للمجتمع أكثر من ذى قبل . على أنه يخشى من

رجوعها الى الوراء بعـد تقدمها السريع ، وهو أمر لا يمكن تجنبه اذا قضت به ظروف ، كما أنه يخرج عن حدها عند غضبها ، لأن حياتها حياة مخاصمة ومحاربة ، أنهـا تنتسب الى العصر التالى وهى لذلك متطلعة متعصبة

تمسك المرأة الحديثة الراقية بحقها فى تعليم صحيح وهى تأبى ان تنفق وقتها فى اللبس وفى ابتكار الفنون لأسر قلوب الرجال . وهى ، بقدر ما تستطيع ، تفر من بيئة المنزل وتسير فى الدنيا حسبما تشاء طليقة غير مقيدة ، وتعيش فى منزل خاص بها ، وتكسب عيشها ، وتبحث عن صحبة الرجال والنساء الجادين المتعلمين ، وتشيد مقياس الحرية ، وتعامل الرجال كأنها ذات سلطان عليهم . وتهتم بأن تقنع الرجال بأنهم لا يستطيعون أن يعملوا بدونها . ولكن مع ذلك كله ما زال بها عاطفة حب . واذا سطا عليهـا سلطان الغرام لم تكن فيه بنصف قلبها فقط ، ولـكنها تكون صريحة فى تعلقها

اذا عزمت فتاة ان تعيش وحدها ، معتمدة على جهـدها — ألتزمت بدفع غرامة ثورتها . لأنها ستتألم بسبب فصمها العرى المنزلية والمؤثرات فيهـا ، وخصوصاً اذا كانت متعلقة بأبويها . فلقد كان والدها ينصح ويأمر ويهدد . وكانت أمهـا تبكى من أجلها فتسيل دموعها على رقبتها . فاذا ذكرت المرأة الراقية الحديثة ذلك اهتزت

لهذه الذكرى ، وهى سائرة في مجاهل لا تعرفها إما بدافع الخوف أو بداع من حب الاستطلاع .

وعند ما أرى هذه الفتيات المتحمسات قادمات من « توتنج » مع وضوح العجب فى أعينهن وشفاهن مطبقات أذكر (سانتا تريزا) قادمة من (أفيلا) باحثة عن الاضطهاد فى المراكشيين ، أصوات من الارض الموحشة تزعجهن . والاشجار تنفتح أمام انظارهن . وهن يخرجن يواجهن عنف الحياة ويذقن حلوها .

لقد تلقت المرأة الراقية الحديثة من إبسن وبرنارد شو ونيتشه وجراهام والاس ، ومن الكتب الخرافية افكاراً اخترقت مخها المكدود ، وهي امرأة متعلمة تستحق العطف ، فانها فى يوم تنبئك أنها على أهبة للموت فى سبيل تقرير حق الانتخاب للنساء . وفى اليوم التالي تنغمس فى العلوم الاقتصادية والخضراوات أو الحب الحر . تستنبط النظريات بمناسبة وبغير مناسبة (فى كل الاوقات) . وترى فى الدنيا سهلاً مسرحياً منبسطاً أمام اصلاحاتها ، وتبعثها همتها التى لا تكل على حضور الاجتماعات والمناقشات والمحاضرات والفصول . ومجتمعات البيئات المفكرة . وهى تمتص الآراء كما يمتص الاسفنج الماء . ولسانها فصيح وهو أسرع من أفكارها الكثيرة الابتدائية . وتحل لك نصف المعميات التى فى العالم

ثم تقول بأدب وفى احترام « لست الى الزواج أقصد ، أننى

أريد ان اعيش كما أريد » ، وهى ترى فى النساء المتزوجات «متاعاً» ليس غير كالمرأة الهندية فى الامريكتين وهى تجتهد ان تحمل الرجل على الاعجاب بعقلها ، وفى ان تخفى صفات جنسها بلبسها بدون اعتناء ، وباهمال شعرها ، ولبس حذاء عريض المقدمة ، وبتحركها حركات لا تكلف فيهـا ، ولـكنها تحاول ، مع ذلك ان تجذب رجالاً من صنف معين ، والمعجبون بها مثلها . وهذا هو السبب فى أنهم يفهمونها ويعرفون جانبها الأعمى ؛ وهم ليسوا مثل الفلسطينين الذين يعاملونها بغير اكتراث بسبب أنوثتها

ان الرفقاء المختارين للمرأة الراقية هم أقدر المتملقين فى العـالم ، فانهم يحولون الحـديث بالمناقشة فى برناردشو ، والتياترو الملـكى ، الميزانية والزراعة الاجبارية فى الاراضى البائرة ، ذلك الحديث الذى يسمحون فيه لها بأن تخالفهم وتصحح لهم وتعلمهم ، وهم يجلسون عند قدم استاذتهم مصغين فى احترام ، ويتفننون فى مجاملتها بذكر ما لها من تفوق على النساء العاديات ، وتمجيد شجاعتها العلميـة وتشالها المذكور بالنسبة لما فى جنسها من حمق ، وباخلاقها الساميـة التى لم يسبق منها مثال

وفى مداعبة طبقة الفتيات المفكرة منظر لطيف يجلوالهم فانهن ينكرن انهن مشغولات بغرام . ولـكن غطاء مكرهن شفاف . تدعى الفتاة الراقية الحديثة أنها تكره ان يكون الاعجاب بها راجعاً إلى عينيها

وشعرها . ومن جهة أخرى يدرك الشاب الراقى أنها سوف لا تلبث ، ان عاجلاً وان آجلاً أن تستاء من عدم الاهتمام بمحاسن جسمها . ولذلك فهو يدرس كيف يقرظ شخصها من الناحية العقلية . ويحدث أحيانًا ان خطيبًا صحيح الجسم قويًا محتالا يمسك الفتاة الراقيـة من خصرها ، ويخرج بها ويخضعها تمام الخضوع بقوته الحيوانية ، وبميزاته الطبيعية ، لأن الابنة الراقية « بعد كل شىء » من نسل حواء . وكما يقول كبلنج « امرأة الـكولونيل والمسز جودى أو جرادى اختان تحت جلدهما »

وقد أصبح الفرار من الحياة المنزلية وسجنها أسهل فى كثير من البلاد عما كان عليه الحال من قبـل بسبب إنشاء أندية للسيدات خاصة ، وبوجود أندية تسمح بدخول الرجال والنساء معًا . ومن منذ ثلاثين عامًا لم تكن هذه المنشآت معروفة . أما الآن فهى معروفة ومنتشرة فى لندن . وعلى كل حال كان تأثير انشائهـا ، على الوجه العام ، حسنًا . ان الاندية المختلطة تلطف طباع الرجال وتمدهم بمعلومات اكثر عن أحوال النساء ، كذلك هى تدفع الى إزالة سخافاتهن ، وتكسر الحائل الجنسى . ولـكن تحدث حوادث مشينة فى بعض الاحايين . وأمثال هـذه الحوادث يقع فى أديرة الراهبات . وفى مجتمعات الـكنائس

ويستعمل النساء أنديتهن مثلما يستعمل الرجال أنديتهم . فلهن

غرف التدخين . وهن يشربن النبيذ . وأحياناً الوسكى بالصودا . والمرأة الراقية هى امرأة الأندية . ويقضى بعض السيدات ساعات النهار كلها فى أنديتهن . ولكننى لم أسمع أن الأزواج والأولاد قد أهمل شأنهم كنتيجة لغشيانهن الأندية . ولو أنه قد يحدث مثل ذلك وعلى أية حال فان الأندية المختلطة قد ساوت بين الرجال والنساء ، ورمت الى تقليل الاختلافات الجنسية المعهودة .

تقول لك المرأة الناهضة « تعال الى نادىّ » . أنت تطيع وأنت تُدعى الى تناول الشاى فى غرفة التدخين . ويعطى لك الغليون (البيبة) . وتحدثك مضيفتك حديثاً شيقاً ، ان لم يكن عميقاً . فتشعر كأنك فى البيت اكثر مما تشعر لو أنك فى غرفة استقبال ، وبمضى الوقت فى سرور وفائدة . وكلما كثر عدد هذه الأندية المختلطة طاب ذلك لفائدة الرجال والنساء لأن هذه الاندية تساعد على تخفيف العداء الجنسى

ولا تثمر الأندية الخاصة بالنساء وحدهن من الفوائد ما تثمره الأندية المختلطة . لأنه عند ما يتجمع أفراد الجنس الواحد تظهر صفات أفراده الكريهة . فالرجال يميلون الى الحرية والصراحة . وهما صفتان جديرتان بالمدح ما دام الرجال محافظين على الجد واللياقة والأدب . أما اجتماع أفراد النساء بين بعض وبعض فيدعوهن الى

التحدث عن أساليب الخداع ، وتسرى عدوى الختل والنفاق من الواحدة الى الأخرى .

ومما هو داخل فى باب سياسة المرأة الحديثة ما نريد أن ننصح به الآباء والأزواج،وهو ان يشجعوا جمهور نسائهن على غشيان الأندية المختلطة . لأن المرأة التى تقضى وقتها داخل المنزل يضيق نظرها الى الاشياء ، وتتعرض للغضب والكدر ، وعبوسة الوجه . ولذلك يتألم جمهور السيدات اللواتى يعشن فى الضواحى وفى بلاد الريف من عدم وجود اجتماعات ليحضرنها .

الفصل السادس

النزاع فى كسب العيش

قد انتهت معركة الجنسين ، فى سبيل الحصول على قوام المعيشة، الى منظر مخيف . إذ يشكو الرجال من ان النساء طردنهم من المهن والحرف ، ومن ان شغل النساء يسبب قلة الأجور . وهم يقولون « أنه لن يمضى غير قليل من الزمن حتى يصل الرجال الى ان لايجدوا عملاً اللهم إلا أشق الاعمال وأخشنها » . وقد بدت الغيرة فى الرجال منذ مدة طويلة بسبب غارة النساء على ميادين الصناعة . ولكن كان دخول السيدات فى مبدأ الأمر واحدة بعد واحدة . أما الآن فهنّ يهجمن فى كل مكان .

هذا التعبير له معناه . فهو يدل على الرغبة الشائعة فى نفوس النساء بوجوب استقلالهن اقتصاديًا عن الرجال ، ويشهد بأن المرأة الحديثة ليست بذلك المخلوق الوضيع ، ولكنها ذلك الانسان الحاصل على قسط كبير من الهمة ، وعلى مقدرة عظيمة على العمل . ويذكر البعض منا تلك الأيام التى كان فيها أبواب مئات من أنواع العمل والخدمة موصدة فى وجه النساء . نستطيع ان نذكر المعارضة المرّة أو الوحشية التى اظهرها الرجال نحو السيدات الراغبات فى صناعة الطب.

ولقد سلك الرجل فى ذلك الحين مسلك الغباوة والنذالة . وقد يشهد هـذا السلوك ذاته على نفسه هو عند ما نرى المرأة تطالب بأن تطبق القانون بنفسها

لماذا لا يكون النساء وكلاء دعاوى ومحامين ؟ ان المس « كريستيال بانكهرست » وهى سيدة ذات عقل كبير وخلق جميل لكفو لأن تشغل مكاناً مع مستشارينا . ان الوقت الذى فيه يجلس النساء مع الرجال فى مجالس القضاء لهو آت . وسيأتى يوم يرى فيه أحفادنا امرأة رئيسة للوزارة .

وتستخدم المرأة الآن فى كل أنواع الوظائف والاعمال التى كانت فيما مضى مغلقة موصدة الأبواب دونهن . وقد كانت اكثر الفائدة فى جانب اصحاب الأعمال لأنهم استطاعوا ان يجدوا نساء يقبلن أجوراً يحتقرها الرجل . والنساء يُقبلن على كل مهنة وحرفة تقريباً. وهنّ بادئات تحقيق وجوب التئام شملهن لكى يحمين مصالحهن .

وأننى أخالف رأى (بيبل) ومذهبه حيث يقول أنه يجب أن تبعد المرأة من العمل بالمرة . ان نصف متاعب النساء عائد الى عدم استعمالهن عقولهن وأيديهن استعمالا كافياً . وكلما زاد عـدد النساء العاملات – كثر عدد المسائل المجتمعة المحلولة فيصبح النساء أوفر صحة ، وأسعد حالاً . يعيش نساء الطبقة العليا وأغنياء الطبقة المتوسطة عالة على الرجل . ومدار حرفتهن كلها مسرة الرجال ، وهو عمل شرقى

حقير كما يقول نيتشه . والنساء ، اللائى لهن أغراض أخرى فى الحياة بجانب « تزيين المنزل » وزيادة عدد السكان فيه ، يثرن فى وجه هذا الرأى . ولا تستنفد حمل الطفل وتربيته كل همة المرأة . هذا فضلاً عن النساء غير المتزوجات واللائي ليس لهن من الاعمال المنزلية ما يستغرق وقتهن ، ويستنفد ساعات حياتهن

وكثير من النساء قادرات على العمل البدنى . وهنّ يزددن جسماً وعقلاً كلما استعملن عضلاتهن اكثر مما لو بقين كسالى . ولم أرَ أجمل ولا أقوى من النساء العاملات فى شمال البرتغال . فان الرجل لا يستطيع ان يجتاز هـذه البلاد دون الاقتناع بأن هؤلاء النساء أبسط روحاً ، وأصح جسماً ، واحسن تهذيباً من النساء الجميلات فى اوبورتو وليشبونه . وأننى لا أدافع عن النساء المشتغلات بالسلسلة والمسمار ، وذوات الأجور البخسة فى انجلترا . ولـكننى أتحدى الرأى القائل بأن المرأة لا تصلح – طبيعةً – لمجهود عضلى

يجب دراسة المنافسة الجنسية فى اكتساب العيش على اعتبار أنها شكل من اشكال العداء الجنسى . وما دام ان الرجال هم كاسبو العيش الوحيدون فقد ملـكوا وظيفة الحاكم فى المنزل . فالزوجة التى تعتمد فى طعامها ومائها وغذائها اعتماداً كلياً على مكاسب الزوج هى نوع من أولئك البائسين المعدمين . وكل رأس مالها هو قدرتها على الاغواء والقبض على الرجل الذى يقدم الطعام

ألا يدرك الرجال الذين يعادون فكرة استخدام النساء فى الاعمال أنه بالرغم من هذه المنافسة المدعاة فانه لم يلحق الرجل غير قليل ضرر بهذه المنافسة؟ إذ يرغب اكثر الرجال فى اختيار زوجات ويزيد عدد الرجال الذين يبكرون بالزواج كلما توافرت لديهم وسائل كفالة أسرته. واذا كانت كثرة النساء العاملات تهدد بتقليل عدد المنافذ الصناعية التى للرجال فانهن يحضرن قمحاً الى طاحونة الاسرة. وبهذا تزول من المنافسة أحد اخطارها. ومن الواضح ان الزوجات المحترفات تكلف الرجل من النفقات أقل مما لو كانت لا تشترك بشىء فى المصاريف المنزلية

ان المسرح لمهنة توضح المساواة الاقتصادية فى الرجال والنساء. فالممثلون يتزوجون فى الغالب من الممثلات. ويقوم كلا الزوج والزوجة بكفالة أنفسهما. ولا يتمشى هذا النظام هذه الحرفة بعينها. ولكنه سائد أيضاً فى حرف أخرى كثيرة.

ويميل الرجال والنساء الذين يشتغل بعضهم بجانب بعض الى فقدان جزء من العداء الطبيعى. ومن أهم المسائل ان يشتغل النساء كيلا يعشن مكبلات فى غم ومرض. أعط زوجتك كثيراً من العمل، واجعل ذلك وجهة سياستك. لم يمض زمن طويل على قول قاله شيخ مسن « لما كان عند زوجتى اطفال كانت راضية سعيدة. وكانت تعمل عملا كاملا. ولكن، وقد كبر الأولاد الآن، أصبحت هوائية، متبرمة بالحياة والمتاعب »

يجب ان يشتغل النساء كثيراً ولكن يجب ان يعنى بعدم انهاك قواهن. يستطيع الرجال ان يسلوا أنفسهم بالالعاب و بركوب الخيل كما قلت قبلا. ولكن لا يتسلى اكثر النساء بهذه الالعاب. وعندهن شغل الابر ينكببن عليه كحرفة يمضين فى مزاولتها ساعات طويلة من الفراغ. وليس شغل الابرة عملا صحياً. والمرأة التى تخيط أو تغزل لا يمكنها ان تتخلص من نفسها كما يفعل الرجل عند ما يلعب الجولف، أو يذهب الى صيد الاسماك. إنها تفكر كثيراً فى نفسها ومجهوداتها، وجمالها الآخذ فى الذبول، وفى نقائص زوجها، واشياء أخرى كثيرة. يستفز شغل الابرة الاعصاب. وهذا العمل لا يتفق مع الاشتغال بالنظر الى النفس اشتغالا عميقًا جداً. واكثر النساء مشتغلات بالنفس طبيعة.

شجع زوجتك على ان تشتغل فى حديقة. دعها تحفر وتعزق وتستعمل حصادة المرجه. وشغل المنزل مناسب للنساء. و إننى اعرف سيدات أمسين احسن صحة بعد طرد خادم أو اثنين وتعهد المنزل، وتميل المرأة فى الطبقة المتوسطة الى الكسل. وينتج لها من ذلك ان تكون مضناة سيئة الخلق، تصعب معاشرتها. وعند ما لا تجد المرأة عملا تنهض به — تحس بالحقيقة المريعة... وهى أنها امرأة

واذا كانت المرأة لا تعمل فيجب عليك ان تشجعها على اللعب ودعها تنضم الى أندية التنيس ولعب الصولجان. علمها ان تحرك

المقذاف ، وأن تبارز وتصارع – علمها أى شيء يقوى طبيعتها و يسكن و ينظم جهازها العصبي .عدم التمرين على مثل هذه الالعاب هو داء كثير من النساء خصوصاً اللائي يعشن فى المدن . وما ذهبت فى وقت من الاوقات الى مجتمع من النساء من الطبقة الوسطى بدينات الجسوم ، منتفخات البطون ، عسير عليهن هضم الطعام ، ضعيفات دون ان اغريهن على ان تستعمان مدة ثلاث ساعات، عزيق اللفت كل يوم . ومن الواجب ان نؤكد حاجة المرأة للعمل واللعب . فالمرأة الكسلى هى المرأة التى فقدت الصحة .والمرأة المريضة رفيق سيء . وقد ثبت ان ركوب الدراجة مفيد للسيدات فعليك ان تغرى زوجتك بكل الطرق على ان تدير دراجة بقدر ما يسمح لها الوقت واذا استطعت احضر لها أيضاً سيارة تقودها بنفسها . لكن الدراجة أفيد فى تحريك الاعضاء وتنشيط القوى ؛ وامنعها من شغل الابرة[١] بكل الوسائل التى فى استطاعتك؛واطلب منها ان تغتسل فى الحمام البارد والفاتر ؛واعمل على ان تمرن نفسها خارج الابواب وفى كل أنواع الطقس . و يشبه كثير من النساء القطط . فهن يحببن ان يرقدن بجانب حرارة أو موقد ، و يتعبن من تناول الطعام . فاذا كنت تأخذ مخلوقة من هذا النوع الى منزلك فانك ستمضى وقتك فى أعصاب،وهستريا، وضعف عقلى، وصداع ، وأنواع أخرى من المرض ، والمضايقة ، وتذاكر الاطباء .

(١) هذه نصيحة للانجليزيات

ان الجهاد فى سبيل العيش فى البلاد « المتمدينة » يجر عدداً كبيراً من النساء الى تلك المهنة العتيقة التى لا نود أن نسميها. هذا « الاثم الاجتماعى» هو مثل حاضر فى النزاع بين الجنسين. وسببه الأكبر هو، كما يقول مشاهير الباحثين المشهورين، هو كون المرأة تابعة للرجل. ولا شك فى وجود صنف النساء العاهرات ولكن أظن أن لمبروزو وكتاب آخرون بالغوا فى وصف النساء فى اتخاذ هذه المهنة. بالطبيعة السبب الرئيسي اقتصادى. وقد بحثت بحثاً شخصياً واسعاً، واقتنعت بأن الفقر اكبر باعث. وسنبين لك هذا بتفصيل واسع فى فصل آخر

ولا يمكن ايجاد فارق كبير بين المرأة المعيلة، التى بدون أن يحركها حب حقيقى، تحل مسألة فقرها بالزواج و بين المرأة التي تحترف بالعهارة المأجورة، الاثنتان ضحيتان. الاثنتان مدفوعتان بالحاجة الاقتصادية الأساسية عند كلتيهما. والاضطرار الى الزواج غير المشوب بالحب من أجل العيش هو القدر المقدور لعشرات الألوف من النساء. وهو قدر لا يمكن تحمله الى الأبد. والحركة النسائية هى رئيسياً، معركة من أجل المساواة الاقتصادية بين الرجاء والنساء. وعند ما يصبح الناس احراراً اقتصادياً لا يبقى فى صف العاهرات مشوهات الخلقة، ونساء المدينة العاهرات والكسالى هن اللواتى يتبذلن الى بيع انفسهن للرجال.

ان النساء اللائى يلجأن الى هذه التجارة رموز للعداء الجنسى

فهن يخرجن على كل حد عند مغازلة الرجال ، الذين يقعون فريسة لهن . ويقول الرجال عنهن انهن « ضرورة » . ولـكن ليحذر الرجال أشد الحذر من ان هؤلاء الخادمات الضروريات لاشباع شهواتهم ، لن يعترف لهن المجتمع بخدماتهن . و بالعكس فانه يُقضى على العاهرة أن تعيش فى حالة من العبودية المرة ، إذ ينظر الناس اليها بهون ومهانة بل و بقسوة ، و يتجنبها باقى النساء كما يفر المرء من الوباء ، ويخشى الجبان البلاء . ولا يمكن ان يصادقها الرجل صداقة يعتبرها بين متساويين . ولقد كان الأمر غير ذلك فى اليونان القديمة

ستشغل هذه المسألة العظيمة المهملة بال خير العقول فى المجتمع فى المستقبل كما شغلت البـال قليلاً فى الزمن الحاضر . وهى مسألة بالاسف ، قل أن يدركها الاجتماعى ، و يتجنب الرجل العادى والمرأة العادية الخوض فى موضوعها . انها مسألة من أعمق المسائل اهمية . وهذا هو السبب فى اننا نتجنبها او نخلط فيها . ولـكن الشر يعيش فى شكل من الاشكال حتى نهاية عمره . انما يستطاع تقليله بدرجة كبيرة عند ما تزول تبعة النساء المالية .

وانى اؤكد للنساء ان احدى الطرق الصحيحة لتعميم العفاف والطهر بينهن ليس فى بث الدعوة الى الطهارة ، او الـكتمان ، أو تدخل الشرطة ، أو طلب النجاة . ولـكن هو التصميم على فتح باب الاستخدام والعمل أمام النساء بأجور تكفيهن الحاجة

الفصل السابع

المعركة السياسية

قل أن يتصور الرجل الانجليزى المسيحى الذى تربى طبقاً لمبادىء كنيسة سانت بول ، تلك المبادىء التى تقضى بخضوع النساء للرجال وايجاب الطاعة عليهن — حالة يكون فيها النساء مدبرات للتشريع ، ورؤساء للاسرات ، وأن يكن جيشاً متسلطاً مسيطراً . فهو يخبرك بأن حالة كهذه لا يمكن التفكير فيها . فهى لم تكن يوماً ولن تكون أبداً . ولم يعتمد الرجل الانكليزى المسيحى العادى أن يعمق التفكير فى المسائل الاجتماعية ، ويكاد لا يعرف من تسعة أعشار المسائل شيئاً قط من قوانين الاخلاق ، وآداب السلوك ، والزواج عند الأمم الأخرى . عينه على انجلترا فقط ، وعادة على ركن واحد منها فقط . انه يتحدث عن « التفكير فى الامبراطورية » وهو برىء فى نظراته الى الحياة البشرية كأنه بغير وطن .

ان الرجال ذوى الافكار الضيقة والنظرات المحدودة يعارضون فى رفع شأن المرأة ، ويخشون حكمها كما يخشون كارثة اجتماعية نهائية وهم جهلاء بحقائق التاريخ . فلقد كان للمرأة السيادة فى مدى مئات من السنين فى أعظم الشعوب القديمة تمديناً . وما زالت سيادة المرأة

قائمة الى اليوم فى امم كثيرة من امم الارض . ففى الاترسكان والاثينيين والكامبيين والاركادميين والليسنين وامم أخرى كان النساء هن المديرات ، وكان الرجال يتخذون اسماء زوجاتهم عند الزواج . ويسلمون فى كل أموالهم الى المرأة ، قانعين بالكفاء القليل ، وبدفن جثثهم دفناً مناسباً عند الموت . وقد اتخذ التيوتون الأولون نظام الامومة . وما زالت هذه العادة قائمة فى ملابار وفى القسياس والبانى كونش وقبائل معينة فى الهند البريطانية . وسيدى الرجل الانجليزى يحاول ان يفكر فى الامبراطور ! . وهذه المسائل التى حدثتك عنها واقعة تحت العلم البريطانى !

وقد كانت سلطة الابوة معتبرة قليلة الأهمية مدة من العصور ومن الوجهة الفيزيولوجية هى من الأهمية الثانوية فقد نشأت الشعوب والاسر من الام لا من الأب . وامامنا مثل من سكان ملابار حيث المثال على سيادة الامومة الحديثة قائم . وقد كتب (ايلى ريكلاس) فى كتابه (الشعوب الاولى) : «انه ما من امة قدرت حق القدر الاسرة الامومية وعملت على تقديمها منطقياً وعقلياً مثل نساء ملابار »

ومما يذكر ان الرجال ، تحت النظام الامومى ، شكوا كما يشكو النساء اليوم ، من وقوفهم موقف التبعية للمرأة ، ونجد أيضاً الرجال كانوا يتكلمون عن النساء وهم مستسلمون خاضعون مستعملين نوعاً من الادب والمجاملة ، ترى آثارها الان فى الرجال حيال النساء ،

ولكن كان ذلك لباعث آخر ، لأنها كانت تسليم المملوك لمالكه . بدون موافقة ابنته ، التى كانت تقوم بكفالته . وفى فرنسا الآن حيث للمرأة سلطة تفوق سلطتها فى انجلترا ، نجد آثاراً من حكم الامومة

وقد فقدت المرأة ، تحت نظام الابوية ، مركزها السامى ، وتألمت طبيعياً . فلما كانت غير مقبولة لمزاولة عمل من الاعمال بجانب الرجل فقد ضؤلت قوتها . ويلاحظ انحطاطها الطبيعى فى أعلا الطبقة المتوسطة فى اوروبا الآن فيمن يلبسن (الكورسيه) وفى النساء العصبيات وعسرات الهضم اللائى حول المدن الكبرى . والمسيحية مسئولة عن انشاء النظام الابوى الحديث فلقد أصبح النساء ، تحت حكم الرجال ، عبيداً وخاضعات تمام الخضوع . وفى كلا النظامين (نظام سيادة الام أو المرأة على الرجل ونظام سيادة الأب أو الرجل على المرأة) شرور .

ولكن يجب ان يوجد واحد منهما حتما بالرغم من كل أحلامنا الخاصة بالمساواة الجنسية . قد تكون الحالة الجديدة ، التى سندخل فيها ، هى سيادة المرأة . نعم ان احياء سلطة الأم يلقى الرعب فى بعض الرجال (اوكلهم !) ، وربما فى اكثرهم ، ولكننى اعرف رجالا مفكرين لا يوجسون خيفة من هذا التغيير المنتظر .

وقد حوربت غيرة الرجال من النساء وهزمت فى مسائل كثيرة . أو ليس من الممكن ان يتنزل الرجال فى المستقبل بارتياح وسرور

عن كل اهتمام بالوظائف وترك ادارة شؤون الاسرة لجمهور النساء ؟

هذه حالة قد فكر فيها.بازاء قيام النساء اليوم يحاربن فى الوقت الحاضر بغيرة وهمة لا تقل . وهى حرب سيكون لها نتيجتها الفاصلة . ليست الحركة النسائية محلية أو مرضاً أصيب به القليلات . ولكنه متغلغل فى القارات الغربية وقد وصل الى الممالك الاسلامية . و يقول المرحوم بيبرلوتى انه نفذ الى الحريم التركى فقوضه بعد ان زلزل عرشه . وقد اخبرنى أحد افاضل الذين ساحوا في تركيا كثيراً ان نساءها يعطفن كل العطف على مبادىء الاور بيات الناهضات . وحتى في اسبانيا ، التى تزل بها التقاليد المراكشية ، لم يزل نساؤها فى نهوض . وقد ظهرت المرأة الاسبانيةُ فى ثورة التجسيد . وقادت فتاة فى سن الثامنة عشر المضربين فى احدى المعارك الصناعية فى التى حدثت منذ سنين قليلة فى برشلونه . وكانت تظهر مقدرة جديرة بالاعجاب فى تنظيم الحركة وادارتها .

وقد يقال بأن كثيراً من المفكرين كانوا أعداء للحركة النسائية. وكذلك يمكن القول بأن عقولا كبيرة قد اعتقدت فى التنجيم والكهانة ، والسحر ، وخرافات وأساطير أخرى . ومن جهة ثانية توجد قائمة كبيرة تحوى من الرجال وذوى الثقافة الشهيرة أمثال من بلاتو الى تاستياس الى جون استيورت ميل ؛ اولئك الذين دافعوا عن نظرية الاعتراف بصلاحية المرأة لخدمات أخرى بجانب

حمل الطفل ، وادارة المنزل . فقد كتب بلاتو فى « جمهوريته » أنه لا يصلح هذا الجنس ،الذى نضعه فى ظلام وعمل منزلى ، لتولى أعمال أرقى وأشرف ؟ أليس عنده أمثلة من الشجاعة والحكمة والرقى فى كل الفنون ؟ وقد نصح (بلوتارخ) بالمساواة فى التعليم بين النساء والرجال وفى الحياة الفكرية الاخلاقية . وكان سنيكا نصيراً للحركة النسائية .

ومع ذلك فالرجل العادى فى انجلترا مازال يفزع من اعطاء النساء صوتاً برلمانياً كما أن فكرة ادخال النساء فى الوظائف التشريعية تثير سخريته وغضبه . ومن الأسف ان يكون تقدير الرجل الانجليزى لكفايات النساء مثل رسولا فلسطين الاولين شوبنهور ونيتشيه . ولقد كان لتأثير نظريات هذين المفكرين نتيجة مسممة لعقول بعض الشبان المفكرين المتعلمين الآن .

ورسالة شوبنهور الشهيرة عن « المرأة » هى مفتاح الانسان المتشائم الذى فقد الحب . فقد تزوجت أم هـذا الفيلسوف بدون سابق حب . وقـد كانت توصف بأنها « بلا قلب ولا روح » . ولم يقع شوبنهور فى غرام قط . وحكايات حبه هى حكايات اخصائى فى النزة . ولم يترك شيئاً من حوادث غرامه ، التى لم تقصد ان تستر . وأنا أكثر الناس تعجباً لهذه العبقرية التى كان أسلوبها الأدبى مسرة مستمرة ، والتى نظرياتها من أهم النظريات . ولكن كان شوبنهور جاد في موقفه تجاه النساء . وكانت خلق فريدريك نيتشيه ، وهو

عدو وحشى للنساء ، تمتّ الى شوبنهور وكانت معرفته بالمرأة قليلة وبالحب أقل . مع ان كثيراً من آرائه الاخلاقيـــة وفلسفته العقلية الشاذة قيم وثيق . وهو ليس بالمفكر عديم النظير . وليس رب فكر ناضج . وقد كانت آراؤه شرقية وشهوانية . وقد أظهر نفسه في منتهى الجهل بأمور النساء . وقد مثل جورج ساند ومادام دى استانيل كأنها المثل الأعلى للنساء المحررات ، واتخذهما أنموذجاً ، ثم رفسهما على انهما « أدلة ضد تحرير النساء واستقلالهن » . وكانت هاتان المرأتان شاذتى العقل بكل ما فى العبقرية والرجولة من شوائب وفساد . وقلما يذكرهما النساء كمثل أعلى للنسوية .

قال (نيتشيه) : توجد سخافة فى هذه الحركة — حركة تحرير النساء . سخافة رجولية ، تستحى منها المرأة الحساسة حسنة التربية . يجب أن تحفظ المرأة وأن يعتنى بها وأن تحمى ويجب أن تخضع خضوع بعض الحيوانات الأليفة المسلية اللطيفة ويصف علماء الفكر والكائنات الرجال الذين يعتقدون ان المرأة شيء يزيد عن « قطعة خطرة » وحيواناً أليفاً مسراً بأنهم اصدقاء المرأة الجهلاء والمفسدون لها بين جماعة الحمير المتعلمين فى جنس الذكور » .

وانى اذا أردت الضحك اقرأ تخاريف (نيتشه) عن النساء في كتاب « فوق الخير والشر » . فخرافاته لذيذة كأقوال بعض الفتيات الناهضات ، اللاتى يتكلمن عن الرجل بأنه « العدو »

قال (بالزاك) وهو أحد أساتذة علم القلب الانسانى « المرأة التى تلقت تعليم الرجل تملك الصفات النيرة والخصبة التى بها تسعد زوجها ونفسها » ولكن (بالزاك) نفسه كان مصاباً بالشعور الشرقى نحو المرأة ، وهو شعور بوجوب خضوعها وطاعتها للرجل . فلقد حرم على بنات اخته قراءة رواياته ما عدا رواية (ايرسيل ميرويت) التى كتبها خصيصاً لهن خشية أن يضىء لهن الحياة (لأنهن نساء !) . ولا يكذب بالزاك ، كما يكذب تسعة من عشرة من الروائيين ، فى كلامه عن عواطف المرأة . وفى هذا المجال يبرز بالزاك ويضىء ولكن يبدو فى كلامه انه لا يرى توسيع التعليم الرجولى للنساء ، اللذين من عشيرته .

لقد عظمت المرأة مثلما عظمت مريم أم المسيح ، وعبدت كملكة ، وقدست كقسيسة ، واحترمت وحميت من أجل صفة وظيفة الأم التى تقوم بها . فلماذا — اذن — تحرم من خدمة الدولة كمشرعة للقانون ؟ لا يوجد جواب منطقى لهذا السؤال ، واجوبة أنصار التفريق الجنسي هى انها تصبح من غير جنسها لو فتح لها هذا الباب

ولكن لا يعتبر الرجل نفسه خارجاً عن جنسه اذا هو اشتغل بزازاً ، أو طاهياً ، أو ممرضاً ، أو خياطاً ، أو بائع حلوى ، أو فى أى عمل يعتبر من عمل المرأة . ولكن يبدأ كل جلف عبيط يقوق عند

ما تطالبه امرأة كفء راقية مهذبة بحقها فى الاشتراك في رقابة مجلس بلدى دولة

وقد ارتكبت أمور خارجة عن الحد فى المعارك التى نشبت من أجل الحريات الاخلاقية والفكريه والسياسية . لا يكسب التحرير بالكلام المموه فقط ، ولكن بحسن اختيار الوسائل والتدبير ، وغالباً بالثورة العنيفة . ونظراً لاحساس النساء بالغبن فانهن يظهرن العداء الجنسى فى الغالب فى شكل متطرف . ويصرح الذين ينظرون الى حركة النساء نظراً سطحياً بأنه يجب الحكم بأن النساء المتجمهرات الصائحات على الافريز ، والنساء اللواتى يلتجئن الى القوة المادية لا يصلحن للاشتراك فى صياغة قوانين بلادهن . على أن المرأة الحديثة بمالها من الميل السياسي الهائج ، والاقتناع بأنها محرومة من حق بشرى عام — ليست بسخيفة فى مظاهراتها الدالة على السخط بأكثر مما يأتيه الرجال فى حالات تهيج وغضب كهذه . والمستر اسكويث كان اسخف شخص مبالغ فى المعركة القائمة من اجل الانتخاب ، ذلك الذى يعميه العداء الجنسى عن أن يرى عشرات النتائج المشؤومة المترتبة على ظهوره الكاذب بمظهر الثبات . وعلى السياسى الماهر أن يقابل ستة وفود لا فرداً واحداً من أفراد جماعة المطالبات بحق الانتخاب ،على الاقل من باب اللياقة والكياسة . والمستر (سكويث) فى صحته مثل الرجل القوى : منظر يبعث على الضحك . فلقد آذى

عند ما كان رئيساً للوزارة وبعد ذلك ، قضية حزب الاحرار باكثر مما يعقله أى سياسى فى العصور الحديثة .

لست نصيرا للفساد والخلل . ولكننى باسم العدالة المشتركه أسائلكم كيف نلوم النساء على التجائهن ، الى عادة إشعال الحرب، تلك العادة التى أقرها الزمان ، كلما أخفقت كل الوسائل الاخرى ؟

ان الانجليز يفخرون بكونهم أمة حربية تعنى بتغذيه الروح العسكرية . وعندنا من الامثلة العديدة فى تاريخ الانجليز ما يدل على انهم بلغوا أغراضهم واضطرا الحكومات الى الركوع عند اقدامهم بطريقة إجبار الشعب البريطانى والمثال الشهير هو فتنة قانون الخليج فى عام ١٧٣٦ عند ما قال البريطانيون الاوفياء « لا مسكرات . فلا ملك » ! وقد حوربت هذه القضية النبيلة لأن العوائد التى وضعت على عاتق الوطنيين الانجليز رفعت الى ٢٠ شلنا عن كل جالون ظل الشعب الانجليزى ثائراً مدة عامين ؛ وقد دعى الحرس لاخماد ثورة الجمهور ؛ وقد هددت حياة السير جوسيف هيكل الذى صاغ القانون ، وقد حمى منزله من الشعب الغاضب ستون جنديا ، وقد نجحت هذه المظاهرات والفتن . فقد الغى قانون منع شرب (الجين) وفاز الشعب بالتجائه الى الحركه العنيفة . فهل كانوا يربحون المعركة لو أنهم اعتمدوا على الوسائل السلمية الدستورية البطيئة ؟ لا أعتقد بذلك .

وقد يساوى معسكر المطالبات بالانتخاب فى اهميته الحركات التى قامت من اجل الخليج . وقد ظل النساء مستعملات الوسائل الدستورية لمدة خمسين عاما ، ولمدة خمسين عاما أيضاً ظل الرجال يسخرون ويسبون المطالبات ، ويغشونهن بوعود خلابة . وفى ساعة الاحتضار – بعد استفزاز عميق – بدأ النساء يستخدمن القوة . وقد كان يكون الأثر على خلاف ما يتوقع فى الطبيعة الانسانية لو لم يستعمل النساء القوة . ويصرح المستر (بلفور) بأنه يوجد حد لصبر الجمهور الهائج ؟ إنه فى هذا العراك اظهر النساء من العداء تجاه الرجال أقل من عداء الرجال تجــاه النساء فقد لبثن نصف قرن وهن صابرات على حقهن فى التصويت .

والدرس الذى استفدناه من حرب المطالبة بالانتخاب هو أن للنساء قوة منظمة بديعة ، وقدره عقلية واسعة الحيلة ، وغيرة سامية ، ودرجة من الشجاعة عالية ؛ وقد تحمل النساء اللائى خلقن رشيقات رقيقات ناعمات مهذبات – الذل والسب والاحتقار والسجن ، وحتى الاعتداء . وكان الرجال ينظرون بسكون ويقولون القول العتيق عن النساء وهو « انهن خرجن من جنسهن » . وإن محاولة منع أحداث التطور الانسانى التى لا تقبل المقاومة مثل محاولة مقاومة حد المحيط . وينبىء الزمن بأنه سيكون لشأن المرأة مكان عظيم . وتوجد علامات ملموسة على أن التطور الانسانى فى الامم الغربية سائر فى الاناث باكثر

من الذكور . وأن النساء اقوى جسما واطول من ذى قبل ، ويتقدمن عقلا فى اسرع وقت .

إن الخوف من حكم الجنس اللطيف وتفوق القوة العقلية فى النساء متأصل فى صدر الرجل . ولكن الجذور تتفلت من مقابضها . وقد يتعلم الرجال أن الجسم الجميل لا يعوض العقل الطفولى ؛ وإن المرأة المجتهدة الصريحة أشد مغناطيسية من المرأة السخيفة الجميلة . وحقيقة إن حكماء الرجال قد أسرهم الجمال الجثمانى وحده . فلقد تزوج (هوت) من (دول) ثم ما لبث ان كره معاشرتها . واقترن (هين) من فتاة عاملة لا تعرف القراءة ، وقد حزن حزنا شديداً على خطأ نظره وأن تسوس امرأة جميلة بعقل غير ناضج لا صعب من أن تسوس امرأة اقل جمالا ولكن ذات مواهب عقلية وعلم بالطبيعة البشرية

ولا تنهض قوة المرأة الدفينة بسبب الاهمال ، وبسبب الضغط وبسبب ندرة الفرصة . وكم اسأنا معاملة النساء الى حدأنهن تجمعن فى جموع كثيرة ، وعملن بمحض ارادتهن ، وثبتن على افكارهن وآرائهن . ويوجد فى انجلترا جماعة من النساء ، اللواتى نقصت عقولهن ولا يدركن شيئاً من أمور الحياة الاجتماعية الحديثة . فلا امنية لهن ولا مثل أعلا يتجهن اليه ، وهن يلدن ويرضعن أولاداً معتوهين ، ويعشن فى روج الحيوانات . عملهن وحياتهن أكل ونوم وجلوس ؛ وتوجد شوارع واحياء خاصة بهؤلاء النساء .

يصعب على المرأة ، بقدر ما يسهل على الرجل ، أن تفر من بيئة سيئة . وهذه الحال تسيء الى النساء اساءة قاسية . واذا كان يعسر على المرأة أن تخالف قانوناً فأن الرجال يستطيعون أن يسنوامائة قانون ثم يغفلونه آمنين . و يقابل الابتداع فى الرجل ان لم يكن بأعجاب فبسكون أما المرأة التى تبتدع وتأتى بجديد غريب تعد انها ارتكبت جناية. فقد كانت (هاربييت مارتينو) تخفى مخطوطاتها تحت شغل الابرة كلما حضر زائرون لأن الكتابة كانت من غير شؤون النساء ! .

وقد اضطرت (مارى سومرفيل) أن تشتغل سراً لأن العلم ليس من دروس النساء ! والبنت تلعب على الحبل كالاولاد . و يقال يجب أن لاتلعب البنات الصغيرات بحرية كما تشاء الطبيعة للناس الحرية . وقد كان يستطاع تكرار هذه المحرمات . فهل تعجب — بعد ذلك - إذ كنا نرى البنات يكبرن ، فى حبسهن كالجمادات وكمخلوقات فقدن تقريباً كل الصفات الانسانية الجميلة . وهذه هى الحال الظاهرة ، هى التربية التى نادوا بأنها لامهات الشعب !

فلنعرض باختصار على انظاركم رأى المفكرين العصريين عن كفايات المرأة فى ميادين السياسة ، والعمل الاجتماعى ، والمجهود العقلى . ولقد لاحظ منذ سنين عديدة « برداخ » ان النساء أصلح للمسؤولية السياسية من الرجل .

وقــد صرح بهذه النظرية جون استيوارت ميل . ويقول

(ها فللوك ليس) » فى كل الشعوب وفى كل انحاء العالم كان حكم النساء ، عند ما أتيح لهن الحكم ، حكماً باهراً ، وكانت رقابتهن على أفظع العصابات الجامحة رقابة تامة . وقد كانت العلاقات السياسية مع القبائل الأخرى عند الشعوب الأولى فى أيدى النساء . وقد قررن أحياناً السلم أو الحرب . ويظهر ان مهنة السياسة تنهض بصفات نسوية كثيرة عند من يحترف بها منهن . وقد لا نكون مغالين اذا أقررن ملاحظات (برداخ) الصائبة . فكلما كان التعليم الصحيح كافياً ومن السعة بحيث يمكنهن من تحرير أنفسهن من العقائد الفاسدة ، والعادات السقيمة — كسب النساء درجة عالية فى بحث المسائل العلمية فى علم السياسة » . وقال الاستاذ « ج . ل . دبرات » فى كتابه الحكم : « قد أصبحت المرأة اكثر كفاءية للعمل . فهى قد بذلت مجهوداً . وقد عظمت المنافسة بين الجنسين فى الدراسة والتعليم وفى كل المهن الحرة . وعلى الاخص فأن للمرأة ، فوق مزية النشاط العقلى ، صفات المكر ونفاذ النظر والحيوية ، التى هى بالرغم من انها صفة تدل على عدم الثبات العقلى — قد ساعدت فى جعل اشتراكها فى تكوين الحضارة مثمراً قيما »

ويقول « لوبير » فى كتابه (مسأله الاجناس) : «ان انحطاط المرأة الظاهر هو عرض موقوت ، وخارج عن تطور الانسانية اللانهائى على ان أساس هذا الانحطاط هو فى الافلية الطبيعية »

ويقول (أوتو وينبجار) الذى كان من مؤيدى المرأة : « حتى بفرض ان النساء اللائى يرغبن فى التحرير هن رجوليات فأنه يجب أن يمحو الرجل بغضاءه للنساء ذوات الرجولة ، لان فى هذه البغضاء أنانية حقيرة . واذا أصبح النساء يوماً ذوات رجولة ، بصيرورتهن منطقيات وفيلسوفات أديبات – فسوف لا يكن ، غذاء لاغراض الرجل »

وما دام أنه يوجد ذلك العامل الذى وصفه (نييتشيه) بالعداء السحيق فى علاقات الرجال والنساء — فأن الرجال سيجتهدون فى اعاقة التقدم العقلى فى النساء . سيكون عراك عظيم فى المستقبل القريب ، حيث تستشعر وتظهر فيه الغيرة والمنافسة الجنسية . وفى هذا العراك سيفقد النساء موقتا كثيراً مما لهن من المحاسن والجاذبية النسوية ، وسيقفن موقف الأمازونيين فى حرب مشهرة على الرجال

فلا تتصور ، أيها الرجل ، ان سلطانك سيعمر ابداً . فأنك ستنهزم فى هذه الملحمة ، ما لم تعترف — وانت ساكن — بأن الطريق الوحيد هو أن تعامل المرأة المحاربة المصممة بالصلح والتحاكم ولا يمكن أن تسوسها بعصا غايظة . فأن العصا لم تسس امرأة قط . وسل أقرب المتوحشين اليك عما اذا كنت مخطئاً . لقد كان تصرفك الماضى مع المرأة سبباً فى تغذيتها بفن المكر ، الذى لا يستطيع رجل أن يتغلب عليه . حتى المستر (اسكويت) قد هزم أمام المطالبات بالانتخاب اللواتى لم تفتر لهن همة ، ولم تهن منهن عزيمة

الفصل الثامن

هل السلام ممكن ؟

هل للحرب الجنسية العظيمة خاتمة ؟ هذا سؤال يهم الاجتماعى ، والمصلح ، والسياسى ، ورجل الشارع . البيت الذى ينقسم على نفسه لا تقوم له قائمة ، ولا أمان فى مجتمع تكون حاله عبارة عن جنسين متعاديين ، منقسمين فى الأغراض ، والأفكار ، ومتفرقين بسوء التفاهم . وقد انتقل العداء ، الذى مصدره الحب وحياة الأسرة ، الى بيوت التجارة ، ودور الصناعة ، ودوائر السياسة فانتشر فيها . « النسوية المستديمة » تعترضنا دائماً . والمرأة التى وصفها (هافيلوك إليس) باللعبة المعذبة هى أحد المسائل التى تشغل بال هذا العصر

و بينما اكتب هذا أشهد ثورة نسوية فى أسبانيا ، وهى تدل على القوة المتزايدة فى المرأة فى أوربا . لأن أسبانيا إحدى الممالك الأوروبية المتأخرة . ومع ذلك فنساء الأسبانيين ، بالرغم من التقاليد الشرقية التى جعلتهن لا يسايرن النهضة الاوروبية الحديثة ، هُنَّ المحركات الأوليات فى العصيان الذين يهدد بقلب كل نظام الأمة التشريعى . فقد أعلن نساء أسبانيا أنهن لن يرسلن أبناءهن الى

لحرب . وهذه نهضه نسائية مهمة . وهى تزيد اعجابنا بها اذا ذكرنا أن ألوفاً من الاسبانيات لا يعرفن القراءة أو الكتابة .

فكر فيماذا تكون عليه الحال لو أن جميع المهذبات فى الأمة يتحدن لأجل مطمح سياسى فكان يقف فى سبيلهن ملك أو برلمان أو جيش . إذ مافى الرجل من غريزة حماية المرأة وحبها يمنعه من الجهر بحرب معها . ومن ذلك كانت قوة المرأة فى ضعفها .

يجب وجود السلام داخل البيت . وفى الدولة النزاع المشؤم المخيف هو سبب لعدم الامان وله رد فعل فى كل ناحية . فاقامة السلام . أو على الأقل تقليل العداء ، جوهرى لمستقبل سعادة الأمة. ويمكن الوصول الى هذا الغرض بالقضاء على كل سوء تفاهم ظاهر . يجب أن يبحث الرجال كثيراً ليفهموا المرأة وكيف يسوسونها . ويجب أن تعدّل النساء المحاربات آراءهن فى نسبة الظلم والهوى والانانية الى الرجال ، تلك الصفات المبالغ فيها

وعندما يناقش الرجل العادى المسائل المتعلقة « بالمرأة » يريد أن يقرر أن الطبيعة أرادتها على أن تفعل كذا أو الاّ تفعل كذا بدون سبق البحث اللازم فى نفسيتها . وقد ثبت الآن كذب النظرية القائلة بأن النساء لا قدرة لهن على مساواة الرجال فى العقل ، بسبب كون مخهن أصغر من مخ الرجال . اذ أن حجم المخ ووزنه يكون بنسبة حجم الجسم ووزنه . ويرى الفيزيولوجيون العصريون ان

متوسط وزن مخ النساء ليس بأقل من مخ الرجال بنسبة وزن الجسم. على أن كثيراً من علماء الرجال ذوو أمخاخ صغيرة . فكان (لجامبيتا) مخ صغير . واذا كانت المسألة مسألة « مخ » فان النساء أسعد من الرجال . لأن أمخاخهن أكبر – نسبياً – من أمخاخ الرجال . وماذا تكون فائدة أعضاء أجسامنا اذا كانت مهملة ومضعوفة ، وكان سجن ذكاء المرأة باعثاً على إضاعة قوة مخها ؟

وقد أضاع المرأة ، وشوه تركيب جسمها ما ألفته من الزى الخاص بها ، وما حرمته من التمرينات التى تساعد على القوة .

ويحسب كثير من الرجال أن الخصر الضيق فى النساء المتمدينات شىء عادى وطبيعى ! كما يظن رجال كثيرون أيضاً ان من طبيعة المرأة صحيحة الجسم غير العليلة أن تتعب من مجهود جسمى خفيف ويقولون إن ما يأتى من فترات انقطاع عمل المرأة يحول دون نجاحها، ويؤدى الى انحلال عزيمتها فى حياة خصصت للعمل ، وللمسائل الاجتماعية ، وللسياسة ، وأن يحدث للنساء من آن الى آخر اضطراب طبيعى وعقلى . على أن كثيراً من الفوضى يرجع الى عدم استعمال الحكمة فى المعيشة ، وهو نقص فى المعلومات شائع جداً فى الجنس النسوى .

وتقف الأمومة حائلاً جدياً دون نشاط المرأة خارج بيتها . ولكن المدة الصبيانية لا تستغرق حياة المرأة كلها . اذ يوجد من

النساء من ذوات الاسرات الصغيرة ، أومن يبقين دون أولاد عمرهن
يرى الرجل المرأة بسحر الشعر والقصص ، وخير له أن يكون
كذلك ؛ لان الحياة الاجتماعية مستحيلة بدون الخيال والمثل الأعلا.
وليس ادراك الرجل كله حبي وظاهر غير عميق للحكم . والمرأه كثيرة
الفن . وقد صورتهـا الطبيعة فى هذه الصورة لغرض معين . فشعرها
الحريرى ، الذى كان طويلاً سواء كان لونه ذهبياً أم رملياً — هو
بهجة للناظرين . ووجهها ، على الغالب ، جميل ولا يرى أبداً بغير أن
يكون فتنة للمحبين . كاأن جسمها،ومنحنياته ، ولحمه المضفر الرقيق—
يمص عقل الرجل ويغرقه فى شعور بفرح وسرور بل بعبادة لحسنها
السامي . وعقل المرأة وروحها انما هى امكنة نحب أن ننظرها وندخل
فيها . وهى تحول ببراءتها الصبيانية محبتنا وتبعث فينا رقة . ونتعـلم
دروساً عظيمة من فلسفتها النسائية الخاصة بها . فهى تعزى الرجل ،
وهى تشفيه ، وهى تنعشه .

ولكن فرض على الرجل أن يعيش مع هذا الكائن ذى
الملاحة الآسرة والمزايا الفاتنة على خير ما يستطيع أن تأتى العلاقات
الانسانية بين انسان وانسان . يجب عليه ان يعرف عن المرأة اكثر
مما يعرفه بحواسه . ولا يستطيع أن يبقى دائماً أسير حبهـا ، ومبتهجاً
بها . لأنه ليس من اللازم أن تكون رفيقة على الدوام حسنة،رشيقة.

اذ حياتها ليست حياة الرزانة ، التى تظهر بها أحيانا . فهى ، كثيراً ماتمعن فى الخطأ ، وكثيراً ما تكون صعبة عنيدة ، مغيظة

المرأة كثيرة التقلب ، لا تقبل أن تساس . «لماذا يسرع النساء الى التغير والتقلب بحالة مدهشة محيرة ؟ » . سؤال يسائل نفسه به كل زوج عاجلاً أو آجلاً . ليس هـذا التغيير كله من عمل الشيطان فان كثيراً لا مفرّ منه ولا سلطان لأحد عليه كتغيرات القمر . فاقبل هذه المسألة على أنها حالة بديهية . واذا كنت فى حيرة من أمر هوى المرأة ، وعدم شفقتهـا ، وسوء خلقها فاذكر انك أيضاً محكوم ولو بدرجة أقل منها بمقتضيات وظيفتك الطبيعية . تذكر أن المرأة العصبية تفعل مثل مايفعله الرجل العليل اذا أُجهد أو جاع . والمرأة الجائعة هى امرأة غاضبة.لقد سمعنا كلنا العبارة القائلة «أطعم الحيوان الأعجم» فلا ننسى أن النساء قابلات للاستفزاز مثل الرجال عند الجوع . إذن فلتقل « أطعم العزيزة المحبوبة » .

يصحب عدم ضبط النفس عند النساء سبب طبيعى مما يجعل الضبط أصعب من المعتاد . وهذا ما يجب أن نذكره وأن نستعد لنتائجه .و ينشأ سوء الخلق أيضاً من ضغط الدم على المخ .واذن يفيد استعمالنا أى شيء من شأنه أن يؤدى الى تخفيف الضغط، ونقل الدم الى أجزاء أخرى من الجسم. والتمرين الرياضى جوهرى لصحة أكثر النساء . على أن النساء العصبيات المتضايقات يبالغن فى إجهاد أنفسهن

فى السير، وركوب الدرجات، والتينس . وبالعكس من ذلك فانه يمكن تسكين هياج المجنون الهائج اذا امكن حمله على العمل فى الحقول. ويكون بعض النشاط الطبيعى فى الرجل العادى فوق طاقة المرأة العصبية

وليس ما يظهر فى المرأة من عناد حاد أو نسوية عائد الى ما فيها من الحرارة والبرودة المتواصلتين . وهذه حقيقة يجب أن يدركها كل محب يود أن يعامل حبيبته بحيث لا يحدث الا أدنى ما يمكن من خلاف،فاذا كانت المرأة لا تميل الى الرد عليك فلا تمعن فى تحديثها . فان حالها ستتغير ، انتظر وقتك . لأنه توجد قوانين فيزيولوجية غامضة تدير هذه المسألة .

فى الحب يجب على الرجال والنساء أن يدعوا الى هدنة بسبب ذلك الجفاء المشؤوم الذى يكيف العلاقة الاجتماعية للجنسين فيجب أن يكونا صريحين . يجب أن يعلم كل واحد عن الآخر ما عنده من الاسرار والافكار والرغائب الخاصة . وليس بكاف أن نعلم ان المرأة هى مدير منزلى طيب ، وصديق مؤانس ، وصاحب وجه بشوش . انك سائر فى سياحة طويلة مع هذا الرفيق . وفى أوائل المعرفة ستعلم عن داخلية طبيعتها الحقائق اكثر مما تدركه أثناء الخطوبة . ولكن كثيراً من الرجال ، وربما اكثرهم يبدأون سياحتهم الزوجية فى الحياة بأغمض ادراك للحقيقه ، وباحساسات خفية ، ورغائب شركائهم

ان أمة يكون اكثر نسائها المتعلمات الاقوياء فى نزاع مع الرجل فى خطر الانحلال . يجب أن يسمح للمرأة أن تنهض على خطوطها الخاصة بها . وتدل الدلائل ، فى وضوح ، على ان هـذه الخطوط تختلف عن الطريق القديم . اذا أريد حسن سياسة المرأة فان سياسة الرجال إياها انما تكون باعطائها كل مطالبها السياسية المعقولة فان التطور أقوى من السياسيين .

لقد حكمت المرأة في الازمان الماضية فى كثير من بقاع العالم ، وربما تحكم ثانية . ويقول الاستاذ ليسترارد ان هذه النهاية ، وهى عودة المرأة الى حكم البلاد ، مؤكدة . وسواء اكان حكمها ، اوكانت عودتها الى الحكم خيراً ام شراً - فان النساء سائرات الى حالة المساواة الجنسية . وربما تبع المساواة سلطة الأمومة . وربما قضى على الذكر البشرى أن يشغل وظيفة ذكر النحل والعنكبوت وهى كونه بغير عمل ورياسة . ومن يدرى ما يكون ؟

واننى اذكر اننى قرأت مقالة في مجلة كتبها (نيزبيه) . وفيها يصرح بأن الامة التى اكترثت لمشورة نسائها خير لها أن تضع ألواح نوافذها فى الحال كعلامة الحزن التى تكون فى المآتم . ماهذا القول الهباء ! فهنا كاتب من المقتنعين أتم اقتناع ، ومن الذين لم يتعبوا انفسهم بقراءة بعض حقائق بيولوجية . هـذا الكاتب يغاير حقيقة وهي ان كل الامم اصغت ، ولم تزل تصغى ، الى صوت نسائها . فلا

يوجد اقل نزاع سياسى فى اوربا من دون ان تجد للمرأة اصابع فيه .
ان فكرة المساواة التامة فكرة سامية . يجب ان نتصور شركة فى العمل او شركة زوجية،فيهايفكر الشريكان و يعملان متساويين. هل هذه الوحدة المطلقة الجامعة للشريكين ممكنة؟أخشى ان لا تعدو ان تكون حلماً بالكمال . فنى اكثر الجمعيات البشرية يوجد رأس. زعيم ، شريك ، سائد . ولقد كان الرجل رأساً للجنسين مدة عصور طويلة .

ومن المرجح أن انبعاث صوت المرأة بطلب المساواة انما هو شعور منها بطلب السيادة . وإننى أعرف سيدات يؤكدن لى أنه لا يمكنهن ادارة الاعمال بدون الرجال بجانبهن، وانهن يرغبن فى المساواة فى الحقوق . وإنه لواضح لا ريب فيه أن النساء لا يستطعن الحياة بدون رجال .ولكن لا ينتج من ذلك أنهن يقبلن المساواة مع الرجال على أنها آخر مقصد لهن فى عراكهن ومطالبهن .

لقد احتاطت (مارى وولستون كرافت) فقالت انها لا تريد أن يكون السلطان للنساء على الرجال ، ولكن « على انفسهن » . ولقد كررت هذه العبارة سيدات حديثات محاربات . وفى الحقيقة فاننا كثيراً ما يؤكد لنا أن المرأة ، وليس الرجل ، هى اعدى عدو للمرأة . وربما كان ذلك فى احوال كثيرة أن المرأة نفسها هى الد

عدو نفسها . وأن مصائبها ناشئة من داخل نفسها . وأن هذه المصائب بعيدة فى اتصالها لها بالظروف الخارجية .

أن ميل المرأة العميق الخالى من بعد النظر يصير في الغالب ظلما لنفسها . انها سائرة الى تكسير آلاتها الداخلية الى قطع ثم تظل تنظر اليها حتى ينخلع قلبها منها وتخيفها.هؤلاءهن النساء اللائى يتكلمن دائماً عن انفسهن ، وارواحهن ، وحاجات قلوبهن ، واحزانهن ، وشوقهن المشؤوم . وهن على الغالب ناقصات المزاج . ولذلك فهن صعبات فى المعاملة . وقد درس هذا الصنف (فان ايدين) فى كتابه « أعماق الخلاص » .

يرجع سقوط المدنيات القديمة فى اليونان وروما الى ضياع قوى المرأة هباء : فالتعليم كان نصيب ساكنات المدن ؛ وقد عاش النساء مدى أجيال لا يتعلمن شيئا غير طريقة جلب السرور للرجل ؛ وتحوى روايات ورسائل القرنين السابع عشر والثامن عشر- البرهان الكامل على تأثير النساء فى الحياة هذا التأثير الضيق .

يقول (روسو) : « أنه يجب أن يكون تعليم النساء تابعا لتعليم الرجال . وواجبات المرأة فى كل العصور ، وما يجب أن تتعلمه فى سن الطفولة هو : كيف يرضين شهواتنا ؛ وكيف يخدمننا ؛ ويعلمننا ونحن

صغار ؛ ويعتنين بنا عند ما نكبر ؛ وينصحننا ويعزيننا ويجعلن حياتنا سهلة ومريحة »

لقد بدا لى على الدوام أن وضع المرأة فى مكان مختلف كلية عن المكان الذى يشغله الرجل انما هو ظاهرة اجتماعية مرغوب فيها من الناس . النساء مثلنا فى العواطف ، وفى النظرة الاخلاقيـة ، والأمانى با كثر مما يتصوره جمهور الرجال والنساء . ولا نكران فى انه يوجد مسائل خاصة بالذكور ، ومسائل أخرى شاغلة خاصة بالنساء ولكن التفريق كان واسعا جدا . وكثير من الخواص النسوية المقول عنها ناشئة عن حالة غير طبيعية .

لقد حددنا بجهالة أن المرأة عليها واجب واحد وعمل واحـد ووظيفة واحدة . ما هذا الجنون الذى عندنا !. إننا لانستخدم الخيول من اجل نكاح الفرس ؛ ولكننا نستخدمها لاغراض أخرى .

وطريق السلام فى الغاء المساوىء التى نقترفها والاضرار التى نخلقها ، والقضاء على سوء التفاهم الذى تكلمنا عنه فى هذه الصفحات. فلن يوجد سلام ؛ وسوف لا توجد الطبيعة البشرية حرة وفى حالة فى مساواة . والرجل والمرأة يعكر كل منهما السلام المنزلى

لو كانت المرأة ، بعـد خضوعها الطويل ، قد حررت فجأة ، ورفعت الى سلطة تشبه سلطة الرجال لكان يجب أن ننتظرا كارثة للمجتمع من وراء ذلك ولكن تغيير المرأة ليس فجائيا . على أنه

سيكون التغيير – كما كان – بعد مراس طويل ؛ ومجهود عنيف ، وألم يشعر به الجبان ،

فهل في رحمة الاقدار ان تترك لنا المرأة ، المرأة الجوهرية مع شيء من آثار تلك المواهب ، وتلك المحاسن الفاتنة ، التي خلقت لنا متاعاً . ألا يشكِّل القضاء المرأة تشكيلا يجعلنا معها متعلمين الحب اكثر مما تعلمنا ، ومقلاين في تعذيب كل الآخر !

الفصل التاسع

كتاب المرأة

كتب كثيرون فى « المرأة » وأوغلوا فى البحث الى الاعماق وانتحوا مناحى الرأى ذى الشعب . ولكن ما أحسبهم قد انتهوا من هذا البحث الشيق الفسيح . وأقدر اننا سنقرأ آراء غير ما قرأنا من قبل وفضلا عما فى ايدينا قيد النظر . والكتابة فى « المرأة » شأنها شأن كل ما يكتب لقرأ : فيها المقبول والممجوج ، والعلو والسفل ، ومع ذلك فان الحديث عن المرأة شيق ، جذاب ، مطلوب ، محبوب .

واكبر الظن أو أحق اليقين أننا لا نشعر أن بنا معشر المتمدنين من حاجة الى الكتابة فى ضرورة تعليم المرأة واحترامها كانسان . فقد نستطيع أن نقول ان بحثاً كهذا فرغنا منه . فهو كمبدإ مسلمٌ به . وما يكتب فيه الآن أو ما تجب الكتابة فيه هو توزيع لاجزاء مدلول هذا المبدأ ، وتفصيل لمجمله ، وتنظيم لمسائله . وكما ان تفاصيل المسائل تتعدد وتتجزأ — كذلك يكثر اختلاف الكتاب فيما كتبوا وفيما يكتبون .

ومن المسائل الأولية والعامة فى كتاب المرأة الكلام على العلاقة بين الرجل والمرأة جنساً ، أو بين رجل وامرأة تعييناً . وفى بحث هذه العلاقة يجرى الكلام على مسائل مهمة ومثالها تركيب

المرأة الطبيعى ، وتكوينها العقلى ، ونتائج هذين ، والمقابلة بين ما فى المرأة من ذلك وما فى الرجل منه ، وبعد هذا يأتى بحث المساواة وما اذا كانت مطلقة أو محدودة . كذلك تجد فى درس المرأة تفصيلا لأنواع العلاقة بينها وبين الرجل وخير قالب تفرغ فيه : أهو الزواج الرسمى[1]، وكيف تكون شروط عقده أم هى تلك الاباحية الناشئة عن الاخذ بالاستقلال الشخصى المطلق ، والحرية غير المحدودة لكل من الرجل والمرأة ، وأيهما خير للانسان وللمجتمع .

ومن المباحث التى تنشر عن المرأة – الحب ، ومظهره وحقيقته فى المرأة وفى الرجل وأثره فى حياتهما . وقد قرأنا فى الحب شيئاً كثيراً . ويبدو لنا ان الكتّاب جميعاً أخطأوا إذ تكلموا عن حب المرأة بلا تفصيل فيه . ونرى ان هذا التفصيل واجب وأن التعميم لا ينتج الثمرة المطلوبة . وحسبنا أن نذكر الآن — على غير خوض فى التفاصيل — انه يجب التفريق قَطْعاً بين وصف الحب فى المرأة اللاهية التى امتهنت بمهنة امتاع الرجال بذاتها كالمغنيات والممثلات والراقصات والمحظيات والبغايا ، وبين وصفه فى المرأة المخدرة التى انتسبت الى الحياة الطاهرة ، وحفلت بالحسب والنسب والكرامة ،

---

(١) كانت صفة الزواج « الشرعى » ولكننا خشينا أن يفهم منها الزواج حسب الشريعة الاسلامية مع اننا نقصد أى زواج معترف بوجوده فى أى بلد من البلاد فذكرنا « الرسمى » بدلا منها

وقدرت السعادة المثلى فى الزواج الشرعى ، واستوحشت العبث والخلاعة . فإن النوع الأول من النساء يعيش ويظفر بالمال والشهرة من طريق فتنة الرجال . ولهذه الغاية وللبيئة الملوثة التى يعشن فيها عادةً تظهر فيهن صفات الدهاء ، والمكر، والخداع ، والخيانة ، والانتقام . وهن أقدر فى السيطرة على قلوب الرجال ولا سيما اذا انتقلنا الى الزمن الذى يقضيه الرجال معهن فهو فى السهرات ، وأوقات الفراغ وطلب الراحة ، ونسيان الأعمال ، وهموم النهار والمنزل والاسرة ، والشراب ، والزينة . وهو مجمع الشبان الاقوياء صغار الأحلام ، سريعى الانفعال والحركة ؛ ولذلك تكثر المنافسة بينهم ولا سيما اذا رأيت فى حفلهم بضع فتيات أو أحيانا فتاة واحدة للغناء أو الرقص أو ما تفرض من لهو . هذه الحال تبعث في النفوس ذلك المعنى الذى نسميه حباً غراماً . عشقاً . هياماً . ولهاً . جنوناً . وهذا المعنى أو هذه العاطفة التى تتولد من صحبة هذا النوع النسوى هو ما نعقد له الفصول وننظم فيه الكتب والرسائل والروايات ، وما يجعلنا ننسب الى المرأة صفات المكر والخداع والخيانة والانتقام ؛ ونصمها بأحط الآثام ؛ ونأخذها بأفظع الجرائر .

أما النوع الثانى وهو الكثرة المطلقة فهى طبقة النساء اللائى يعشن تحت ثوب الكرامة والشرف ، ويضعن مستقبلهن تحت إثر العفاف والخدر ، واذا ارتكبن منكراً آتينه فى خفاء ، ونكران ،

وخوف ، ومضض . ومن أجل الكرامة والشرف لا يتأخرن عن الفرار أو الانتحار السريع ، اذا ما رمين بسوء أو انكشفت لهن سوأة . وأنا أصف هذا النوع بأنه برىء مسكين مخدوع لا خادع . وأحسب مكره المزعوم ، وخداعه الموهوم ، خوفاً وضعفاً . قد يظهران فى كذب أو ملَقٍ ، ودهان مصنوع فنقول نحن الرجال ونكرر ونؤكد ما نقول ، وينزل منا القول عقيدة وطبعاً : ان المرأة منافقة . خائنة . كاذبة متلونة ، قاسية . وهو ظلم للحق يرتكبه الرجال .

تقدمت بالكلام فى كثرة المكتوب في « المرأة » وكثرة ما طالعته منه . وانى لازهد – وربما يشاركني القارىء فى ذلك – في كتاب فى « المرأة » جل بضاعته أن يكرر لنا ما قرأناه اطفالا صغاراً نستمع للمواعظ ؛ ونتعلم الانشاء من وجوب تعليم المرأة . وانى معجب بكل بحث يبين لنا فلسفة الحياة النسوية : الزواج . والعلاقة الجنسية والحب مظهراً وحقيقة . ماذا يراد من نظرية المساواة .

وقد شعرت بفرح . واعتقدت – وما زلت أعتقد وأرجو أن يشاركني القارىء فيما اعتقد – أن كتاب المرأة الذى بحثنا فيه بحثا عصريا ضرورى بسبب ما للمرأة في الحياة من مكانة ، وبسبب ما ينتظر للمرأة المصرية من نهضة صحيحة يكون من ورائها أن يبحث فى مركزها فى مصر على مثال ما يبحث فى اوروبا وامريكا .

للمرأة الانجليزية طابع خاص . وهي على أية حال تختلف في

كثير عن المرأة المصرية . ولكن المرأة فى العالم كله تحدث اثرا فيه خاصا ، وتمتاز بميزة عن الرجل . وهى البنت والزوجة والعشيقة والأم والجدة . وهى آية الجمال . ومبعث الحب ، ومثار العاطفة . لها الصفات النسوية الخاصة . من كل ذلك لا يكون الكلام عن المرأة الانجليزية غير مجد فيما يتعلق بالمرأة المصرية .

ويرى القارىء فصول الكتاب ويجد فى النظر اليها قبل السير الى ذيولها أن المسائل التى تكلم عنها الكِتَاب من المسائل التى تهمنا وتشغلنا وتستغرق شطراً كبيرا من بحث الكاتبين . فاذا ما طالع القارىء ما تضمنته الفصول فانه يحس ، وهو يقرأ ، أنه يستنير بهديها وأنه مستطيع أن يفسر ظواهر خفيت حقائقها عليه — فكان يقضى فيها بأحكام غير صائبة .

أجل . فان الكلام فى الزواج . والحب ، والنزاع بين الزوجين والحب عند المرأة ، والحب عند الرجل ، انما هى مسائل تهمنا كثيراً ونرى انطباق البحث فيها على الحوادث التى تحدث فى منازلنا ومع زوجاتنا وعشيقاتنا . ونحن نتنفع من وصفها ومعالجتها من ناحية توسيع مداركنا ، وتفسير اخلاق الامم الأوروبية ، والحوادث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تقع فى العالم ومن ناحية احتمال ظهورها فى بلادنا اذ كنا نقفوا إثر الأوروبيين فى مناهجنا العلمية ، ونظمنا السياسة والادبية .

***

وتبرز مسألتا الحب والزواج فى صفحة المرأة . وهو ما كان له نصيب من العناية ونحب أن نضيف الآن شيئا غير غزير عنهما .

ارى الحب ، مع الاعتراف بوجوده وآثاره فى الحياة وهما من الاوهام الكثيرة التي تتسلط على الانسان من رجل وامرأة فى هذه الحياة المملوءة بالاوهام . ولا اراه حقيقة من تكوينات النفس والحس ولست أعنى الحب اطلاقا وخاصة الحب الحيوانى الذى يتمثل فى نهضة شاب متهيج لقضاء شهوة الحيوانية بوقاع انثى . فهذا الحب منته بانتهاء لبانة الوقاع . وهو موجه لكل امرأة أو لكل امرأة جميلة أو لكل امرأة شابة . لذلك كان قصدى من الحب شيئاً آخر معينا أعنى الحب الذى يتمثل فى تخصيص نفس رجل بعواطفها وميولها ومالها وحاضرها ومستقبلها وشرفها ودينها وأسرتها وأولادها وامتها أو بأ كثر كل ذلك - الى عبادة انسان آخر يكون غالب الأمر امرأة ويكون فى الندرة رجلا . او تخصص نفس امرأة على مثال ذلك نحو رجل .

هذا هو الحب الذي له اثر وا كبر الأثر فى هذه الحياة . وهو الحب الذي يصلح أن يكون موضوعاً فلسفيا تعقد له الفصول وتملأ من اجل أنهر الصفحات . وا كبر ظنى أن الكتاب أخطأوا فيما

كتبوه عن الحب لأنهم خلطوا المجون والسفاسف والعواقب التى تحيط بالميل للشهوة الوقاعية الوقتية بهـذا الحب الذى أعنيه والذى أخصه – وربما يحق بالاسم والذات ، والذى أمامه أنكر ما سواه .

ومع ذلك فانى أسمى هذا « الحب » المصطفى المطهر من لوثات الشهوة الحيوانية – وهما . وأقول إن هـذا الوهم ضعف فى النفس ، ضعف فى كل انسان هو مرض . ولا تغرب ياقارئى فى دهش لما اقول فألست أنت تسمى الحب أو مرادفاته عندك الغرام والعشق ، والهيام جنونا ؟ أى انك ترفعه الى مكان شر الامراض . فالمرض العقلى أقسى من المرض فى اعضاء الجسم . لأن العقل آلة الانسان وحياته وميزته . فاذا مرض العقل فقد نكب الانسان فى كل ذلك .

ولماذا هو وهم ؟

أرجوك يا قارئى أن تطوف الآن بحوادث الحب التى وقعت لك أو لغيرك وعرفتها بالذات ، أو بالسماع ، أو بالاطلاع . وكن مهتما ملتفتا إلى السبب أو الاسباب التى يتولد عنها الحب . ويجب أن تذكر أن الحوادث تختلف ، وأن اسبابها تختلف أيضاً . ولذلك لا تقيد نفسك بالامثلة القليلة التى اقصها عليك . واعتمد على ما حدث لك أو ما عرفته بطريق من الطرق .

أقول الآن إن اشهر حوادث الحب كانت فى الملاهى العامة وفى أحضان المتاجرات بأجسامهن وأصواتهن : ونظراتهن ، وحركاتهن

ذلك لأن الرجل يجتمع بهن فى وقت خصصه للمتاع واللذاذة ، ووجه تفكيره ونفسه الى اللهو عن الهموم والاعمال . ويكون الوقت ليلا ونور الليل آت من المصابيح والثريات المنثورة أو المنظمة ، واستعد النساء لوظيفتهن بالزينة فى الازياء والغرف . وقد يحضر مع ذلك الشراب والموسيقى والرقص. ويغلب أو يكثر الرجال عن عدد النساء الحاضرات خصوصاً فى المغانى، تبدأ العاطفة بالشهوة الوقتية ثم تتحول الشهوة الى الحب الذى عرفتك عنه . بدهاء المرأة وباستغلالها لشعور المنافسة والغيرة بين الرجال . فيخرج بعد الحفلة رجل أو بعض رجال بتفكير فى الاختصاص بامرأة معينة تحولت اليها كل الانظار أو اكثرها ثم يبدأ فى انفاذ الفكرة باستخدام كل القوى حتى لتتناول المال كله ، والشرف كله ، والمستقبل أيضاً :

يحدث أن يشاهد شاب فتاة فى متجر أو ملهى أو مرقص أو عيادة طبيب أو فى مدرسة أو فى عرض الطريق . فتأخذ محاسنها بلبه . ثم ينظر بعد ذلك فيراها تحادث شابا آخر ولعله اخوها أو احد اقربائها ولكن شابنا لا يعرف ذلك . ويراها تبتسم ، وتضحك ، وتلوم، وتؤنب ويراها تصحب الشاب آخر وتمشى معه . هذه الحركات تشغل شابنا كثيراً وتلهيه عن كل امر ، وتنمى فى عينه وقلبه تلك الفتاة وشأنها ، فتبدو شيئاً عظيما ، وشخصية سمت على كل الناس أو سمت وتعالت عليه هو. وقد يتحرك هو الى الحديث والملق فتنظر اليه نافرة طاردة

حاقرة . أولا تنظر اليه ولا تفرض لشخصه محلا فى الارض ولا لصوته غير طنين تذروه الرياح فينتهى حالا .

ويلاه !. إن نظرت وأن هى أعرضت
وقـع السهام ونزعهن أليم

هنا يطير لبه و يعتقد أن تلك الفتاة العارضة بعيدة المنال . اذن اصبح مطلبها عزيز . واذاً وجب الاَّ يضن من اجلها بعزيز

ويحدث أن شابا يسكن فى منزل به فتاة وقد تكون ابنة صاحب المنزل . فهى جارة له . وهو شاب ملتهب الحرارة سريع حركة العاطفة تمر به أو تحادثه فيفتتن بها . ولكن صاحب المنزل ولكن أسرتها تمنعها من محادثته أو الجلوس معه أو الانفراد به . وقد يكون ذلك بعد أن تمت بعينهما نوع من الرابطة والاتفاق . فيحدث ذلك فى كل من الشاب والفتاة أثرا . و يكون مطلبها بعين المنال أو مستحيل المطال نظراً . فمن هنا ينشأ الحب العميق وحوادثه .

ويحدث أن فتاة اوامرأة سمعت خطيباً أو شاعراً أو مغنيا أو شاهدت بطلا حربياً تحبيه الجماهير . أو يحدث أن الجرائد تكلمت عن شخص بالتعظيم والتهليل . فتأخـذ هذه العبارة الظاهرة بعقل المرأة وتخصص نفسها للوصول الى هذا الرجل المشهور أو المعظم . وقد يكون أمراً دميم الخلقة ، أو فظا ، أو متقدما فى السن .

***

فى الامثلة المتقدمة تجـد الوهم ظاهراً متسلطا . ولكن الحياة مملوءة بالأوهام . وليست الاوهام كلها باطلة وغير نافعة . فان من الاوهام مالا سبيل الى الحياة المطمئنة المسرة بدونها .

فهل وهم الحب نافع أو ضار ؟

لا يكفى فى الاجابة على هذا أن اقول إنه نافع أو اقول انه ضار

وكيف يكون وهم الحب ضاراً ؟

قد يضر الحب – وأؤكد مرة أخرى إن الحب النادر الذى حددته قبل ذلك من ناحيـة أنه يحرم المحب التمتع بلذات الحياة الأخرى ، وبالزمن النفيس الذى ينقضى سريعاً . ويموت ويضيع من عمر المحب دون أن يستق منه محصولا حقيقيا وثمرة . إن الوهم الذى يتسلط على المحب أو العاشق أو المغرم يصور له الحياة العامرة الواسعة ، الحافلة ، الـكبيرة بماضيها ، وحاضرها ، وبلادها ، وأممها ، ومناظرها ، وهوائها فى الصورة الصغيرة المحدودة ، فى تلك المرأة المحبوبة الغانية بالغة ما بلغت من الجمال ، والدلال ، وسحر الهيمنة على القلوب والعقول إن هذه المرأة المخلوقة ليست كل ما خلق الله من جمال ، ولذاذة ، وحياة . انها عرض لا قيمة له من أعراض الحياة .

ان المسائل القابلة لأن يتمتع بها الانسان أو الرجـل عديدة لاحصر لها . فمن ذلك المال والبنون والشهرة والرحلات والعلم والادب

والفنون بما اختلفت. والسياسة؛ حتى الحرب؛ وحتى العذاب؛ وحتى الموت وما فى هذه الطبيعة من ماء ونجوم وشمس وجبال ورياح . فى الدنيا كثير من النساء لهن جمال الخلقة أو عذوبة الحديث ، أو طهر العفاف ، أو حسن الأدب وفي الدنيا الاصدقاء والمواطنون والزملاء فى المهنة . وفى الدنيا الوطن وخدمة الوطنيين ورجالها . فهل من العقل ومن المفيد فى شيء أن ينصرف الانسان عن كل ذلك ويريق ماءه ودمه وماله ، وكرامته ، وصفته الانسانية وعقله اللامع من أجل مخلوقة واحدة وكثيرا ما تكون ساقطة المروءة ، أو ذات جمال عادى غير رائع !

وهنا ارجو القارىء الا ينسى تعريف الحب عندى وانبهه ايضاً إلى التفريق بين الحب والمنفعة والاحترام . فان الناس يتكلمون فى كلامهم جزافا فى الحب – فى ميل انسان إلى انسان آخر من اجل الانتفاع منه ماديا أو اديبا فيسمون هذا الميل حباً . وكذلك احترام انسان انساناً آخر لعقله ، أو شجاعة ، أو حديثة ، أو كرمه . ليس حباً متأصلا . لان كلا من المنفعة والاحترام عارض منتـه سريعاً . ويقتضى لها تقديس ، وعبادة ، وفناء وتخصص والميل المتجه نحوها ليس الا ميلا الى صفة ترغب النفس فيها ما وجدت فى أى انسان . ولكن الحب الذى نعنيه هو المتخصص بالذات لا بالصفات .

الفصل العاشر

صفات الزوجة

لا نريد أن نطيل فى الكلام فى الزواج من كل نواحيه . ولكن سنكتفى بالكلام فى بعضها .

مسألة الزواج مسألة خطيرة الشأن فى الاجتماع الانسانى . وكثير من المساوىء التى نشكو من وجودها فى المجتمع المصرى يرجع الى طريقة بدء العلاقة بين الزوج والزوجة قبل الزواج وفى أبانه . ويعن لى رأى صغير أذكره هنا . وليكن مفهوماً اننى لا أخاطب جهلاء القوم ولكنى أخاطب اولئك الشبان الذين لم يتزوجوا بعد وهم فى احتمال من الزواج . وهم مشغولون به اكثر مما كان يشغل بال أسلافهم .

يجب على شباننا أن يمحوا من أذهانهم مبدأ أن الزواج ضرورة أو ضرورى لكل انسان . ويجب عليهم ألاّ يفكروا فى الزواج إلا اذا بدت منفعة من الزواج . أى اذا تأكدوا أن الزواج يضيف اليهم خيراً جديداً ويضم سعادة لم تكن موجودة أو سعادة تضاف الى سعادة راهنة . لا من جهة المال وحده بل من الجهة المعنوية ليسيروا في الحياة على أن يعيشوا عيشة هنيئة وليحفلوا بصحة أجسامهم قبل

كل شيء . فاذا أثمر جهادهم مالاً قليلاً أو كثيراً وشعروا بضرورة صديق مخلص يقاسمهم الخيرات والمسرات ، ويؤازرهم الملمات والأمراض ، فليفكروا فى الزواج ونفقاته وقدرتهم عليها واستعدادهم لحياة زوجية صحيحة ، وليفكروا فى الزوجة من تكون .

أنا لا أستطيع أن اختار للقارىء الزوجة التى تناسبه . وانما انبه القارىء الى ما عسى أن يكون من تفكيره فى الاقتران بامرأة غنية . ولست فى ذلك أقول ما يقول غيرى فقط . ولكننى أذكّر القارىء بالمحرجات التى يتأذق فيها الزوج بمثل هذا الزواج . ففى اكثر الاحايين يكون الغنى هو الأب أو الأم . والزوجة أو الخطيبة لم ترث بعد ، وانما نظن أو نفترض لها الوراثة ، فأنت أيها القارىء تثقل كاهلك بمهر يناسب هذه الخطيبة الغنية ! (وهى لم تغن بعد بل ربما كانت أفقر منك) . وهدايا متباينة وبعد الزواج تتحمل نفقات معيشة قد تبعد من طاقتك المالية الاجتماعية . لتعلم أن الزوجة لا تقبل أو لا تستطيع أن تعيش معك إلاّ اذا عاشت نفس المعيشة التى اعتادتها فى بيت أبويها مع أنها قد تكون متبرمة بالحيـاة السابقة مدفوعة الى الفرار من ذلك البيت بأى ثمن ، راغبة فى حيـاة مستقلة ، وسيادة منفردة فى دولتك . ولا يكون الأمر على خلاف ما أقول إلا اذا قدرت استثناء لا حساب له عندى . ولا يدفع قولى اقتران الكثيرات من النساء بمن هم أقل منهن كثيراً أو قليلاً . فان الحيـاة فى هذه

الأحوال ليست سعادة واغلبها إلا نكد وهموم وشقاء . ولا أتكلم عن الجاهلات الغنيات فقد نبهتك أيها القارىء إلى أن لا شأن لى بالجهلاء قاطبة .

فأنت أيها الشاب تتطلع الى المال تكسبه من الزواج والزوجة تبهظ كاهلك بنفقات لا طاقة لك بها من أجل مال موهوم لم يوجد بعد . وهل من ضمان لبقاء مال الابوين وهل من ضمان فى أيلولته — اذا بقى — لزوجك ؟ ان زوجك تحاسبك بحساب مال أبويها معاً . وهى حتى فى حالة الوراثه لا تصيب إلا جزءاً من هذا المال . وقد يكون يسيراً .

ثم متي ترث زوجتك : أبعد عشر سنين أو عشرين أو ثلاثين؟ أبعد كثرة البنين والبنات ، رالعلل والأمراض ، والزهد فى الحياة ؟

هل لك من ضمان فى حب زوجتك الغنيـة وأمانتها وعفتها ؟ وهل تضمن لنفسك عندها كرامة أو هل تشعر أنت بكرامة إزاء مالها ؟ أقول كلا . وربما حتى لو كنت غنياً مثلها أو اكثر منها . لأن المرأة التى تشعر بأنها تستغنى بمالها القليل أو الكثير عن الرجل عند الحاجة قد لا تتردد فى العبث بالزوجية والاهمال فى واجباتها خصوصاً فى حال حيرة كالتى فى مصر من تخبط بين جهالة وتعلم

احذرك ، يا قارئى ، ألا تجعل الاستثناء النادر قاعدة .

***

لا تهتم بأن يكون لك أبنـــاء كثيرين . ولتذكر الهموم التي ينشئها الطفل وهو جنين إلى أن يكون رجلاً . حتى اذا كان سعيد الحظ موفقاً وحتى اذا كنت غنياً لا يهمك ما تنفقه من مال كثير فى تربيته .

ويجب أن تعلم المرأة أن الحمل يضعف صحتها ، ويذبح جمالها ويسحب حمرة خدها واشراق وجنتيها ، ورشــاقة قدها ، وبساتها ثم ان ولادة الطفل تعرضها أحياناً للخطر . ومن النساء من يكون الحمل والولادة كارثة عليهــا . مما ليس من مصلحتها ومن مصلحة الأبناء لأنهم يولدون ضعفاء

ومعروف أن الفتاة الحديثة السن المختارة للحب والزواج تكون محبوبة لأنهــا لم تلد قط . ويكون الزوج فى أول الأمر مريداً التمتع بها بحالتها التي استهوته . فليدرك ذلك الزوج أن بقاء هذه الحالة المحبوبة لا يكون إلا بقضاء ما لا يقل عن خمسة أعوام معها دون حمل وولادة ورضاعة . فمن الخطأ البحث عن الولد بمجرد الزواج والدخول وليكن شهر العسل أعواماً لا شهراً واحداً . وهو يكون كذلك ما دامت المرأة لم تحمل ولم تلد .

لا شك أن العمل بهذه الآراء الخاصة يؤثر في المجتمع ، الذى قوامه كثرة السكان . ولــكننى أتكلم فيما تفكر فيه طبقة معينة من

هذا المجتمع . وهى طبقة الشباب الحديث المتعلم الذى يريد أن يخالف فى معيشته ما سار عليه أسلافه كما ارتأى أن يخالفهم فى كل المسائل الاخرى تقريباً . كذلك أقول ان العبرة فى الأمم ليست بعدد السكان وانما بعقولهم الصحيحة ، وأجسامهم السليمة ؛

إن الزواج ضرورى للعمران والمدنية لتظهر الاخلاق الفاضلة التى تنشأ من تعاون الرجل والمرأة وارتباطهما ونسلهما . ولتبقى الحياة الانسانية بغير فناء . ولكن لا يؤتى التعاون بين الزوجين الثمرة الصحيحة الصالحة إلا باستيفاء شروط معينة . وكلما ارتقى المجتمع أو طبقة فيه كثرت الشروط . وحسبنا ان نذكر القضايا اليومية التى نشاهدها لندرك أين تكون الحياة الحميدة .

وربما كانت الطبيعة حسنة الاختيار فى إلهاء طبقة العمال والصغار عن التدقيق فى الزواج والحياة الزوجية لتترك العدد الاعظم من الشعب فى غفلة وقناعة ودون تفكير عميق ليكون هذا العدد جسماً للأمة لأنه الفريق الذى يخدمها بسواعده وعضلاته واخلاصه وجهله .

***

ومن عيوب الزواج والزوجية العديدة فى مصر وغيرها الاهتمام بمبلغ المهر أكبر الاهتمام . ويحدث كثيراً أن يغفل ولى أمر المرأة عن حالة الزوج المالية الحقيقية ، وسنه ، ومظهره فى الاجتماع الانسانى ،

ودمامة خلقته ، وسلوكه ، وخلقه ، ويجعل الشرط الوحيد أو الشرط الأول فى زواج ابنتــه مقدار المهر . مع انه حتى فى الحالة التى يؤمن فيها ولى الأمر بالمال وحده شرطاً لقبول الصفة الزوجية فان تقديره للمال يجب أن ينصرف الى ما عند الرجل من العقار والتجارة والمال المـكنوز أو الربح الـكثير . وكثيرون من الناس ان لم يكن اكثرهم يقترضون مبلغ المهر ويبدأون حياتهم وبنـاءهم العائلى وهم مثقلون بالدين !

وليت الزوجة تستفيد من هذا المهر الـكثير حقاً . لأن المهر ينفق فى الأثاث والزينة وهو مال يكاد يكون ضائعاً . وليس المهر وحده هو الذى ينفق فى ذلك . بل يضاف اليه اكثر من مبلغه . فلو ان المبلغين ، مبلغ المهر من الزوج ومبلغ المساعدة من ولى الأمر يضمان لتكوين نواة لمال خاص بالزوجة وخصوصاً اذا كانت فقيرة ، ويقتنى به أسناد ، أو عقار ، أو أسهم ، أو يودع فى مصرف ، لـكان ذلك أدعى للفائدة وعدم النزاع . أما الأثاث المنزلى فيجب أن يكون قليلاً (وعلى نفقة الزوج وحده). ونحن جميعاً نعلم المنازعات التى تحدث من أجل المهر والجهاز ، والنفقات التى تقتضيها صيانة الأثاث

***

ليكن شعار طلاب الزواج « المرأة الفقيرة أفضل من الغنية » و « المرأة القديرة خير من المرأة الجميلة » حتى فى حالة غنى الزوج .

هذا اذا شاء أن يتمتع بثمرات الحياة الزوجية الصحيحة . ومما يخطىء فيه الناس النظر الى الزواج من ناحية الشهوة الحيوانيــة أو المال . والزواج الصالح هو الذى تكون غايتــه الاستفادة من انسان جديد صديق مخلص أمين . وليكن التعليم والجمال وقضاء الشهوة من بين أغراض الزواج . ولـكن حذار من أن تكون هذه الرغائب منظوراً اليها وحدها . ولتأت بعد صفات الصــداقة والاخلاص والأمانة ، لا قبلها ، واذا قال لى طالب الزواج انى فقير ولا أستطيع الانفاق وحدى على أسرة فانى أجيبــه بأنه خير لك ألاَّ تتزوج . ولا تعلل نفسك بالأمثلة القليلة النادرة التى يحدث فيها أن رجلاً فقيراً يتزوج من امرأة غنية ، ويعيش سعيداً ، محترماً ، منتفعاً من قرينته ومالها .

يقول بعض الناس يجب أن نتحمل كل مساوىء الزواج حفظاً لصحتنا من الوقوع فى الأمراض التناسلية المهلكة . ولو قلنا إن هذا الوقوع إثم لما كان أقل منه اثماً خلق أولاد كثيرين وتركهم دون القدرة على تربية صحيحة . بل اننا اذا تزوجنا جزافاً نخلق لأنفسنا وللمجتمع آثاماً دائمة .

***

ومن أجل هذه المحظورات يجب أن نقيم فى الحياة الاجتماعية أسساً للفضيلة ، والايمان ، وتحريك الميول والعواطف الانسانية الى اللذاذة الحقيقية فى العمل والمناظر الطبيعية والود بين الاصدقاء والزملاء

وخدمة الوطن ، وخدمة الانسانية . لنصرف الجانب الأكبر من عنايتنا إلى هذه المسائل . لأننا بذلك نتمتع بالحياة الحقيقية لا الوهمية . وليعلم كل رجل وكل شاب أن ما يقال من أن قضاء الشهوة ضرورة صحية هو قول الجهلاء . وأن المادة الشهوانية اذا بقيت فى الجسم تتحول الى أغذية مفيدة للجسم . وأن اتجاه الفكر للشهوات محرك لها مضر بصحة الجسم بالتمادى والاسراف . وانه يجب أو يحسن أن يتجه الانسان الى ملذات الدنيا الأخرى فانه لواجد المتاع حتى فى الهموم والأحزان ، حتى فى السجون ، حتى فى الفقر

كذلك حتى فى حالة اللذاذة بالمرأة يجب الأ ينصرف الى غرض الشهوة البهيمية وحدها . وانما عليه أن يتمتع بالمرأة بحديثها ونظراتها وابتساماتها ، ودموعها وإعراضها ، وصوتها ، وكبريائها ، ورحمتها . فهى لذاذة كاملة صحيحة باقية في عزة نفس، واحترام ،وبراءة، و بلا مقابل .

واذا أردت ايهـا الرجل أن تكون محبوباً فى عين المرأة فلا تسلمها قيـادك مرة واحدة فهى لا تفكر فيك ولا تحبك ولا تكون مخلصة فى حبها متفانية فى الرجل إلا إذا احترم نفسه وتأبى وغلبت ارادته شهوته إن حقاً و إن تصنعاً .

***

وليدرك جمهور العاشقين أن المرأة تحب القوة . وذلك لأنهـا

اعتادت منذ أبعد العصور أن يسيرها الرجل،وأن يحميها ، وأن تكون تابعة له . والا فانها حتى الى الساعة الحاضرة التى بلغت فيها اليقظة النسائية حداً قد يشبه المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة – تلتمس مطالبها من الرجل . وهى تابعة لما أوجده الرجل وأنشأه من السياسات والآراء والمعتقدات ، والأحزاب ، والنظم . فلم تخلق لنا المرأة الحديثة ديناً جديداً ، أو نظاماً سياسياً مبتكر أو حزباً عاملاً . وانما هى فى نهضتها تتبع قديم الرجال وحاضرهم فى هذه المسائل .

وهذه القوة تتمثل فى أمور كثيرة . فالرجل القوى الساعدين المفتول العضلات قوى جسماً . والرجل النحيف ذو العقل الذكى قوى بعقله . والرجل الشهير قوى بشهرته . والرجل الغنى قوى بماله . والرجل الشجاع قوى بشجاعته . والرجل العامل قوى بعمله . والرجل الشرير قوى بشره . والرجل القاسى قوى بقسوته . لأن كلاً من الجسم الشديد الصحيح ، والذكاء ، والشهرة ، والمال ، والشجاعة ، والعمل ، والشر والقسوة -قوة . ومن ذلك نفهم كيف يكون الحب عند النساء . وندرك لماذا يحب النساء رجالاً يغلب أن يكونوا على غير جمال وأدب ومروءة .

***

نسمع الكثيرين من الكتاب الاجانب والمصريين يقولون ان خير زواج لهو ما كان وليد الحب بين رجل وامرأة ، بين شاب

وفتاة . ثم يصفون بسطة الحياة الزوجية واطمئنانها وغبطة عيشها وأنس مجتمعها ، وألفة ناديها . ولسنا ندرى ماذا يقصدون من الحب الذى يقولون به . أهو الحب الذى عنيناه فى هذا الفصل أم هو الحب الذى حقيقته احترام واعجاب فى أدب وعقل ، لا فى هوجة عاطفة ، وحدة شعور ، وثورة شهوة ؟ . أم هو حب الساعة الواحدة ؟

وقد عنينا الحب الذى يمثله التفانى والتضحية واختصاص ذات نسانية بكل العقل،و بكل المال،و بكل الحياة،و بكل الآمال ،و بكل المستقبل . وسواء أكان ذلك حسناً أو غير حسن . فهذه هى الحالة النفسية هى التى تسمى حباً حقاً . وهذه الحالة النفسية قد لا تكون فى جانب المصلحة

ولنفرض أنه يبدو على هذا الحب ظاهر المصلحة ، وأنه ينشىء الزواج المحبوب . وأنه يتبع بالغبطة فى الزوجية . فهل تبقى حرارته أبداً ؟ واذا قلنا إن ذلك محال ان يكون لأنه لا يلائم الطبيعية البشرية ولا الطبيعة العامة إذ كان التغيير ناموساً لكليهما ؛ وكانت الحرارة آيلة يوماً الى برودة ؛ وكان حتماً على الانسان ان تبرد حرارته الجسمية بانتقال من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة — اذا قلنا هذا فانه مما لا ريب فيه أن تسكن تلك العاصفة الغرامية الهوجاء . ومسألتنا تأتى ها هنا . وهى أن السعادة الزوجية التى ولدها الحب

لا بد من أن تتأثر بهذه البرودة . وربما صح هنا قولهم « على قدر الصعود يكون الهبوط » أو « الهدم أسهل من البناء » .

ولذلك وجب أن نخشى من دور البرودة والفتور فى الحياة الزوجية وخصوصاً بعد أن تكون الزوجة قد مسح من وجنتيها حمرة العذراء وصفاء الوجه المبين ، وحملها الزمان بأثقال البنوة والنفقات الكثيرة والأمراض . ويكون الزوج — بالضد منها — قد أقبلت عليه الأيام ، وفاز بالنوال ، وتحققت له الآمال .

كما أن الحب الذى نعنيه فى هذا الكتاب لا يترك للروية مكاناً ، ولا للمصلحة فهماً ، ولا للمستقبل تقديراً . وهو كما قلنا وهم من أوهام الحياة يتسلط على المحبين

الفصل الحادى عشر

اختيار الزوجة خطيبها

نسمع الآن بلسان المرأة الحديثة فى مصر المطالبة باعطاء الفتاة حق اختيار الرجل الذى يكون بعلاً لها . ونسمع قبولا لذلك الصوت من جانب الفتى الحديث وقلة الرجال الذين تشاء مذاهبهم الاجتماعية نصرة النسوية بمنح المرأة حقوقاً تماثل ما للرجل من حقوق أو برد حقوق طبيعية سلبها الرجل اياها

أما أن المبادىء العصرية المؤسسة على قواعد الحرية والمساواة تجيز للفتاة اختيار خطيبها ، حسبما يهوى فؤادها وتبعاً لتقدير عقلها فهذا ما لا نزاع فيه والسبب فى ذلك يرجع الى أن المرأة الحديثة قد خوِّل لها –قبل الحقوق السياسية –حق التعليم الى اقصى ما تشاء والى أبعد حدود العلم.وليس من مانع قانونى،ولا حتى فى مصر ، يمنع الفتاة من أن تأخذ نصيبها من العلم ببسطة ما يأخذه الرجل منه .بل وليس ما يمنعها أن تبز الرجل فيما وصل اليه من مقام على.واذا كانت المرأة تتعلم ما تشاء ، وتمتهن بكل المهن من طب ومحاماة وهندسة وتجارة وزراعة ، واذا كان لها عقل ولها ارادة ولها أثر أدبى لا نكران فيه –

فليس مقبولا أن ينكر عليها منكر حقها المطلق فى أن تختار الرجل الذى سيكون لها الجليس المؤانس والخليل الشرعى . والذى ستحمل اسمه واسم اسرته تأتلف معه ألفة تنبت فى هذا العمل ثماراً هى الحياة المستطيلة المتتابعة بعد أن يذبل عود الفتيان والفتيات بالكهولة والرجولة والشيخوخة والموت . فيبقى أطفال ألفة الزوجية وحدهم معقد آمال الحياة ، وغرض عمران الدنيا .

اذن يكون ظاهراً أن الفتاة يحق لها أن تختار وأن تنتخب من يدعى عادة شريك حياتها . خصوصاً اذا رأينا فى الزواج ذلك الارتباط المقدس الأبدى . لا تلك العلاقة الفاترة ، التى لا يحفل أتوثقت عراها أم وهنت قواها . ولا تلك الصيغة التى يبرم بها عقد القران . ولا تلك الحفلات الزاهية والحفاوات الباهرة بما فيها من ولائم تولم ، وموسيقى تطرب ، وأصوات كيروانية تغرد . ولا التهانى تترى .

واذا كانت الشريعة المسيحية قد رمت الى الزوجية المفردة وتحريم الطلاق ؛ والشريعة الاسلامية قد قيدت تعدد الزوجات بقيود متعذرة التحقيق خصوصاً فى وسط تلك المدنية الهوجاء وأباحت التعدد والطلاق ارتكاباً لأخف الضررين — فان دواعى الحضارة الجديدة ومبادئها يدعوان إلى الزوجة المفردة وإلى اجتناب الطلاق . أما الزوجة المفردة فيُقضى بها على الاكثر ، من الوجهة العصرية ، بسبب مشكلة الحياة الاقتصادية . إذ ليست المعيشة فى الاوقات

الحاضرة رغيدة ميسرة لكل انسان . بل أن تعــدد الحاجات ، وكثرة المطاليب ، وازدياد المنافسة والابتكار - قد جعل العالم محلا للتطورات الانقلابية الحثيثة . فاختراع جديد قد يفضى الى نكبة طائفة كانت تعمل عملا ما .

وثمة من الاسباب الصحية ومن موجبات توافر الخير للاسرة وتحسين حال أفرادها - ما يدعو الى عدم تعدد الزوجات . بل وتأثيمه وتجريح الخارجين عليه ، الذين يحقرون شأن الانسانية - فوق فساد اجتماعى قد يكون محققاً ، وفوق اجهاض اقتصادى الا فى الندر — والذين يغضون الطرف عن ان الحياة الزوجية لمستقبلها لا لحاضرها ، او لمستقبلها اكثر منها الى حاضرها .

كما ان الطلاق انمــا هو ضربة قاتلة فى صميم الاسرة وابناء الاسرة . والاسرة وأبناؤها هم غرض الزواج أصلا .

فتفادياً من هذين الاثمين - اثم تعد الزوجات واثم الطلاق يجب ان يكون للفتاة حق الاختيار عند تزويجها .

* * *

ولــكن يقال ، وهو قول وجيه ؛ أنه ليس من الصواب أن نترك الفتاة تختار من تشاء بنفسها . وأنه واجب أن تختار لها الزوج . ذلك لأن الفتاة الصغيرة ، مهما تعلمت ، لا تستطيع في وسط ذلك الضلال الاجتماعى ان تحسن اختيار زوج لهــا . فهى فتاة صغيرة بريئة من

وصمات الفساد الاجتماعى والضلال الجنسى فى العادة . وهى تعلم من عمليات الحياة قشورها ومظاهرها . وهى تحكم على خطيبها بحسب ما يظهر فيــه من حديث مصطنع ، ووعود خلابة ، ورواء ، وحسن ملامح ، و بقدر ما يقدمه من الهدايا ، وينمقــه من رسائل الغرام والـكتب المنسقة تنسيقاً انشائياً يستهوى ويخاب . هذا الى رقص ، وارستقراطية ، وحسن هندام ، وتجمل بالعطور الشذية . وقد يكون هذا كله تـكلفاً ، وهو اكثر ما يكون عند المحبين عادة . فمن اين للفتاة المدرسية التى سنها يبلغ من العمر الستة عشر او الثامنة عشر او العشرين . او الخمسة والعشرين ، ولم تطلع على مكر الحياة ، وخبث العشاق وتقلبهم ما بين الحين والحين ، ولم تنضج بعــد أن تلمس كذب الوعود ، ورياء العهود ؛ ولم تدرك اين يكون الزواج السعيد أفى رجل حسن التربية العلمية ، أم فى كريم الخلق ، أم فى نبيل العرق . أم فى مليح الصورة جذاب اللمحات . أم فى السرى القدير على النفقة ؛ أم فى عظيم له منزلته العليا بين الناس ؛ وهى مسائل لا نستطيع ان نقول إن الفتاة الشابة تدركها ؛ وان ادركتها فرضاً أيمكنها أن تقدر حقيقتها وأثرها عليها فى مستقبل حياتها !

وما من ريب لدينا ولدى سوانا ان اوساط الفتيات لا يستطعن تقدير هذه الاحوال . وان الفتاة يتغلب عليها المظهر اكثر من المخبر . فهى بعد صغيرة . تحب اللهو . وهى امرأة بضاعتها الزينة واهتمام بلفت

انظار الرجال اليها . وهى مخدوعة ، غارقة فى احلام الحياة ، سابحة فى خيال عشيقها المصطنع لها مظاهر التأثير .فترى نفسها حين تجلس الى نفسها وتخلو الى خيالها ،وقد ارتفعت من عالمنا المملوء بالمفاسد والشرور وانواع الضلالات والحقائق المرة انهـــا تجلس على عرش ملكى تعالى عن عروش البشر . وهى فى مملكتها تأمر فتطاع ، وتطلب فتجاب

فهل من الصواب ان ينزل الابوان ، وهما ممن عركوا الزمان المتقلب واكتووا بنيران الدنيا المفجعة – ابنتهما تتنازعها الاغراض ، وتخلبها الاهواء ؟

لا شك أن الام تحنو إلى ابنتهـــا ، وأن الاب يهمه ان تعيش ابنته فى ارغد عيش . فهوان اختار لها زوجاً غنياً ، قد عطل فى نظرها من الجمال والفتوة فلأنه عرف أن الحياة عسيرة وقاسية اذا لم يسعفها المال الكثير . وهو اذا آثر الرجل الذى كملت تربيته العلمية فانما هو يعلم ان الحياة المدنية الحاضرة لم تنتقل الى ما فيها من حقائق وسهول وأمن إلا بفضل العلم وأن الجاهل عدو نفسه وعدو زوجه أيضاً . وهو اذا فضـــل حسن الاخلاق ، فلأنه يعلم ان سعادة الاسرة فى الفتها وضمير أفرادها وان ذلك معقود بالاخلاق الفاضلة .

وهو اذا أبى أن يصاهر ذلك الشاب الجميـــل ، حسن الزى ، حلو الحديث ، كثير الوعود فانما لانه كانه يوماً ، وكان يعرف هويته

وتقلبه ، وهوجاءه وسوء تقديره للعلاقات الزوجية وغروره الذى قد يؤدى به الى الجحيم

* * *

ومن جهة اخرى نلاحظ فى مصر ان اكثرية الابوين انما من تلك الطبقة الجاهلة التى عاشت فى الجهل والرجعية والتى فهمت الحياة خطأ . فقدرت الزوجة مجرد سيدة طائعـة تكون أداة لقضاء شهوة الرجل . وتكون حركة اذا أشار الى سكونها بالتحرك . ويقود تلك الابوة والامومة الى اختيار قرين الفتـاة أسباب ليست من الخير فى شىء . وقد يأتى الخير عفواً . قد يبعث الابوين الى تفضيل خطيب غنى - خطيب مجرد اليسر المالى ولو عرى ذلك اليسر عن الفضائل والعلم ، أو مجرد القرابة ، أو سابق الوعد . و ضخامة المهر والاستعداد لحفلة العرس - اعتبارات لا رابطة بينها وبين الزوجية القدسية فى شىء . أو لها ارتباط لكن بكيف آخر

فهل يجوز لنا أن نترك فتياتنا المتعلمات لارادة أولئك الجهلاء ، أم ذا ؟ الحق إننا لا نستطيع أن نقبل ذلك وحسبنا المساوىء اليومية التى يحدثها زواج على هذه القواعد . والشقاء الذى هو ملازم لاكثر الاسرات المصرية حتى ما نضج منها وتهذب .

على أننى ، وأنا من نصراء المساواة الجنسية ، أقدر فى سبيل سعادة الفتيات لا فى مصر وحدها وانما فى كل بلد - أنه من الواجب

على الأباء أن لا يكتفوا بتعليم بناتهن فى المدارس وفى المنازل مهما كانت درجة هذا التعليم ولـكن عليهن واجب وهو أن يمرنوهن على ادارة المنزل ويجعلوهن يلمسن ، عن قرب وعن حس ، نفقة المعيشة ، ويخالطوهن بالمتزوجات ليعلمن الصفات التى يجب أن تطلب فى زوج مريح نافع . وأن يعلمن على كل حال ان فى الحياة تضحية . وأنه لا يمكن ان تكون الحياة كلها خيراً ، وشراباً عذباً . وأنه لا بد من ان تضحى شيئاً فى سبيل شيء . فقد نضحى الجمال فى سبيل المال اذا عرفنا ان المال خير وأبقى وأنفع وأدوم ، وان الجمـال لا يغنى عن مطالب الحياة ونفقاتها كما أنه لا يحتفظ بروائه أن الآن بين بل هو ذاهب فى يوم أو فى آخر . وهو اعتبارى اكثر منه مطلق . وقد تضحى المال في سبيل العلم . وقد تضحى الشهوة فى سبيل الشرف . وهكذا . والفتاة ستعلم ، بعد الزوجية ، أنها بسوء اختيارها قد ضحت خيراً فى سبيل فاسد ، وآجلا مضموناً فى سبيل عاجل ذاهب .

كذلك من الواجب عدم الاسراع فى تزويج الفتيات . وخير ان تبقى الفتاة الى سن الخامسة والعشرين . وعلى كل طالب زواج أن يفهم أن الفتاة الصغيرة من سن السادسة عشر لا تستطيع أن تفهم أغراضه وعقله وحبه ، وان تساير مشاكل الحيـاة . وأنا أخشى الانتكاس . فان الفتاة الصغيرة تغمرها الاحلام فمتى اعتركت بالحقائق زالت ابتساماتها ، وانهمرت دموعها ، وذهبت حمرة وجنتيها

فصارت زهرة زابلة ، ونفساً باكية ، وقلباً مغموماً ، ويأساً محزناً .

على انى لا أخص الفتاة الصغيرة بقلة التجربة والتقدير وكثرة الانخداع لأنها من الجنس النسوى . كلا . ولكننى أقدر أيضاً أن الشاب الصغير مصاب بمثل ادواء الفتاة . غير أنه لما كان مطلوباً منه هو أن يقوم بالنفقة على الزوجة وعلى المنزل فأنه أسرع من الفتاة عادة فى معرفة حقائق الحياة المر . وهذا ما يدعوه لأن يكون متردداً ، حذراً ، متقلباً .



الفصل الثانى عشر

مطالب المرأة المصرية

لم يكن للمرأة المصرية فيما قبل الحركة الوطنية الحديثة صوت يرتفع بمطالب . ولكن ظهر صوت المرأة أخيراً والفت جمعيات نسوية عديدة ومجلات تحررها سيدات . ونحن نثبت هنا المطالب التى قدمتها اكبر هيئة نسائية فى البلاد إلى البرلمان المصرى فى أول انعقاده لسنة ١٩٢٤ اثباتاً للتاريخ

قرار

عقدت لجنة الوفد المركزية للسيدات وجمعية الاتحاد النسوى المصرى عدة اجتماعات للبحث والمناقشة فى برنامج السيدات المصريات ومطالبهن وقررن بالاجماع فى الجلسة الختامية تقديم ما يأتى الى نواب الامة وصحافتها وكذلك توزيعه فى الخارج باعتباره مجموع المطالب المشتركة

الرئيسة	السكرتيرة
هدى شعراوى	احسان احمد

حضرة صاحب المعالى رئيس مجلس الشيوخ
حضرة صاحب المعالى رئيس مجلس النواب
الى الصحافة
الى الرأى العام

الآن وقد تولى التشريع فى مصر رجال مختارون يمثلون ارادة الامة يحق لنا نحن السيدات أن نطالبهم بالسير بأمتنا المصرية الى مصاف الأمم الدستورية المتحضرة

ولما كانت المرأة المصرية هى نصف مجموع الامة ومربية الجيل القابل رجالاً ونساء شعباً ونواباً ولما كان هذا النصف قد حرم الاشتراك فى وضع الدستور وفى الانتخابات وفى النيابة ومنع كذلك من الاشتراك فى البت فى مصير البلاد

رأت لجنة الوفد المركزية التى مثلت نساء القطر منذ سنة ١٩١٩ منضمة اليها جمعية الاتحاد النسائى المصرى التى قامت بكثير من الأعمال الاجتماعية والنسوية لصالح هذا البلد أن تدلى الى الأمة بآرائها ومطالبها بالنيابة عن نساء هذا القطر فى الامور السياسية والنسوية والاجتماعية راجية أن يفحصها النواب المحترمون بأقصى ما تستحق من همة وعناية وما يؤمل فيهم من شجاعة ووطنية

وستسعى اللجنة من جهتها لتحقيق هذه المطالب بكل الوسائل المشروعة ؟

على انا لا نجهـل ان هذه الاصلاحات كثيرة متنوعة تستلزم مجهودات هائلة ونفقات عظيمة غير أنا نلفت النظر اليها حتى تدرس من الآن ويبت فيهـا ثم تنفذ على قاعدة تفضيل الأهم على المهم وعندنا أن أهم ما يعنينا بعد المحافظة على كيان القطر وسلامته واستقلاله هى أمور التعليم والصحة

ونرجو من الجرائد والرأي العام السهر على درس هذه المسائل وتشجيع الحـكومة والبرلمان حتى يكون المجهود مضاعفاً فتبنى الأمة جميعها بذلك أساس الاستقلال الحقيقى ؟

السكرتيرة	الرئيسة
احسان احمد	هدى شعراوى

***

القسم السياسى

البرنامج العام

١ الاستقلال التام لمصر والسودان

٢ التمسك بحياد قنـال السويس حسبما تحدده الفرمانات والمعاهدات على أن يوكل لمصر المحافظة على هذا الحيـاد كما كانت الحال قبل الاحتلال

٣ عدم التقيد بتصرفات انجلترا فى الاراضي المصرية سواء

بالنسبة لنفسها أو للدول وكذلك عدم التقيد بالاتفاقات التى سبقت دون أن تقرها الامة خصوصاً اتفاقية السودان وتصرفات انجلترا فيه وتصريح ٢٨ فبراير وما ينبنى عليه من القوانين والاجراءآت

٤ عدم الاعتراف بما ورد فى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ من تحميل الخزانة المصرية قسماً من ديون تركيا القديمة فان سيادة تركيا على مصر زالت وليس لها عليها حق ما

٥ الامتيازات الاجنبيــة تحل حلاً وديًا بين حكومة مصر المستقلة (المطلقة التصرف) من جهة وبين الدول ذوات الشأن من جهة أخرى

٦ اذا رأت الامة وجوب الدخول في مفاوضة مع انجلترا لاسترداد حقها المغتصب فليكن بشرط أن تصرح الهيئة المنتخبة لاجراء المفاوضة بقاعدة صريحة وبشرط أن تقبل انجلترا مبدئيًا هذه القاعدة حتى تكون المفاوضة مثمرة ولا تفشل كما حصل مرتين

(تعديل الدستور)

١ النص على أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر مع تعديل سائر المواد التى يقتضيها هذا النص وتسوية الحالة بالنسبة لقروض انجلترا فى السودان تسوية تضمن سيادة مصر فى بقاعهـا حتى لا تكون لانجلترا مصالح خاصة هناك كأن تنتقل ديون السودان الى

مصر وتسلم الخزانات لمصر أو توقف أعمالها حتى تباشرها لجنة فنية مصرية أو غير ذلك مما يراه الاخصائيون واعادة النظر بما يتفق وسلطة الامة وسيادتها فى المواد المتعلقة : — بالاحكام العرفية — حرية الصحافة — حرية الاجتماع — التعيين فى مجلس الشيوخ — التشريع فى غياب البرلمان — تعيين الضباط وعزلهم — صيغة يمين الملك (أن يقسم يمين الامانة للملك الدستورى) — استجواب الوزراء — وغير ذلك مما يرى تعديله

٢ تعديل قوانين الانتخاب بما يلائم لوائح البلاد المتمدنة سيما جعل الانتخاب بدرجة واحدة

٣ الغاء القوانين الاستثنائية والرجعية أو تعديلها :—

(١) سواء ما صدر منها قبل الحرب : — قانون المطبوعات — احالة الصحفيين على محكمة الجنايات — قانون التجمهر — النفى الادارى — المحاكم المخصوصة

(٢) أو ما صدر منها بعد الحرب : — قانون الاحكام العرفية — قانون الاجتماعات

(٣) مراجعة التعديلات التى أدخلت على قانون العقوبات بشكل يلتئم وروح العصر

(٤) استدراك ما عسى يمكن استدراكه من قانون التضمينات

(٥) الدفاع

(١) وضع أساس شامل للبدء فى تنظيم الجيش والبحرية والطيران بقدر ما تقتضيه سلامة البلاد

(٢) تنظيم وسائل النقل والمواصلات البرية والنهرية والجوية والتلغرافية والتليفونية وتوزيع الارساليات المصرية على هذه الأسلحة الى أقصى حد تسمح به الميزانية من كل عام

(٣) التدريج فى القاء مقاليد هذه الامور الى أيد مصرية عند نهاية مدة محدودة

***

القسم الاجتماعى

١ المبادرة بتنفيذ حكم الدستور الخاص بنشر التعليم الابتدائى فى جميع انحاء القطر بصفة الزامية

٢ ادخال التعليم الدينى والخلقى فى عموم المدارس

٣ الاكثار من البعثات العلميــة وخصها بالعناية التى هى فى أشد الحاجة اليها الآن وبانتقاء المشرفين عليها من رجال التعليم الوطنيين الاكفاء

٤ جعل التعليم الثانوى والعالى غير مقيد بأى سن مساعدة على نشر العلم

٥ ادخال القواعد الأولية من علم الصحة ومبادىء القانون

العام — وحبذا لو أدخل أيضاً فن الموسيقى لما له من الاثر فى تهذيب النفوس

٦ التعجيل فى انشاء الجامعة وانشاء لجنة لترجمة النفيس من المؤلفات الأجنبية الحديثة الى اللغة العربيـــة لأن هذا هو السبيل الوحيد لاستغلال التعليم باللغة العربية

٧ سن الأنظمة المشجعة للصناعات الوطنية والأهم فى ذلك :-

(١) تعديل أنظمة الجمارك حتى تكون وافية لحماية المصنوعات الوطنية من مزاحمة المصنوعات الاجنبية خصوصاً الكمالى منها

(٢) تشجيع محال الصناعة باقراضها النقود مادامت مضمونة السداد

(٣) الحث على اقامة مصانع متنوعـــة وتنظيم الاسواق فى الداخل والخارج لعرض بضائعها وتصريفها

(٤) وضع حد لاعطاء الامتيازات التجارية للاجانب ووقوفها عند حد الضرورى منها

٨ اصدار القوانين اللازمة لمحاربة المخـــدرات والمسكرات صيانة للاخلاق وحفظاً للنسل

٩ محاربة البغاء وتطهير البلاد من هـــذه الموبقات القاتلة للدين والشرف والصحة

١٠ العمل على تعميم المستشفيات فى جميع مراكز القطر

سيما مستشفيات الامراض المعــدية والسرية وأمراض البلهارسيا والانكلوستوما والعمل على تقليل اضرارها ان لم يمكن ابادتها

١١ اقامة الملاجيء للشيوخ والعجزة وأبناء السبيل منعاً للتسول

١٢ اصدار قوانين تلزم الآباء مسئولية العناية بأطفالهم الى سن الرشد ومنعهم عن التسول او انتهاك حرمات الآداب العمومية

١٣ تنظيم السجون بحيث تكون كمدرسة يدخلها المجرم ويخرج منها صالحاً للعمل النافع بعيداً عن الاجرام كما يجب أن يميز المسجونون السياسيون بمعاملة خاصة

١٤ محاربة البدع والخرافات التى تتعارض مع العلم الصحيح وذلك بأن

(١) يضرب على أيدى الدجالين

(٢) عدم اعطاء رخص لإقامة الزار

١٥ انشاء مصحات لاطفال الفقراء يقصدها الضعفاء والناقهين لاسترداد قوامهم وتكون صيفاً فى جهة مناسبة كالاسكندرية او بور سعيد وفى الشتاء فى جهة كالاقصر او حلوان

١٦ انشاء بساتين داخل المدن الاهلية مع ايجاد ملاحظات وطنيات او (أجنبيات عند الضرورة) لمراقبــة أطفال الفقيرات اللواتى يذهبن للتكسب بينما تكون أطفالهن تلعب فى هذه الحدائق الهادئة النظيفة تحت مراقبة هاته المربيات

١٧ سن قانون يحمى اليد العاملة من استبداد الرأسماليين

١٨ تعميم النقابات الزراعية فى انحاء القطر

١٩ ادخال زراعات أخرى خلاف القطن حتى لا تعتمد ثروة البلد على محصول واحد

* * *

القسم النسوى

(ديباجة)

لا حاجة للتدليل على أن أعمال النساء اللواتى هن نصف مجموع الامة يمثل حركة تقدمها جميعاً ولا حاجة للاستشهاد بالتاريخ فى مواطن عدة على ان رقى الامم مرتبط طرداً وعكساً برقى النساء فيها فنحن اذا طالبنا باصلاح النساء خاصة فلسنا نؤثر أنفسنا على غيرنا من عناصر الامة ولكننا نعرف ان فى اصلاح المرأة اصلاح المجموع

ولا ريب ان خير وجوه الاصلاح العلم والتهذيب لأنهما العامل الحقيقى فى اعداد كل فرد للقيام بواجبه على الوجه الا كمل مما ينهض بالبلاد نهوضاً حقيقياً

ولما كان الدين الاسلامى يأمر بتسوية الجنسين فى امور شتى (لا شك ان التعليم أحدها) فلهذه الاسباب نلح على الحكومة

والبرلمان والصحافة وطلاب الاصلاح الحقيقى ان يوآزرونا فى هذا الباب الذى هو أولى الاصلاحات بالبدء

ولا يمنعنا صرف همنا الى التعليم من المطالبة بحقوق المرأة المهضومة ولسنا بذلك نطلب بدعة ولكننا نطالب بالحقوق التى اعترف لنا بها الدين والحق

القسم النسوى

١ مساواة الجنسين فى التعليم وفتح أبواب التعليم العالى وامتحاناته لمن يهمها ذلك من الفتيات تشجيعاً لنبوغ من لها مواهب خاصة (ولا يفوتنا ذكر مدام كورى مكتشفة الراديوم استشهاداً على نبوغ المرأة) وتسهيلا للتكسب لمن تحتاج منهن ورفعاً لمستوى العقلية العامة في البلاد

٢ الاكثار من المدارس الثانوية للبنات ويبدأ بعواصم المديريات ثم بالمراكز وهكذا

٣ فصل ادارة تعليم البنات عن تعليم البنين (كما فصلت مراقبة التعليم الابتدائى عن التعليم الأولى على ما بينهما من الشبه)

٤ احلال الخبيرات بشئون التعليم من النساء محل الرجال فى كل فروع التعليم النسوى ومراقبته تدريجياً بحيث لا يبقى فيها أحد

من الرجال فى نهاية مدة معينة لأنهن أدرى بحاجة الفتاة واكثر عناية بالسهر عليها

٥ تعديل قانون الانتخاب باشراك النساء مع الرجال فى حق الانتخاب ولو بقيود فى الدور القادم كاشتراط التعليم او دفعها نصاباً معيناً على ما لها من الملاك ولا يكون من الانصاف الاعتراض على إشراك هـذه الطبقة من النساء سيما وقانون الانتخاب يجعل للرجل الامى والخالى من الملاك حقاً في ان ينتخب وينتخب — وليس من المعقول ولا من العدل وأغلبية الرجال كذلك أن تحرم المرأة مع الشروط المتقدمة من المساواة بمثل هـذا الجمهور من الرجال كما انه ليس من العدل أن يخضع النساء للتشريع ويتجرعن آثاره وهن نصف الهيئة الاجتماعية دون ان يكون لهن رأى فى وضعه

٦ اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة على ما أرادته روح الدين من إقامة العدل ونشر السلام بين الاسر وأحكام الرابطة العائلية وذلك بأن

(١) يسن قانون بمنع تعدد الزوجات الا لضرورة كأن تكون الزوجة عقيما او مريضة بمرض يمنعها من اداء وظيفتها الزوجية وفى هذه الحالات يجب أن يثبت ذلك الطبيب الشرعى

(٢) سن قانون يلزم المطلق أن لا يطلق زوجـه الا أمام القاضى الشرعى والقاضي عليه معالجة التوفيق بحضور حكم من أهله

وحكم من أهلها قبل الحكم بالطلاق طبقاً لنص الشرع الشريف

٧ العمل مع الدول الأجنبية على نيل رضاها باعتبار الأحكام الشرعية التى تصدر بالنفقة واجبة التنفيذ أينما وجد المحكوم عليه ولو فى أرض أجنبية

* * *

لا شك انا نغتبط بأن المرأة المصرية بسطت المطالب الوطنية التى يقوم بالسعى لتحقيقها الرجل وأنها أبانت أنها وطنية تعرف حقوق الوطن وأن هذه الحقوق لديها أعز من الحقوق الخاصة بالنساء . ثم هى قد آثرت بالذات الاصلاح الاجتماعى على نفس حقوقها الخاصة؛ علماً منها ان الحقوق النسوية يسهل تحقيقها كلما أفلحت البلاد فى الميدان السياسى ، و بقدر ما تنهض فى المجال الادبى .

وقد كانت المرأة المصرية في مطالبها النسوية متواضعة قانعة . ونبين هذه القناعة في أنها لم تذكر في البند الأول وهو الخاص بطلب المساواة في التعليم وهو الايجاب على وزارة المعارف لا مجرد التصريح بأن تعلم الفتيات تعليما عالياً وفي ذات الفصول التى يدرس فيها الطلبة. لأنهُ متى أبحنا للمرأة ، وهو حق لا نعارضها فيه ، أن تدرس دراسة عالية وأن تكون كالرجل يدرس و ينضج متشبعاً من أقاصي المجهودات العلمية فلا قول بعد ذلك في تخصيص فرق للسيدات بدعوى من دعاوى الرجعية السقيمة . ومهما تشددنا في العادات والتقاليد فانه من

الواجب أن يعلم — كل من يجب عليه أن يعلم — أن وضع الحواجز وخلق العوامل بين الرجل والمرأة التى تحترف بمثل ما يحترف بهِ الرجل من تجارة وطب وتعليم ومحاماة انما هى موانع مقضى عليها بالهدم المحتم . واذا كان يسيراً أن تحتجز الزوجات اللائى ينظر اليهن بعين الشهوة والمتاع أو بعين طالب الأنيس والخادمة — فليس سهلا وممكناً أن نشرع فصل الطبيبة والتاجرة والموظفة والمعلمة والمحامية عن الرجل من مهنتها أو غير مهنتها .

وفوق ذلك فان التعليم العالى للنساء لا يؤتي ثمره الا اذا كان فى جو اختبر البحث واشتد فيه الجدل العلمى ، واستن الاسلوب المنطقى فى المناظرة . والرجل قديم فى هذا . والنساء فى حاجة الى أن يصطلين بقوة المنافسة، وفى حاجة إلى المناضلة حتى يشعرن بلذة العلم ، وحتى يحيين ميت المواهب الرقيقة التى قضت زمناً سجينة محكوماً عليها بالفناء .

وجاء فى البند الرابع المطلب الخاص باحلال المعلمات محل المعلمين. على أن هذا الطلب لا يتفق مع المساواة التى تنشدها المرأة . إذ هذه المساواة تقضى بأن يكون حق التعليم للمتفوق من الجنسين . فاذا تفوقت امرأة فى مادة من المواد وثبت نبوغها وكفايتها لا مانع يمنع — فيما نرى — من أن يستفيد الذكور من طلاب العلم من تدريس

هذه النابغة . كذلك ليس من المفيد للطالبات أن تلقى عليهن امرأة من جنسهن دروساً — اذا ثبت ان الرجل خير ، لا بمجرد شهادات دراسية سيكون فى استطاعة الفتيات الحصول عليها طبعاً ، ولكن بما ألف ، وبما اشتهر به من دقة البحث ، وسعة الاطلاع ، وكفاية التدريس

هذه بعض ملاحظات على المطالب النسوية . ولدينا غيرها سنأتى عليها فى الفصول التالية .

الفصل الثالث عشر

الامانة الزوجية

العلاقات بين الزوجين

أول بذرة فى الحياة الاجتماعية . فى تكون الجماعة . فى النسل هو اجتماع رجل وامرأة . وهو اجتماع طبيعى تجـده فى الحيوان والنباتات أيضاً . غير أنه لما كانت الحياة الانسانية تمتاز عن الحياة الحيوانية والحياة النباتية ، كان هذا الاجتماع قيد علاقات خاصة . كانت فى مبدأ أمرها طليقة ، لا تعرف القيود الدقيقة . وانما كانت موقتة تمر وتطول بقدر قضاء الشهوة فقط . وما كان رجل مختصاً بامرأة بعينها ، ولا امرأة مقيدة برجل بعينه . وقد يكون الرجل أباً للمرأة أو أخاً أو إبناً أو ذا قربي من ناحية من النواحى . بل انه لم يكن يعلم فى مبدأ الأمر حياة الاقارب والاهل والوالدين بسبب طبيعة العلاقات الوقتية بين كل رجل وكل امرأة

بعد ذلك دخلت العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة الى دور آخر لا نمط الكلام فيه . بل نصل اليه مسرعين فنقول انه دور القيود . وهذه القيود تعددت وتشكلت تبعاً لظروف الزمان والمكان.

وما زالت هذه العلاقات محور التعديل والتقليب . ونستطيع أن نعد المثات من نوع العــلاقات التى يطلق عليها اسم « الزوجيه » وهذا الاطلاق فى أمة من الأمم نفهم منــه معنى اشتراك الرجل مع المرأة . الا أن عدم توافر الشروط يستدعى منا أن نقول إنه ليس من الزواج وليس من روابط الزوجية فى شىء .

* * *

والأساس أن توجد الزوجة وتتحدد العلاقات . الجوهري أن يوجد نوع من العلاقات الظاهرة بين رجل وامرأة ، بحيث يكون الاجتماع بينهما والسكنى معاً والاشتراك فى السراء والضراء باعثاً على أن ينظر الناس الى أنفسهم بصفة أجانب لهذه العلاقات ، غرباء عن هذه المجموعة ، حتى ولو كان الناس من أشــد القوم التصاقاً بهم بداعى القرابة أو المصاهرة أو الصداقة .

والعادة ان الرجل شديد الغيرة على المرأة . ويسمى هذا أحياناً بالأنانية التى هى صفة الصقت بالرجل كأنمــا المرأة لا تتصف بخلق الأنانية أيضاً !!

وغيرة الرجل على المرأة من جرائها عدم ميله وغضبه من مقاربة امرأته شخصاً غيره ، وتحريمه عليهــا هذه المقاربة . نعم ان الحياة

المسيحية والمدنيـة لا تنظر الى محادثة المرأة الزوجة الرجل الأجنبي ومخالطته نظرة شزر وانتقاد ولكن على كل حال نجد الزوجة حتى مع اطلاق الحرية لها - تتحرى وتجهد أن يكون حديثهـا ومخالطتها للاجانب برأى ومسمع من زوجها ، أو على الاقل برضاء وعلم منه . وعلى كل حال فعادة القوم - مدنية عصرية - الاباحة

* * *

وقديماً ثارت الثوائر بسبب وجود علاقات حتى من أوهى العلاقات أو حتى مجرد نظرات ومحادثات بين زوجة ورجل آخر غير الزوج. أساس الزوجية احتكار المرأة . فالعلاقات الاجنبية التي قد توجد بينها و بين رجل أجنبي تثير فى نفس الزوج هواجس وشكوكاً . ولذلك وجب القضاء من الرجل أو من الشرائع على هذه الشكوك .

وعلى كل حال مما لا خفاء فيه حدوث خروج على هذه العلاقات. وهو وجود علاقة سرية بين الرجل الاجنبي والمرأة المتزوجة . وهذه العلاقات السرية هى الخطر على الحياة الزوجيـة . وهى التي بسببها تحدث المنازعات وحوادث القتل .

ولكن المشاهد ان هذه العلاقات فى ازدياد ونماء ؛ وان الحمية الرجولية تذوب شيئاً فشيئاً .وهى ان بقيت فى كثير من الامم الشرقية فقد أصبحت شيئاً آخر فى فرنسا وانجلترا واليونان وغيرها في اوروبا

وامريكا ، ونحن لا ندرى هل ننتقل يوماً الى اعتبار عفة الزوجة شرطاً غير لازم فى الامانة الزوجية .

ولا شك فى أن انحلال الامانة الزوجية انحلال للاسرة . للاولاد . إزالة للعاطفة الابوية والبنوية . ومتى زالت هـذه العاطفة فأى اعتبار عند الرجل يجعله يشعر بواجب تربيـة أبنائه ؛ وتضحية نفسه لذواتهم ! .

ان العلاقة الزوجية المتينة الخالصة المحدودة التى تسود فيهـا الامانة الزوجية بأصدق معانيها هى التى تنشىء تلك العواطف الغالية فى الرجل ليؤمن إيماناً صحيحاً بأن أبناءه وزوجتـه مقدمين جميعاً على نفسه هو ومصلحته هو .

ولكن فى اليوم الذى ينفرط فيـه حبل الأمانة الزوجية ، ولا يشعر الرجل بغيرة على صفة الاحتكار للمرأة ، لا يجد هذا الرجل من نفسه باعثاً على تربيـة أولاده ، ولا اهتماماً بمستقبلهم ؛ ولا حفلاً بأن يعيشوا معه فى كنفه وتحت حراسته . هذا هو البلاء الذى أصيبت به الانسانية . وهـذا هو الخطر الداهم . وفوق انه يؤدى الى الشك ، والخلط ، واضعاف المسئولية ، وفناء الكرامة ، واماتة العزة ، واهلاك الغيرة — يكون من نتائجه ابعاد الافراد عن الزواج والتفكير فيه ؛ اكتفاء بالعلاقات السرية ، أو العلاقات غير الشرعية !!

ونتيجة هذه العلاقات الاخيرة أن يقل النسل ، وأن يفسـد .

وعاقبته أن يوجد نسـل لا يعرف له أبًا معينًا . أبا رحيماً يشفق عليه ويبذل له من نفســه ، ويفديه بروحه . أن تموت العواطف . ومتى ماتت العواطف فقد ماتت الانسانية .

ومتى ماتت الانسانيـة وجب علينا ألا نتكلم ونغط فى الـكلام بأننا متقدمون ناجحون بحضارتنا .

* * *

تيار جارف قادم . وسيل نازح واثب من الشرور والآثام : ليس على هـذا التيار من رقيب ، وليست أمامه قوة باطشة عاملة تستطيع صده . ولكن هذا التيار يجرفنا جميعًا ويجرنا الى تلك الحمأت الرذيلة ، ويقذف بنا الى لجج الفساد والظلام . ونحن ساهون نسبح بحمد المظاهر ، ونفخر بالزينات ونتمشدق بالـكلام المزوق .

قد يكون للراغبين عن الزواج عذر فى الخشية من هذا التيار ؛ ومن ايجادهم نسلا يسير تبعًا لتيار المفاسد الذى لا يبقى ولا يذر ؛ وقد يكون انحلال الامانة الزوجية عاملاً كبيراً مؤثراً فيمن تربوا على الاخلاق المثلى وانطبعت فى أنفسهم الامانة والغيرة .

ان الامانة الزوجية ، اذا وجدت ، لتظهر أكثر ما تظهر عند غياب الزوج ، ومرضه ، ونكباته ، وسجنه ، وفقره ، وهرمه . أكثر ما تظهر عند شباب الزوج ، وثروته ، وبهائه ، وسعادته . ان الامانة الزوجية وديعة ليوم الزمان الموحش . وهى ثمرة الزوجية . وحقيقتها ومعناها ومرماها

* * *

ولكن مع بقاء الغيرة على النساء ، حمية الرجل من أجل امرأته ـ قد وضعت المدنية الجديدة على الرجال خلقاً ليناً ، رخواً ،مرناً ،يفسح له فى التغافل عما قد تتبعه حرية المرأة المطلقة من لذاذة وجموح ، مع ارضاءعنان الشهوة،وامتاع الجسم، وارضاء أغراض العواطف الطليقة. فلا يُرى الرجل الحر ، فى جو الحرية المطلق ، يتردد فى ترك قرينته، مقاسمة الحياة معه ، تتنفس حسبما يشاء لها الهوى ، وبقدر ما يسمح الرجل لنفسه أن يرضى هواه من غيرها .

لذلك وهنت تلك الروابط القدسية المثلى التى تعقد رجلا بامرأة فلا تنفك المرأة عن بعلها ولا تساورها سانحـــة تدع لها أن تتردى فى هاوية الفجور لسبب ظاهره وجيه أو لسبب غير وجيه فى ظاهره ، أو لغير سبب وهى ، فى جو المدنية المطلق ، قد لا تخشى ، وهى كالحة ، أن تنزل غير ميدان زوجها ، وأن ترضى العاطفة الجنسية بغير متبوعها .

لا نتكلم عن وهن تلك الروابط فى مصر . وانما نقول ذلك فيما حدث فى بلاد أوروبا فيما قبل الحرب . وفيها ، بأكثر مما كان وأظهر وأفظع ، بعد الحرب . ومبعث ذلك ما قضت به التطورات الحثيثة فى عالم الاجتماع والدين ، وما استتبع ذلك من ظهور شخصية المرأة بعد ان أعملت فى الحرب ، ودكت القنابل ، وفتكت الرصاصات بالرجال اولى القوة والبأس ، وبالشبان ذوى الفتوة . فقامت المرأة

تحل محل الرجل . فخرجت من مخابئها ، وسيطرت . لا يمنع سيطرتها ذلك الرجل الذى وقف دهوراً طويلة وأحقاباً متعاقبة يمنعها من النفوذ والقوة ، ويحتجزها متاعاً وغرضاً من أغراض العاطفة الجنسية .

وقد تتناول المحافل الخاصة وتتداول المجتمعات الشخصية حديث الامانة الزوجية بما طرأ عليها من وهن ، وما تقلبت به حالها من فكك وإباحة وتنسب ذلك الى علية فى القوم ، ومحصنات فى كبير البيوت وقديم مواطن المجد والشرف، فيسمع المحدث اليه صاحبه وهو يحادثه ، تلك الروايات التى تحشي بالمبالغات وتؤسس على وقائع وتؤكد بعين المعاينة — يسمعها متعجباً ، آسفاً ، متحسراً ، واجماً . حائراً كأنما سمع وقوع الصواعق ، واندكاك الجبال الشم على السهول .

وليس فى مصر وحدها تسمع مثل تلك الاحاديث . فبيوت الكبراء والامراء والوزراء والعظماء فى اوروبا حديث يجرى بحادثات الفحش وفضائح الفجور .

ولقد كانت النظرة البريئة الى المرأة الى حين قريب — جريمة وإثماً . اما اليوم فندع الوقائع الجارية تتكلم . ونحن قد تكلمنا فى ذلك للابانة عن حقائق ، ان كانت مرة ، فمن الضرر إغفالها وتجاهلها وهى تلابسنا وتلاصقنا . حتى يعرف ذو الغيرة والحمية اى الطرق يسلك وماذا يحسن بهِ ان يفعل . فلا يتورط فى حياة شاقة ، ويلقى بنفسهِ فى نعيم يجده عذاباً عند تقدم الايام . ولا سيما عند ضعف صحته ، وخيانة الزمان الخؤون .

الفصل الرابع عشر

الزواج والطلاق

نحن فى العاصمة المصرية قد نجد انه من تحصيل الحاصل بيان فضل النساء فى الحياة الانسانية ، واننا لم نعد نحتاج الى الاستشهاد بحكمة نابليون (المرأة التى تهز مهد طفلها بيمينها تهز العالم بشمالها) فقد شاعت هذه الحكمة ونزلت الى أن تكون بضاعة معلمى المدارس الابتدائية فى تعليم الصبية الانشاء . ولكننا اذا شئنا أن نعبر عن تقدير الرجال لمكان النساء فى الحياة الاجتماعية المصرية فى جميع بلاد مصر وقراها على السواء ، وجدنا أن علينا واجباً كبيراً نحو نساء مصر فى بيان فضلهن حتى نستطيع أن نظفر لهن بحقوق مهضومة ، واحترام منكور ، وفضل مغموط . والمكانة الجديدة التى استفادتها المرأة المصرية والتى يشعر بها الرجل إن هى إلا مكانة محصورة فى عدد من الاسرات المصرية قد لا يصعب تعدادها أما فى الاسرات ولا سيما فى غير المدن فانه لم تزل المرأة منظوراً اليها بمهانة وهون ولا سيما فى المعيشة الزوجية . فما زلنا نسمع كثيراً أن المرأة لا عقل لها ولا دين ، وان التعليم مفسد لاخلاقها ، وما زال الاكثرون يفخرون بطرد زوجاتهم ، وسلب متاعهن والقسوة فى معاملتهن فى صنوف

شتى . ونحن لا ننسى على الدوام أن مرجع هذا الفساد فشو الجهل بين هؤلاء الاكثرين . وأن خير علاج واساس أى شفاء من هذه البلوى المعرة هو نشر التعليم . ولكن هل نقف مكتوفين حتى تمحى الأمية وينير العلم أرجاء مصر صعيدها ومهادها ؟ وهل يكفل العلم وحده براءة من هذه المشائن ؟

ان جهاد حضرات السيدات المصريات لهو جهاد واجب . ولكن يعوز هذا الجهاد عدد اكثر للاشتغال بهذه النهضة لا فى مدينة القاهرة وحدها وانما فى كثير من مدن القطر لا سيما فى العواصم حتى يشعر أهل الريف ولا سيما نساؤه بأن لنساء مصر كيانا محترماً فيعرف اولئك الرجال القساة الجهلاء ، على الأقل ، الضرر الادبى الذى يصيبهم من الاساءة الى النساء . ولتعلم نساء مصر أنه على اكتافهن وحدهن تقوم النهضة النسائية ، وانه من المضعف لحركتهن أن يقوم بها الرجال وحدهم . لقد نهض ذلك العلم الخالد الذكر « قاسم امين » بفتح باب النهضة . ولكن دعوته الجريئة بقيت فردية حتى استيقظت بعض السيدات الفضليات الى صوت هذه الدعوة العادل وفؤادها الرحيم .

لا شك أن نصرة مطالب السيدات ليس نصراً لخصم ضد خصم وانما هو تأييد لوحى العدل والهام الطبيعة وتلبية للمصلحة البشرية . فبقدر ما تزيد النساء علماً ، وحقوقاً ، وحرية - يستفيد الرجال

من هذه الزيادة التى هى سعادة مضافة الى ما يتوهمون من سعادة بل ان سعادة الرجال لا تتم الا بهذه الاضافة . لقد اهتموا بالرفق بالحيوان الأعجم لأنهم وجدوا فى الرفق به احتراماً للانسانية ، وصيانة لمقتضى الشعور الآدمى . فهلا يكون اهتمام الرجال بمطالب السيدات خدمة كلية للانسانية وللرجال أيضاً ؟

***

فى خطاب السيدة هدى شعراوى فى حفلة تأبين باحثة البادية ثلاثة مطالب نسوية : مساواة الرجل بالمرأة فى فروع التعليم . اصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية وجعلها منطبقة تمام الانطباق على روح التشريع الدينى من اقامة العدل ونشر السلام بين الأسر واحكام روابط المصاهرة . مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق النيابية والحقوق التشريعية .

أما المطلب الأول الخاص بالتعليم فهو مطلب سائر فى مجرى التحقيق . أما المطلب الثانى الخاص بالعلاقة الزوجية فقد شرح كما يأتى :

« (١) ان يسن قانون لمنع تعدد الزوجات إلا لضرورة كعقم الزوجة أو مرض عضال يمنعها من اداء وظيفتها الزوجية وفى هذه الحالة يجب أن يثبت ذلك الطبيب المختص »

ونحن نقول ان اصدار قانون كهذا ليس فيه ما ينافى الشرع

الاسلامى لأنه مبنى على قوله تعالى « فان خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة» كذلك قوله « وعاشروهن بالمعروف » وقد شرط الفقهاء للعـدل شروطاً كثيرة يندر أن تجتمع فى انسان خصوصاً اذا فكرنا فى ان الرجل الذى يتزوج بزوجة ثانية يتوهم أن زوجته الثانية خير من الاولى فيخصها عادة بالرعاية والعناية فينتفى كل عدل « راجع ابن عابدين والمختارات وغيرهما »

« (٢) يسن قانون يحرم على الرجل أن يطلق زوجته إلا امام القاضى الشرعى . وعلى القاضى معالجة التوفيق بين الزوجين بحضور حكم من أهلها وحكم من أهله قبل الحكم بالطلاق طبقاً لنص الدين الحنيف . أعتقد اننا فى هذا المطلب لم نتجاوز الحكم الدينى ولا الحكم العقلى إذ ليس من يجهل ان الطلاق مثار الاحقاد والضغائن بين المتصاهرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . وليس منا من يجهل مضار تعدد الزوجات وما له من أثر سيء بوهن جلال الابوة فى نفوس الابناء ؛ ويختلس حنان البنوة من الاباء ؛ وينقص رابطة الاخوة فتؤول الى مشاحنة وبغضاء . ويدفع الرجال الى الاسراف والتبذير وينمى الأثرة فينقادون الى شهواتهم غير حاسبين حساباً لما سيعقب ذلك من حسرات ونكبات ؛ هذا الى القضاء على سرور المرأة فى حياتها والحكم عليها بالشقاء الابدى وذلك ما لا يرضاه رجل شريف تتغلغل فى نفسه

العاطفة الانسانية ولا ترضاه امرأة رفيعة كانت أو وضيعة. اذا كانت مغبة تعدد الزوجات محسوسة ملموسة فلم لا يكون الرجال لنا أعواناً ولم لا ينضم الى صفوفنا عقلاء الامة لتلافى شروره ومفاسده »

وقد أصبحت مسألة الطلاق فى فرنسا وغيرها من النظام العام بمعنى ان المحاكم الفرنسية لا تطبق القانون الشخصى للاجنبى اذا كان ذلك القانون يجيز الطلاق فى غير الاحوال المنصوص عليها فى المواد ٢٢٩ و ٢٣٠ و ١٣١ و ٢٣٢ من القانون الصادر فى ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٤ (وهذا من مبادىء القانون الدولى الخاص). وذلك لايعترف بزوجتين لشخص أجنبى لان تعدد الزوجات محرم باعتبار انه من النظام العام وفى قضية سكاكينى شىء من هذا. وقد تزوجت فرنسية من رجل تركى ورفعت دعوى تطالب بطلاقها منه أمام محكمة السين بفرنسا. ودفع الزوج التركى بعدم الاختصاص فرفضت المحكمة هذا الدفع وكان بين الاسباب التى بنت عليها المحكمة الرفض قولها « وفوق ذلك إنه من الواجب على المحكمة رفض هذا الدفع لأن النظام العام يأبى أن يتمتع أحد الزوجين (وهو الزوج فى حالتنا هذه) بامتياز خاص يسمح له بأن يبت العلاقة الزوجية(Le lien conjugal) وحده »

كذلك يطرد الاجنبى من الولايات المتحدة اذا كان يسمح لنفسه بالاقتران باكثر من واحدة وعلى كل حال فأن عادة تعدد

الزوجات معدودة فى اوربا انها عادة وحشية وفوضى . ويسخرون من وجودها أى سخرية . وفى رواياتهم كثير من مظاهر هذه السخرية والتشنيع .

على انه فى الأمكان ايضاً أن يوجد فى القانون الجديد الذى قد يوضع لتنظيم مسألة الزواج والطلاق – اذا صادفت رجلا مصلحاً مشفقاً براً بوطنه غيوراً على سمعته – اسلوب الانفصال بين الزوجين (Séparation de corps) وهو الحكم بابعاد الزوجة عن الزوج مدة عسى أن تزول النفرة وأسبابها وذلك تحاشياً من القضاء بالطلاق ففى المادة ٤٠٦ من القانون المدنى الفرنسى انه « اذا وجد محل لطلب الطلاق فللزوجين الحق فى طلب الانفصال (Une demande en séparation de corps) »

وجاء فى المادة ٣١٠ منه « اذا استمر الانفصال الجسمى بين الزوجين لمدة ثلاث سنوات فان الحكم القاضى به يتحول بمقتضى القانون الى حكم الطلاق بناء على طلب احد الزوجين» . وفى تعليق فوستان هيلى على الانفصال الجسمى بين الزوجين يقول بأن مدة الثلاث السنوات لا تبدأ الا اذا أصبح الحكم نهائياً . وان طلب التحويل الى طلاق يخول للمحكوم عليه مثل المحكوم له وان المحكمة لا تقضى بالتحويل الا بعد مضى الثلاث السنوات .

وجاء فى المادة ٣١١ « يجوز أن يذكر فى الانفصال الجسمى

أو فى حكم تال له منع الزوجة من اتخاذ اسم الزوج أو السماح لها بأن لا تحمله وفى حالة ما اذا أضاف الزوج الى اسمه اسم زوجته فللزوجة أن تطلب منعه من التسمى به .

« ويؤدى الانفصال الجسمى دائماً الى الفصل بين أموال الزوجين . ويترتب عليه ايضاً ان يكون للزوجة حرية استعمال الاهلية المدنية (للتعاقد والتصرف) دون حاجة الى الالتجاء لالتماس رضا الزوج أو المحكمة . . . »

ان الغرض من سن قانون لتنظيم الزواج والطلاق على شبيه هذه القواعد الفرنسية لا يرمى الى سلب حرية أو مخالفة الشريعة الاسلامية . وانما الغرض تنظيم استعمال الحرية وكفالة السعادة التى رمى اليها الشرع الاسلامي من الحياه الزوجية .

وعلينا أن نتصور ماذا تكون الحالة لو ابيح الطلاق بلا قيد فى اوروبا المتحضرة وأمريكا اللامعة . لقد تعددت فيها قضايا الطلاق بالرغم من تحريمه المطلق تقريباً .

وفوق المساوىء التى عددتها الخطيبة فأن لأباحة تعدد الزوجات اطلاقاً ، ولاباحة الطلاق لارادة الزوج وحده بمجرد اللفظ به سيئة أخرى نجدها فى عدم الثقة الموجودة مبدئياً عند كل زوجة مسلمة بخصوص سلوك الزوج مما يترتب عليه نزاع بل نزاعات طويلة متابعة

فى المأكل ، والشرب ، والسفر ، والحضر ، والايراد ، والمصروف ، والغياب ، والسهر ، وكيف يستطيع رجل أن يجد زوجة مطمئنة مخلصة وهى تعلم انه ، فى حمقة المناقشة ولبادرة لفظ منفلت ، قد يقضى على حاضرها ومستقبلها شر قضاء !

وقد سرت فى مصر عادة عند النساء يفزع لها الرجال . ذلك ان النساء – دفعاً لاحتمال الزواج بزوجة أخرى – يندفعن فى مطالب تبهظ عمل الزوج وتثقلة بالدين حتى لا يجد فى ايراده فرجة تسمح له بالتفكير فى الاقتران بزوجة جديدة . وفى هذا مضرة اقتصادية لا تخفى لان هذه العادة تجعل الاسرة تعيش مستدينة مدينة . فوق ما تتأدى اليه من النزاع والكراهية . فالضرر مادى ومعنوى . للاسرة وللامة .

وضرر آخر يشكو الكثيرون منه وهو ميل الشاب المتعلم الى الزواج بالاوروبيات مع ان من أسبابه الأولى هذا الخوف المنبعث مبدئياً فى قلب الفتاة المسلمة .

***

ان الحياة الزوجية هى الصورة الصغرى للحياة المصرية . بل هى الحياة المصرية بما فيها من المساوىء ، والاحقاد والبغض ، والاسراف

والخيانة ، وخفاء روح التعاون والتضحية والوفاء . فعلى الذين وضعت في أعناقهم سعادة هذه البلاد الجميلة السخية سواء ا كانوا حكاماً أم نواباً أم كتاباً واجب وطنى ، وفرض اجتماعى عمرانى : هو العمل لسن ذلك القانون الذى تضمنه المطلب الثانى من مطالب حضرات السيدات المصريات.

الفصل الخامس عشر

هل نتزوج ؟

كان المصير المحتوم لكل رجل وامرأة الزواج . ومهما كان الشاب عابثاً أو قويم الخلق متجهاً الى الجد نائياً عن الفجور — فانه يعلم أن يوماً قريباً آتياً تقام له فيه حفلة يزف فيها الى عروس . وما اكثر فرحه بذكرى ذلك اليوم الموعود ! وما أحلى الكلام فى الزواج ! وقد كنا نتذاكر ونحن فتيان المدارس مراهقين وغير مراهقين حديث الزواج فتصغى آذاننا ، وتهتز جوارحنا ، وكنا نتجمع حول العجائز يسردن أحاديث الملوك والأمراء و (الشطار) وختام حياتهم ، بما يمر فيها من الألم والأمل واليأس والرجاء ، فنستطيل الأحاديث ونستجيش الأمانى لنكون مثل اولئك الذين ختموا حياتهم بتلك الأمنية العظمى . وكان لهم بعد أن أوذن لهم بتحقيقها أن ولدت الاطفال من بنين وبنات ، فكانوا صبية وفتياناً وكانوا شباباً جديداً يعيد كرة ما حدث فى شباب الوالدين .

حديث الزواج ، كان ولم يزل ، حديثاً شيقاً يستطيبه المتكلمون من شبان وشيبة ، من متزوجين وأعزاب . لأن ذلك

الحديث ، فى الواقع ، هو حديث الحياة نفسها ، الحياة البشرية ، والحياة الطبيعية . وجميع الصفات التى لهـا عندنا اسماء ومترادفات تعود الى تلك الحياة الزوجية . فالحب ، والامل ، والفرح ، والعذاب ، والالم ، والـكراهة ، واللذة ، والشهوة ، والجمال والسحر ، والمـكر ، والدسائس ، والخداع ، والرحمة ، والظلم ، والانانية ، والموت والحياة — كل هذه عبارات عن تكوينات الحياة الزوجية بدء ونهاية ، مقدمة وختاماً . وهذا تلبة لطلب الحياة الدنيا أن تظل معمورة بالنسل المتتابع

وكما كان الزواج مصيراً محتوماً ، وقدراً مقدراً — كان مبكراً . وكان التفكير فيه يدفع اليه مجاراة الطبيعة فى ارضاء الشهوة المبكرة ، وارضاء اللذة المتعجلة . خشية لهو غـير شريف ، وهبوط يستتبع مشاكل وحروباً فى بعض الأحايين اذ كانت وحدة الأمة الأسرة ، الاسرة الـكبيرة بالآباء والأجداد والأعمام . وكان — فوق ذلك — من اغراض الزواج ربط أفراد الأسرة الواحدة أو ربط أسرة باسرة بالمصاهرة . والحصول على نسل كثير يركن الى قوته . ويفخر بعصبيته .

* * *

وللزواج صور شتى حسب الاقاليم والبيئات والاديان . وله صيغ وعقود ومراسم . انمـا الزواج فى مختلف الأمم ، فى جوهره هو رباط قانونى بين رجل وامرأة . على اننا اذا قسنا مظهر هذا الرباط

القانونى بمثل ما يحصل عندنا ما امكننا ان نعتبر زواجاً مثل زواج قبائل الهوجو فى أواسط أفريقيا حيث يتم الزواج بالخطف وبلا أى رسم لغاية ولادة ولد واحد . ولا أن نعتبر ما يحدث عند بعض قبائل مدغشقر من امرأة تتزوج بعدة رجال فى وقت واحد . ويجب ان يعلم بأن العادات المحلية ، والجهل أو العلم ، والنصر أو الخذلان — عوامل تؤثر على الصورة التى يتم بها الرباط القانونى بين رجل وامرأة ليسمى زواجاً تأثيراً يطغى أحياناً على قواعد الاديان .

فقد كان تأثير الحرب وما بعدها وهو ازدياد نفوذ المرأة بقدرتها على كفاية نفسها بدون حاجة الى مساعدة الرجل ، وكان تأثير الفاقة العالمية والهزة الانقلابية فى جميع الافكار — أن كثر الطلاق بالرغم من قواعد الدين المسيحى . وكان مثل هذه التأثيرات باعثاً على سن قانون أوروبى مدنى فى تركيا للزواج يطغى على القواعد التى عرفت عن الدين الاسلامى .

وفى البلاد المتمسكة تمسكا شديداً بالدين مثل اسبانيا وايطاليا تجـد — فى مسألة الزواج — احتيالاً على قواعد الدين . وينتقل طالبو الطلاق فى امريكا الى فرنسا ليستطيعوا فسخ الزواج . أو ينتقل الشخص من مذهب الى مذهب ومن دين الى دين من أجل الزواج أو من أجل الطلاق .

على ان التطور الاجتماعى الحديث قد هدد ذلك الرباط الشرعى بين الرجل المرأة بالانحلال . وليس الزواج اليوم بالاسم المحبوب ، ولا بالامنية الغالية ، ولا بالحادث المغبوط .

واذ ذكر الزواج جرى الحديث عن – تكاليفه ونفقاته ، ومشاكله ، وهمومه ، والغضب فيه ، والاولاد من بذرته . فينتهى الحديث إلى الرغبة عنه ، والامتعاض منه . وصوت المتزوجين والمتزوجات اليوم يرتفع بتحذير غير المتزوجين وغير المتزوجات بالبقاء فى حياة العزوبة . وصوت غير المتزوجين يذكر الزواج بالأسف والالم ، ويميل عن حديثه الى أى حديث آخر .

لم يعد الزواج بعد بالحديث الجذاب ، ولا بالحادث السعيد . وقد سمعت رجلاً متزوجاً يصرح بأن أكبر غلطة ارتكبها فى حياته هى أنه تزوج !

ولهذه الحال التى وصلنا اليها علل .

والعلة الأولى المسألة الاقتصادية . فنحن نحيا حياة مدنية عصرية لها مظاهر عدة ، والمدنية مظاهر وأنوار فى الكلام واللبس والطعام . والحياة المدنية كثيرة المطالب . وهى تصيّر فى كل يوم ما يعتبر كمالاً ضرورة لا غنى عنها لأقل فرد عادي . فمثلاً السيارات الشخصية فى انجلترا وامريكا اصبحت من حاجة كل عامل . وهى فى مصر كمالية .

والتليفون اللاسلكى عما قريب سيكون حاجة كل منزل وكل فرد بدلا من كونه الآن مجرد محل للتسلية والتجمل .

وكما عددت الحياة المدنيــة المطالب المنزلية والاجتماعية تراها أيضاً قد اكثرت من التزاحم فكثر العرض من الأعمال الفنية وحلت الآلات محل العمال ، فصغرت الأجور ، وكثر العاطلون . وأثر ذلك فى جهد العامل . واذا كانت قد صدرت قوانين لحماية العمال وتقليل ساعات العمل ومنحهم الاجازات والمكافآت ، فاعلم بأن تكاليف المعيشة نفسها تزيد عن كل هذه الامتيازات التى حصل عليها العمال، وأن العمال اضطروا الى البحث عن أعمال إضافية يقومون بها فى اثناء الفراغ . فوق ان العمال قد ترقت مداركهم واصبحت لهم اكبر الآمال فى الحياة .وهم يطالعون الصحف والمجلات ويتتبعون ما جريات السياسة . ولهم أحزاب أصبحت فى بعض البــلاد أهم الاحزاب . وأصبحت فى روسيا هى الاحزاب السياسية كلها .

ولتعلم بأن كثرة العمل ، وكثرة اشتغال البال ، وكثرة الآمال من موجبات تأجيل الزواج والانصراف عنه بتاتاً .

فهل هذه النتيجة وهى تأجيل الزواج أو الانصراف عنه مفيدة؟.

يجب أن نعلم أولا ان هذه النتيجة قد وصل اليها الانسان اضطراراً بسبب المسألة الاقتصادية . والمسألة الاقتصادية تتناول

نفقات الخطوبة وعقد الزواج ثم تكاليف الحياة الزوجية بما يكون بها من أولاد وعاهات

* * *

العلة الثانية هى سهولة الاستمتاع بالمرأة من غير ما زواج . فقد راجت سوق البغاء الرسمى الجهرى والبغاء السرى حتى أصبح فى متناول الغنى والفقير أن يرضى شهوته تمام الارضاء بالاختلاف الى امكنة النساء . وقد كان من تيسير اللهو بالمرأة كثرة قاعات التمثيل والسينما ، والمغنيات ، والراقصات ، وخادمات المطاعم والبانسيونات ، ومشارب القهوة والخمور . كما أن الفتاة الشابة لم تعد تخجل من مجالسة الشبان والرجال،والتساهل فى كثير من اعضاء جسمها وأحيانا فى كل جسمها لهم . بل أن حديث الفتيات يجرى فى الحب والغرام ، واسماء المحبين والعاشقين ، والوعود التى يتقدمون بها والعهود التى يقطعونها كما أن رسائل الغرام بين الفتى والفتاة وبين الفتاة وصديقتها الفتاة اصبحت تدور حول الماسة الحقيقية للشفاة ، والضم ، والقبلات ، واللوعات ، والتأوهات ، ووصف ليالى الصفا ، وحفلات المدام .

كما أن الاستغواء لم يحتج اليوم الى كبير همٍّ ، وكثير تعب وألم . وخير ما فى حديث الفتاة ورسائلها الى صـديقاتها وصف العشاق ، وكثرتهم وركوعهم تحت الاقدام ، واستبانة تعاشق الأعضاء ،وتعانق

الأرواح بسر سكرات الغرام وخفقان القلوب، واختلاط الانفاس بالانفاس ؟

ويسر هـذا يقرب المرء من امنياته فى كثرة المتاع، وتكرار الجلسات مع اكثر من واحدة .

***

والعلة الثالثة عدم استقرار الرجل فى مكان واحد . فقد جعلت الحاجة الرجل لا يقنع بالبقاء فى بلد واحد وانما يكون مستعداً للرحيل الى ابعـد البلاد فى سبيل تحصيل القوت وتوافى المعيشة والخير . واليوم قد كثرت المواصلات وزاد الأمن عن ذى قبل فلا خوف من السفر . ولا خطر . واليوم صار المال غاية كل قاصد . وقليل المال أو معدمه لا يستطيع أن يصل اليه كثيرا إلا بقدر مايضحى من راحته وصحته وأمنه . فحتى اذا ما وجد الخطر فان النفوس مستعدة للتضحية فى سبيل ذلك المال الكثير يحصل عليه الرجل وهو فى شديد منته ، وفتوته . لم يعـد اليوم المال وراثة الوارثين ، ووقفا على المجدودين . وانما اصبح الظفر به من حظ الجادين المضحين ، وبسعى المقدامين المخاطرين .

والمهاجرة اصبحت حركه اجتماعية مستمرة . وهى إما انتقال من

بلد الى بلد مجاور له . وأما انتقال من قرية الى مدينة . أو من مدينة الى عاصمة . أو من مملكة إلى اخرى . أو من قارة الى قارة أخرى نائية . وقد اصبحت حياتنا الاجتماعية وحدتها الفرد المستقل . والفرد من يقدر على الكسب ، يعيش وحده منفصلا عن ذويه ؛ ويسير في سبيل خاص ، ويعمل لمستقبله ، حراً ذاهباً حيث يطيب له الذهاب راجعاً حيث يشاء الرجوع . زمام امره فى يده ومنوط به وحده . مغتربا الى ما تستطاب الاقامة فيه . حالة كهذه غير مستقرة ، وغير معروف مبلغ ما تصيبه من النجاح ، ومحوطة بالمتاعب يصعب أن تجارى الحياة الزوجية ، التى هى فى كثير حاجة الى الاستقرار فى مهنة ومكان وفى مكافأة تساعد على النفقة . انصرف الرجل عن الزواج لأنه لا يتفق مع الحياة المتقلبة الصاعدة الهابطة .

•••

العلة الرابعة توافر أسباب الراحة فى الحياة الطليقة . فقد كان الرجل يحتاج الى منزل للمبيت فيه ، ولا يداع أمواله ومقتنياته ، وتحضير طعامه ، وتنظيف ازيائه ، وحماية افراد إياه اسرته من اللصوص ، ومساعدته ، والقيام بأمره عند المرض والوفاة . وكانت هذه الاسباب إما مفقودة فى الحياة الطليقة فقداناً تاما . وإما متوافرة إنما مع كلفة باهظة .

أما الآن فقد توافرت اسباب الراحة هذه فى الخارج مع أجر زهيد وهومستمر فى الهبوط الى اصغر الحدود . وفوق ما يوجد من الفنادق والمطاعم والمنازل التى تؤدى وظيفة الحياة بين اسرة – انشئت منازل مثلا ، للطلبة، يسرت فيها كل المطالب مع حياة ادبية راقية ، وأسباب للتسلية كثيرة . والرجل بمفرده يستطيع أن ينزل نفقاته بكل الوسائل والى أقل حد . انما الرجل باسرته لا يستطيع ذلك الا الى حد محدود مع ضيق كثير وهم غير قليل .

على أن من الاسرات نفسها من قد اصبح يعتمد فى طعامه وملابسهِ على شرائها من الخارج مجهزة وأعرف اسرا من اكبر الأسرات متفقة مع فنادق لما يلزمها من الطعام . واكثر الأسر مع توافر أدوات الطهى والخياطة والحلوى عنده يؤثر ما يصنع منها فى الخارج عما يمكنه أن يصنع أو عما هو مصنوع فعلا فى المنازل .

ويظهر أن هذا نتيجة من نتائج التخصص . فالاعمال تتجزىء حتى يصير كل جزء له افراد يتخصصون له فيتقنون ويخرجون منه كثيراً بنفقــة قليلة . فالمطبخ العام الذى يستورد صنوف اللحوم والأسماك والخضراوات وغيرها يستطيع بلا شك أن يخفض النفقات كثيراً وأن يقنع بفائدة يسيرة تكون كثيرة فى الجملة . اكثر مما تستطيعه أسرة صغيرة .

⁂

العلة الخامسة كثرة المشاكل الزوجية . حدثت القارىء فيما تقدم من الفصول عن الشقاق العيلى . وقلت إن المنازعات بين الزوج وزوجته هى حرب حتى أن الرجل ليخرج الى الموت . ولست تسأل زوجا الا اذا وجدته يشكو ويسخط ويلعن القدر الذى قضى عليه بالزواج ، و بالانتهاء منه الى متاعب لا حصر لها . الفرد الطليق المستقل له ارادة واحدة يراها خير الارادات . والزوج المتزوج تنازعه ارادة أخرى فاذا خضع لتلك الارادة فانما يخضع مكرها . واذا رفضها يخلق نزاعاً . ولا يكون لنزاع بين اثنين أثره ومخاطره ومخاوفه بقدر ما يكون بين الزوجين . فقد تنازعُ صديقاً فينتهى أمره وأمرك بأن تفترقا . ولكن نزاعاً بين زوجين لا يكون الفراق فيه بخير حل وخير خاتمة . بل يكون الفراق فى الغالب أسوأ حل واخطر خاتمة .

إن رباط الزواج يستلزم أن يبقى أبديا .لأن رجلاً مختاراً وامرأة مختارة قد انتزعا من اسرتين ليكونا أسرة واحدة باسم واحد ، وعواطف واحدة ، وآمال واحدة . والعالم قد نظر اليهما يوم اجتمعا هذه النظرة . والعالم يسخط عليهما إذا هما تنازعا فافترقا .

وقد يظن ان المرأة الحديثة وهى المرأة التى اصبحت لا ترضى اليوم بغير المساواة مع الرجل فى كل الحقوق (اما الواجبات – !) والتى سوف لا ترضى فى المستقبل القريب الا بالسيادة الكاملة على

الرجل لا فى المنزل ، وانما فى السيادة السياسية تخفف بعقلها، وعلمها وحبها من اسباب الخلاف . ولكن الأمر بالعكس . فان رقى المرأة العلمى وظهور إرادتها مما يدعو الى خلق النزاع . وقد كانت امرأة الأمس تؤمر فتذعن ولا تتردد فى الاذعان بل ترى فيه واجباً وفرضاً. اما اليوم فانك اذا خالفت المرأة صممت وتمسكت بارادتها وحتمت ان تمليها عليك . وانت فى النهاية راضخ . وانفك راغم . وهي عارفة كيف تستغل ضعفك للانتصار عليك . وهى تحس بهذا الضعف اكثر مما تشعر به من نفسك . واذكر لك مثلا مما تستطيع ان تفعله معك . إنه يمكنها ان تصيح . فاذا ما صاحت لبي الناس نداءها ، وهى تستطيع ان تبكى فتبكى لها الدموع كلها . وهى تستطيع تكون متألمة فترق لها القلوب، وتنحى عليك باللائمة وتقضى فى قضيتها عليك!

* * *

العلة السادسة الجمال الزائل : ان الفتاة الشابة الفاتنة ، الساحرة بعينيها ووجنتيها ، ممشوقة القد ، مفتولة السواعد ، طويلة الرقبة، حمرة العذار — هذه الفتاة تنظر اليها فتشعر بسيطرتها عليك ، وترضى ان تسلم في نفسك لتكون فى يدها، وتقبل ان تركع تحت قدميها. وتتخدر بملامسة أطراف بنانها الناعم ، وتحيا بمساندة خدها وضم صدرها . هذه الفتاة التى لعبت بعقلك ، وشغلت فكرك ، وصدمتك فى الحياة كلها ،

وحصرتك بين دائرتها وأدخلتك فى مملكتها فلم تعد ترى أملاً ، أو حياة ، أو روحاً ، او حاضراً او مستقبلاً ، او جمالاً ، أو حباً ، او رضاء ، او سعادة ، إلاّ فى كنفها ، والى صدرها ، وفى صوتها — هذه الفتاة لا تحفظ لمدة طويلة كل ما حسبته من صفات ساحرة . وهى لا تحفظها إما لأنك وقعت تحت سلطان الوهم ولم تجد من ارادتك وصلابتك وتجاربك ما يدفع الوهم عنـك . وإما لأن الجمال زائل ليس مستقراً طول السنين ككل شىء فى هذه الحياة لا يبقى على حال .

فاذا زال الجمال من نظرك او زال فى الحقيقة منها تكونت لك افكار أخرى . وبدأت تشـعر بخطأ ثم بضيق ، ثم قد لا تلبث ان تصارح بالعداء . كما أنك قد تلجأ إلى الخارج للاستمتاع بجمال رخو جديد لم يمسسه بشر ولم يزل بعد جامعاً لأسباب الغواية

اذا كنت زوجاً واذا رزئت بأولاد وكنت مفدوحاً بالتكاليف ومثقلاً بالمتاعب — فحديثك حديث الأسى والالم . فقد احببت بالأمس حتى ملكت المحبوب او ملكك وادخلك فى ملكه وانت سعيد بهذا الاسار . اما اليوم فأنت مسجون محكوم عليه بالسجن الابدى . ولست تجد فكاكاً .

من اجل ذلك لم يكن ازواج المبنى على ذلك الحب الخيـالى بالحادث الاجتماعى الموفق لانه مبنى على غيبة عقل ، ومؤسس على وهم فمتى ارتفعت الغيبوبة وانقشع الوهم — عاد الانسان الى تفكيره

العادى . ذلك التفكير الذى يتطور مع الحوادث . والذى يسمو ويهبط ، ويسر ويألم ، ويهدأ ويثور .

* * *

العلة السابعة الاولاد . الغرض من الزواج فى الاصل هو حفظ الحياة . فاذا لم يكن الزواج يحدث ان الحياة تنتهى مسرعة . ولا بد اذن من النسل البشرى حتى تحفظ الحيـاة ، ثم حتى تنمو . وكثرة العدد هذه غاية ترمى اليها جميع الامم ، وتهتم لها كل الاهتمام . وقد حدثنى احد كبار ساسة الامريكيين بأن مصر لا بد ان تستقل مادام عدد سكانها فى ازدياد . قياساً على ما كان من امر زيادة السكان فى امريكا بأن دفعهم الى الاستقلال ، ويتخذ عدد السكان دليلا على الحضارة والصحة العمومية ، والامن .

والمشهور عن الالمانيين انهم يهتمون جداً بكثرة النسل ويعملون عليه ويبنون تفوقهم فى المستقبل على النمو فيه ، كذلك كان العرب . ومن اجل ذلك ابيح تعدد . الزوجات ليكثر عدد المسلمين .

غير انه ان كان مطلوباً فى الماضى وفى الحاضر زيادة عدد السكان لمـا تقدم من الاسباب فان ذلك ، فيما اظن ، لم يبق المطلب المحبوب .

فقد انتجت زيادة عدد السكان مشكلة اجتماعية ، ادت الى حروب لايجاد منافذ للهجرة ؛وادت الى ارتكاب الجرائم ،والمنازعات الداخلية ، وتقهقر الحالة الصحية ، وسوء المواد الغذائية ، والى الغلاء الفاحش ، والاجر الزهيد ، والبطالة ، والاستعمار .

ولا شك ان ما قلناه عن نفقات معيشة الاسرة يظهر واضحاًتمام الوضوح امام النســل الكثير . غير اننا اذا افترضنا ان الابوين من طبقة الاغنياء الذين لا يحسبون للنفقات الكثيرة حساباًفيبقى ان الحمل يضعف تلك المرأة الغنية ، وان عبئاً ثقيلاً يقع على عاتق الابوين فى تربية أولادهما خير تربيــة ، متحملين آلامهم ، مثقلين بألم الشفقة والحنان . وما هذا بالامر اليسير . ان الابوين بعد اضطرارهما لكفالة أبناء – تتحول آمالها وحركاتهما الى خدمة اولادهما . وليس الاولاد فى الحقيقة شيئاً آخر غير نذير فناء الابوين . فالقوة التى يستخدمها الابوان تنتهى الى ذلك النسل.وبينما ينمو ويقوى ويشتد اذا بالابوين ينقصان ويضعفان حتى يفارقا الحياة . وكأن وظيفتهما انما هى مجرد اخراج هذا النسل من صلبهما ثم الفناء الابدى ! .

والرجل الحديث يفهم هــذا ويذكره . والمرأة الحديثة تفهمه وتذكره . وماذا تكون نتيجة الفهم والذكر ؟ ان اجاب الرجل والمرأة نداء الحياة الاجتماعيةوالحياة الطبيعية ،والحياتان تدعوان الى الزواج، فقد انتهى مصيرهما إلى حيث كانت مصائر السابقين . وان هما ارادا

ان يطبقا مضمون الفهم والذكر فانهماسيجنحان الى العزوبة ، لكيلا يتحملا تلك الاعباء التى لامصلحة لهما فيهما . .

* * *

العلة الثامنة الاستقلال . أينما سرنا نسمع أنشودة الاستقلال . فالرجل يريد أن يكون مستقلاً . يتجه الى أن يعيش منفرداً . والمرأة الحديثة تطلب هذا الاستقلال . وهي تطلبه بحق ارتفاعها الى درجة الرجل فى الكفاية . ولدخولها ميادين الحياة العلمية والصناعية والفنية. فهى تشتغل كطبيبة وتحترف بالتجارة .وتشتغل فى المصانع والمعامل . وتمتهن بالمحاماة . وتراها موظفة وعاكفة على أدوات الكيميا والطبيعة . ورحالة . ومؤرخة . ومؤلفة . وهى تلقى محاضرات . وتخطب المجامع . وقد بلغت درجة الأستاذية . وتشاهدها تدرس فى المدارس . وليست بمدارس البنات وحدها . بل فى الجامعات والكليات . لها مقام . ولها ذكر . وتجلس فى منصة القضاء فى فنلندا ، ولها صوت كنائبة . فضلاً عن اشتغالها بالغناء والتمثيل والرقص وكونها محلاً للهو والضلال الجنسى . وشأنها الاخير ليس جديداً بل هو قديم جداً . انما نذكره هنا ونحن في معرض سرد المهن التى تمتهن بها المرأة وتكسب منها عيشها . وترفع من أجلها. وتصيب ثراء بعيداً .

والمرأة الحديثة – بسبب كل هذا – تميل الى الاستقلال . وقد كان همها بالأمس فى ارضاء الرجل، وفرحها بتبعيتها له . وسعيها الى

عبوديتها مبعثه حاجتها اليه فى كفاية همها من ناحية المعيشة . وصاحب
الحاجة يلتمسها من كل الوجوه ، ويسعى اليها بمختلف الوسائل. وتوجه
همامة المرأة الى إصابة هذه المرامى يصرفها بلا شك عن التماس صديق
أو شريك يكون تمثالها ومعبودها . ولذلك فهى ، وان شعرت
بغريزتها الاولى أو بسابق تاريخها بجعل الزواج مصيرها المحتوم ،
لا ترضى بالاندفاع فيه . فهى تفكر . وتفكر كثيراً . وهي لا تغتر
بزيف الكلم ، ومزوق القول ، ومزين الوعود ، وبرق العهود .
ولكنها تحلل الرجل ، وتستقصى ماضيه ، وتستبين حاضره وتسترشد
بهما عن مستقبله . ويعجبها النجاح ، والجهد ، والصبر ، والعقل الراجح ،
واللسن الفصيح اكثر مما يرضيها جمال الوجه وبرق العينين ، واستقامة
العود ، وصبابة النفس . ولا أقول إن المرأة الحديثة قد تركت كل
هذه المحاسن البدنية وقصرت عقليتها على المكانة الأدبية للرجل .
ولكننى أقول ان المرأة الحديثه ، بعد ان تذوقت جمال الحياة الادبية
وأصبح عنايتهما بها يفوق عنايتها بزيها وزينتها ، أصبحت تقدر
الرجل من وجهة أخرى . على أن هذا أمر غير متفق عليه فى مجموع
المرأة الحديثة . فهى لم تزل ذات فرق .

وقد كان من نتائج تلك الحال أن وجدت فى المرأة الحديثة
رغبة تأجيل الزواج أو حذفه من حسابها . نعم ان هذا المبدأ لم يزل
فى باكورته . ولم يزل عدد النسوة اللواتى يزهدن فى الزواج قليلاً .

وأن المرأة العـاملة ما زالت تتمنى أن تترك عملها لتضم إلى شريك يحمل عنها عبء الحياة ، ويداعبها ، ويسليها . الا أن الشعور بالاستقلال ، الذى مظهره تأجيل الزواج أو إهماله نهائياً ، هو الشعور الذى ينمو ويقوى بين النساء .

ولاشك أن شعور الرجل بأفضلية الاستقلال . وشعور المرأة أيضاً به . علة من علل العزوبة .

* * *

تكلم كثيرون–مقارنين. فى حياتين حياة الزوجية. وحياة العزوبة. وأنا أقول ان المسألة ، فى الواقع ، ليست مسألة تفضيل . وانما كان الحادث الاجتماعى فيما مضى هو حادث الزواج . ويكون الحادث الاجتماعى متطوراً الى ناحية العزوبة . ومع الميل الى التطور الى هذه الناحية فالظاهر ان الحياة الطبيعية نفسها هى المتغلبة على هذا الميل . لان صفة الانانيـة تدفع بالرجل الى احتكار المرأة بكل الوسائل . ومعنى الاحتكار أن يفوز بهـا دون شريك ، وانه يتمكن من انفاذ هذا الاحتكار بوسائل قانونيـة . ولا شك انه ، الى اليوم ، لم توجد وسيلة قانونية للمحافظة على هذا الاحتكار غير عقد الزواج . أما فوائد العزوبة ومضارها، ومزايا الزواج وسيئاته–فهو بحث نتركه للقارىء بعد أن أوضحنا له عناصر الحياتين والتطور الاجتماعى عنهما أو اليهما .

الفصل السادس عشر

بمن نتزوج ؟

انا بين أن نقرر الزواج أو نميل عنهُ الى العزوبة . فأذا قررنا الزواج يبقى كيف نختار الزوجة .

لست من القائلين أن يبدأ الرجل باشتراط الشروط فى المرأة التى يريدها زوجة . ولكنى أرى انه خير للرجل أن يشترط شروطاً على نفسه قبل شروعه فى الزواج . وقد أتيت فى الفصل السابق على العلل التي تدعو الى تأجيل الزواج أو تركه بتاتاً على اعتبار انها تدعو الى ذلك سواء اكان الرجل غنياً أم فقيراً . لأن كلامى يروى مسألة عامة ولا يحدث عن طبقة معينة من طبقات الرجال .

يجب على الرجل أن يكون قادراً على الكسب إلى الحد العادى على الاقل . ولا يمكننى أن أقدر هــذا الحد بأقل من خمسة عشرة جنيهات فى الشهر بالنسبة للعامل الصغير . حقيقة ان العامل الصغير لا يكسب فى الغالب مقــدار هذا الأجر . ولكننى أنتظر منه أن يشتغل مدة عشر سنوات حتى يصل الى هذا الحد . وهو قد يصل الى اكثر منه بكثير .

فوق انني انتظر منه أن يكون فى صباه وفى مدة عمله مستقيماً مدخراً مكسبه القليل . وإنى لا فترض فى العامل أن يكون قد تعلم مبادىء العلوم ، وعرف كثيراً من حقائق الحياة . وعلى كل حال فمثل هذا الشرط بديهى فى الحياة الجديدة العصرية . كذلك من ناحية السن يجب أن لا يقل سن طالب الزواج عن خمسة وعشرين سنة إذ فيما قبل هذا السن يكون الشاب قاصراً عن معرفة كثير من حقائق الحياة فحتى لو كان كفواً للزواج من النواحى المالية والعلمية والصحية ـ فأنه لا يكون بعد مقدراً لعمليات الحياة الزوجية تمام التقدير . ومن بعد الخامسة والعشرين يكون الخيال والوهم والحلم والباطل والزخرف هذه العوامل التى تسيطر على عقل الفتى - قد تقضت مع الحداثة أو على وشك الفناء . وتبدأ العوامل الجديدة ، عوامل الحقائق ، ومصارع الحياة العملية .

وأيضاً يجب على طالب الزواج أن يتأكد من سلامة أعضائه ، وصحة بدنه . وان يعلم انه مقبل على عراك شديد يحتاج الى القوة والصحة القوية .

وبجانب شروط المال والعلم والسن والصحة يوجد شرط خاص هو شرط العفاف عن مجاراة الشيطان فى العلاقات غير الشرعية . ويعتقد أنه بالزواج قد دخل مملكة أخرى غير ذلك الجو الطليق الذى عرفه في شبابه ، وانه يرى فى الحياة الزوجية حياة خيراً من الحياة السابقة

فأذا توافرت هذه الشروط في طالب الزواج صح له أن يبحث عن المرأة التي تناسب درجته من المال والعلم والسن .

للناس في اختيار الزوجة مذاهب .

وقد كان أول مذهب هو اختيار الزوجه الجميلة : والجمال في الشرق طول معتدل ، وقد ممشوق ، وعينان واسعتان سوداوان ، وأنف صغير ، وفم صغير ، وبياض بشرة ، وحمرة وجنتين ، ورقبة طويلة ، ووجه مستدير ، وشعر اصفر ، وكف صغير ، وذؤابة مجدولة ، وبنان ناعم ، وقدم صغير .

على ان وصف جمال المرأة يختلف في كل الامم . كما يختلف في فرد وفرد ، وعند فرد بالنسبة الى فرد .

ومن الجمال صغر السن ، والبكارة ، وتناسق الاعضاء ، ووضح الجبين ، ورقة الشعر الزغبي وما زالت المرأة الجميلة مطمح الأنظار ، ومحل التنافس والاكبار .

ولكن الحياة المادية التي تعيشها أثر على جمال المرأة أيضاً من ناحية الرغبة فيها — من أجل الزواج — لا من أجل الاستمتاع . فأصبحت المرأة ترغب لمالها اكثر من أن ترغب لجمالها . وقد أصبح للمال جمال يفوق جمال البدن . والسعيد من فاز بزواجه من امرأة غنية . على أنه لا مانع يمنع من أن تكون المرأة جميلة وغنية . وجمال البدن الغزير يوجد في نساء الطبقة الارستقراطية اكثر مما يوجد في

الطبقة الفقيرة . وللمرأة جمال صناعى وهو الجمال الذى يتكون من الاصباغ، والعطور،والعقاقير،والأزياء الحديثة.وخفة الحركة،والرقص ، والعزف على البيانو والآلات الموسيقية . والمرأة الغنية تستطيع ، بطبيعة الحال ، أن تكوّن هذا الجمال الصناعى ، اذا خلت من الجمال الطبيعى ، وأن تضمه الى جمالها الطبيعى اذا كانت حاصلة عليه .

لست تستطيع أن تنكر على رجل يسعه أن يكسب امرأة جميلة، أو يظفر بامرأة غنية . فالجمال محبوب . والمال مطلوب . انما من جهة أخرى ليس الحصول على أحدهما أو كليهما ميسراً لكل انسان . واذا كان ميسراً فيجب على طالب الزواج أن يتساءل عما اذا كان فى استطاعته أن يتأكد من أن يستمتع بالجمال أو بالمال . أم أنه لا يريد أن يفكر فيما بعد الحصول على مرغوبه .

والعاقل من فكر ، بلا شك ، فيما اذا كان قادراً على الانتفاع من الجمال أو المال . وفيما اذا لم يكن عبداً لهما ، خادماً للمرأة ، خاضعاً ذليلاً ، ربما فى درجة أخذى من درجة الخدم . انما الرجل انسان عاقل قبل كل شىء . والرجل الذى يفقد انسانيته وعقله ليس هو الرجل الذى يشعر بالحياة الانسانية . وليس هو بالرجل الذى يقدر الجمال والمال .

ويجب ان نذكر ما قلته فى الفصل السابق من ان الجمال زائل

وانه اذا زال الجمال ، الذى توجهت الى الزواج بسببه ، فقد تحل النكبة فى الاسرة .

***

أما المال فأمر طلاب الزواج فى شأنه عجيب . لأنهم فى الغالب ينظرون الى المال المتوقع من الميراث لا المال المكسوب فعلاً فى يد المخطوبات . ذلك ان اكثر البنات المرغوب فى الزواج منهن لهن أبوان لم يزالا يدبان على الأرض ، ومصدر الغنى المنسوب اليهن انما يقع للأبوين هذين . فالمسألة انتظار ميراث ترثه هؤلاء البنات

والعادة أن مكانة الفتاة تقدر بمكانة أبويها . ومتى كانت المسألة عندنا مسألة مال فتقدير قيمة الزواج يكون بالحساب المالى . فما يجب تقديمه من الهدايا ، وما يجب دفعه من المهر ، وما يجب احضاره من الجهاز وما يجب انفاقه فى الحياة الزوجية — يقدر بحسب كفاية الأب أو الأم أو الوالدين المالية لا بحسب كفاية طالب الزواج والمتزوج . ومعنى ذلك أن طالب الزواج ثم المتزوج — فى سبيل انتظار مال فى المستقبل لا يدرى متى يحصل عليه فعلاً — يتحمل نفقات ثقيلة جداً .

وفى أى وقت ؟

فى زمن شبابه و باكورة حياته . ونحن فى تكلمنا عن طالب الزواج من الغنية — يغلب أن نقصد به الرجل الفقير أو الميسر الحال لما يقيم له مركزاً أدبياً ظاهراً . وكلاهما رجل يريد أن يظفر بمال لم

يتهيأ له من عمل مثمر ثمراً غزيراً ، أو من تركة يرث فيها ، وهو ، مفتوناً بهذا المال الذى لم يخلق فى الواقع بعد بالنسبة لتلك الزوجة المسماة غنية ، يقدم على هذه التضحية . ولنفرض أنه أصاب المال الذى رمى اليه . أو فى الواقع والحق أن الزوجة ورثت تركة أبيها أو مها بعد عشر سنوات مثلاً — فأرجوك ، يا قارئى ، أن تجرى عملية حسابية تعد فيها النفقات التى تكبدها طالب الغنى من الزوجة من يوم أن « شبك » الى أن مات صهره ، عن الفائدة المئوية المركبة ثم ضع نتيجة العملية . وقارن بين المال الزائد الذى سيصيبه الزوج وبين نتيجة العملية . ثم اعلم ان المال الذى أنفقه الزوج قد تأكد الحصول عليه فعلاً . أما المال الذى يحصل من ميراث الزوجة فهو أمل منشود تحقق فيما بعد .

وليس هذا فقط .

إن المال الذى جد إنما هو ملك للزوجة . ولست تدرى أيها الزوج هل سيسمح لك باستعماله ، وأن تستريح من عملك الشاق ، وأن يوضع ذلك المال فى يدك تصرفه كما تشاء ، مكافأة لك على ما تحملت من تضحية ، وعالجت من صبر ، وكابدت من ضيق ، وطُعنت من وخزات !

وليس هذا فقط .

ألا فلتعلم بأنه عند وراثة ذلك المال قد أدبرت منك صفوة أيام

شبابك ، وبليت بالاولاد تنفق عليهم وتشغل ساعات فراغك بتربيتهم ، والسهر على راحتهم وصحتهم ، وأنه لم يعد فى حسابك أن تستخدم المال فى اقتناء المركبات ، واقامة الولائم ، وسكنى القصور ، والرياضة فى المصايف والبلاد الأجنبية . لأنه قد سلخ من عمرك عهد اللهو والفتوة والأحلام ؛ وأصبح المال غرضاً لأولادك ومن نصيبهم أكثر منه من نصيبك .

وليس هذا فقط .

فانك لا تدرى اذا كان المال الموروث مثقلاً بالديون والرهون

وليس هذا فقط .

فاعلم أنه يغلب أن يتعدد خلفاء المورّث ، وان جزأ ، وقد يكون صغيراً ، من التركة هو الذى يقع من نصيب زوجتك . وأنت عليم بأنك بذلت المهر والنفقة الواسعة بقدر مكانة الاب — مثلاً — المالية . ومثال ذلك انه لو كان ايراد الاب الشهرى يبلغ مائتين من الجنيهات ، فانك تدفع مهراً — اذا كنت مسلماً — أو تستحضر جهازاً — اذا كنت مسيحياً — بنسبة كفاية أب الزوجة المالية وهى المائتان . ان الفتاة لا تستريح إلا اذا عاشت فى نفس درجة المعيشة التى كانت تعيشها فى منزل ابويها . فاذا كان فى ذلك المنزل خدمة كثيرون ، ومركبات ، وأزياء غاليات ، وقصر واسع حديث البناء ، نفيس الرياش،غالى الأثاث .فلن تقدر الزوجة الحياة الزوجية اذا لم تجد

هذه الادوات في بيت زوجها ، بل ترى هذه الحياة الجديدة هبوطاً ونزولاً . هذا فضلاً عن ان تلك الفتــاة بذاتها تحسب حينما تقبل الزواج — أنها مقبلة على حياة أوسع مما هى فيه . انها صغيرة لا تدرى ما اذا كانت النفقات المنزلية تتطلب مائة أو مائتين من الجنيهات ، وماذا يقتضيه اقتناء المركبات والقصور واقامة الولائم .

إن كثيراً من المنازعات الزوجية لينشأ من مثل هــذا الزواج المطلوب لأجل المال من جهة ، والذى تجهل فيه الزوجة حقائق الحياة ، ونفقات المنزل من جهة ثانية . فاذا حدثت المنازعات الكريهة لم يكن ذلك الزواج بالموفق ، ولم توجد تلك السعادة التى نشــدها طالب الزواج ، والتى خالتها المرأة . وانما خلق شر جديد بهذا الاتحاد القانونى بين شخصين جهل كل واحد منهما حقائق الحياة ، ولمسا السعادة فى الخيال والوهم .

وليس هذا فقط .

كيف تهيىء الحاضر ليناسب المستقبل ؟ انمــا المستقبل غيب فانت تطلب المال من ميراث مورّث الزوجة . ولم يصبح ذلك المال ميراثاً ومحل قسمة بين الورثة ، ولم يعلم بعد من هم الورثة ، وما هو عددهم لأن الموت والحياة لا يدعان الامور مستقرة فى قرار ثابت .

وكيف نجعل المستقبل آية للحاضر . ان هــذا يصح فى باب الحدس والتخمين ، فى مجال النظريات . ولــكن —عملاً— لا يأتى

المفروض صورة حقة لما سيكون . ونحن نبنى أعمالنا على تصرفات حاضرة فنكيف المستقبل بحسب ما نرى . وهنالك عناصر لتكوين رأى صائب لم نعرفها ولم تخلق بعد .

ان المال الذى فى ملك أبوى الزوجة تتحكم فى زيادته ونقصانه العوامل التى تتحكم فى كل مال . وكثيراً ما حدث أن المال يضيع فى اسراف ، أو مقامرة ، أو افلاس تجارة ، او تقل أهمية العقارات ، أو يطغى حرب ، أو سيل أو زلزال أو فاجعة ، او غارة أجنبية ؛ أو يسرق في أيدى الابوين وقبل وصوله الى الورثة . والآفات التى تنزل على المال فتنقصه أو تبيده اكثر من ان تذكر .

وهنالك الهبات والوصايا يحررها الأب او الأم لمن يشاء كل منهما . وأعرف شاباً من خيرة الشبان الذين حصلوا على درجات جامعية كبرى ، فوق علم مشهود وخلق محمود ومركز معدود ، تزوج من فتاة جاهلة قبيحة الخلقة طمعاً فى مال أبيها الكثير جداً . وقد عاش معها ثمان سنوات ورزق منها بأولاد .

ثم ماذا ؟

حدث ان تجارة واسعة لوالد الزوجة أصابها الكساد وخفضت أسعارها فى السوق ، وان خسارة كبيرة نزلت به ، وأن ديوناً حلت . فخرج الأب صفر اليدين والجيبين .

وحدث مثل ذلك مع غنى من شيوخ السن أصيب بنظرة

احدى الغانيات . فمال اليها بكليته . ولم يدخر مالا تنال منه كيفما تشاء . ومن غريب الواقعة — اذا صح أن فى الدنيا شيئاً غريباً — أن الشيخ كان تقياً ، مجتهداً ، عفيف اليد واللسان ، نقى الجيب ، وكان يؤثر ، بما خلق الله فيه من حب وعاطفة، اولاده . ولـكن خانه التوفيق فصدف عن الخير ، وجارى المآرب الجنسية مجاراة قضت على المال والـكرامة . ومات منتحراً .

ولا أعدد حوادث نقصان المال وفنائه لأن هذا شيء مألوف .

أما المرأة الغنية فعلا فمبنى الرغبة فى الزواج منها يجب أن تكون بقـدر ما يدركه الرجل من رضائهـا بوضع المال فى يده وما تشعر به نحوه من حب واحترام وثقة . وهو شيء ليس سهل الحصول . إذ المال قوة . والمرأة الغنية تشعر بأنها فى غنى عن الرجل . وقديماً خضعت المرأة للرجل بسبب فقرها . على أنه من مصلحة المرأة ، على اية حال ، أن يكون لديها مال ، حتى تأمن غدرات الزوج والزمان . ولها اليوم كل مجال للحصول على المال ، بغير طريقة الميراث ، التى كانت وحدها سبيل ثراء المرأة ، وقت ان لم تكن قد دخلت ميادين العلم والعمل والسياسة .

* * *

وهناك رغبـة جديدة من مرغبات طالب الزواج فى اختيار الزوجة . ذلك هو التعليم . فقد اصبحت المرأة المتعلمة محلا للاختيار .

وهى اليوم تنافس المرأة الجميلة والمرأة الغنية . والمرأة المتعلمة لها جاذبية أخرى ، ولها حيل ، ولها حديث شيق . وقد استعاضت بالعلم عن المال والجمال شباكا كما تصيد بها الرجال .

ونقصد بالمرأة المتعلمة شيئاً اكثر مما يكون فى الفتيات اللواتى عرفن مبادىء العلوم المدرسية . نعنى بها المرأة التى تشتغل بالطب والمحاماة والتدريس والصحافة . ولها خطابات مشهورة ، ومؤلفات هى مراجع للبحث والاستقراء . ولهـا صوت فى الاجتماع والفلسفة والسياسة والحكم . هى المرأة التى لم تقصر عن شأو الرجل فى شىء مما كان يفخر به عليها .

هذه المرأة اصبحت تشارك الرجل فى عمله ؛ وأصبح الرجل يجد فيها الصديق الحميم . وهى بهذه المشاركة الفعلية قد أوجدت تآلفاً جديداً بين الجنسين . ومهدت لاضعاف الحيوانية الجنسية من أغراض الرجل . ولذلك كان من وراء ذلك أنه قد حدث الأخاء والالفة فى المهنة الواحدة . فطائفة الطب تقوم على الرجال والسيدات . وطائفة المحاماة تقوم على الاساتذة من الجنسين . وكذا التدريس الصحافة والوظائف . وكان من وراء ذلك أن أصبح من المفيد ، ومن الطبيعى أحياناً ، أن يتزوج المحامى من المحامية ؛ والمعلم من المعلمة ، والطبيب من الطبيبة . ولم يخلق هذا التآلف من المهنة في العمل وحدها . وانما وجد فى الدراسة سواء من الزملاء والزميلات فى الجامعة أو من

المدرسين والمدرسات . والمرأة اليوم لا تلقى دروسها على بنات جنسها فقط وانما تلقيها على الطلبة الذكور . وفى امريكا على الخصوص يرتفع مقام المرأة العلمى الى اكبر حد .

ولذلك أنصح لطالبى الزواج ان يختاروا شريكتهم من الزميلات فى المهنة الواحدة . أوصى الفتاة ان تبحث عن زوجها من دائرة مهنتها.

ان الزواج ليس أمره الرغبة الوقتية . وانما يجب ان يبحث فيه للمستقبل ومن يريد ان يتزوج لهذه الساعة فيجب عليه ان لايتزوج .

مزية الزواج تظهر عند المرض والكروب والشيخوخة . والحقيقة ان الشرط الاساسى هو الاخلاص . أما الجمال ؛ والمال ، والعلم فهذه عوارض لها تأثيرها الوقتى أو المبدئى .

ومن وجهة عامة اذا شئت ان تختار امرأة للزواج فواجبك ان تبحث عن التى تصلح ان تكون لك صديقاً مخلصاً ، قبل التى تصلح ان تكون معرضاً للجمال ، أو مصدراً للمال ، وقبل التى تقصد محلا للشهوة .

إن غلاء المعيشة ، وشدة التنافس ، وظلام المستقبل ، ونمو الثقافة العالية ، وكثرة حقائق الحياة ومطالبها - مما يؤدى بنا إلى الاهتمام بالجد والمثمر من الأمور وإلى تقليل التهافت على المآرب الجنسية الحيوانية .

الفصل السابع عشر

الزواج بالاجنبيات

من المسائل التى شغلت البال فى الشرق وفى الغرب أيضاً مسألة الزواج بالاجنبيات . وقد نهض رجال الدين ، وهمّ النساء الوطنيات بالانحاء على الزواج من الأجنبيات .

ولكن هل الزواج من الاجنبيات مضر حقيقة ؟

يجب أن نعلم أن الزواج من الاجنبيات تدعو اليه ظروف قد لا يكون فى المقدور التفادى منها . ولنذكر بعضا من هـذه الظروف على سبيل المثال :

الهجرة للعلم : ينتقل كثير من الشبان الى الخارج طلبا للعلم ؛ لا طلباً للزواج . وقد يكونون أشد الناس سخطاً على الزواج من الاجنبيات ، وقد يكونون آخر الناس اهتماما بالحياة الزوجية كليـة ، ومنهم من يكون معتزما تأجيلها الى ما بعد الفراغ من استكمال دراسته العلمية أو الى ما بعد ذلك بزمان طويل يتجلى فيه مستقبله وتدعم به حياته ويختبر من الامور عظيمها ورزيها .

ولكن ماذا يحدث ؟

يحدث أن الطالب ينزل بفندق أو بأسرة ، أو بالقسم الداخلى

من المدرسة أو بالمنازل المسماة بمنازل الطلبة أو منازل الغرباء . ويحدث أن يجتمع في كثير من المجتمعات ، وكلها في اوروبا غاصة بالآنسات والسيدات ، فيبدأ التعارف على وجه عادي . ولكن بعد ذلك يهيج من الطالب الشعور الجنسي ويتحول إما الى علاقة خفية مع الفتاة التي تطمئن الى جلسته ومصاحبته تستمر أو تنقطع بحسب ظروف كثيرة ، منها خفاؤه في المكان الذى يستطيع أن يزاملها أو سفره أو اشتغاله بأمر آخر أو بفتاة أخرى ؛ أو بهم مالي الى آخر الظروف المتعددة المتنوعة . وإما أن تنمو العلاقات الودية الى درجة قطع الوعود والى درجة أن تبلغ الانانية من الشاب مبلغها فيرسم قاعدة احتكاره بزميلة احتكاراً لا يرى سبيلا اليه والى استدامته الا بعقد الزواج حتى يطمئن اليها اطمئنانا ابديا . اضف الى ما يساعد على ذلك من تصرفات ذات الفتاة بمختلف وسائل المرأة . ينتهى الامر أن يجد الشاب نفسه متزوجاً وهو لم يزل بعد طالباً . ويختم دراسته ويعود بشريكته الأجنبية الى وطنه . وفي كثير من الاحيان او في نصف الاحيان يكون مثل هذا الزواج غير موفق الى الدرجة القصوى ذلك لأن الزواج تم في ظروف ، لو حكم العقل الرصين فيها لنفى الزواج نفياً ؛ وتم بطريقة الدافع الوقتي لا وحى المصلحة الحقيقي . والزواج الذى يتم بهذه الوسيلة لا ندرى كيف نطالب الطالب الشرقي

أن يبتعد عنه. وقد قلنا إنه لم يكن يخطرله ببال فى أول الامر ولم يكن من برنامج أعماله فى اغترابه للدراسة .

***

وظرف ثان من ظروف الزواج من الاجنبيات ذلك فى سفر الاغنياء بقصد امتاع الشهوة فان هؤلاء لا يكون لهم هم إلا أن يبحثوا عن المرأة فى قاعات التمثل ، والمراقص ، وفى خدمة المطاعم والفنادق فى القطارات ، وعلى ظهور السفن . والنسوة الاجنبيات ماهرات فى التسلط على العاطفة الشرقية المتهورة المستعدة من أول الامر إلى قبول الخداع ، وناظرات الى المال بدافع الحياة الأوروبية المادية . فما يلبث ذلك السرى إلاوقد عاد الى بلاده متأبطاً زوجة اجنبية تحسن رطانة الأعاجم . ومثل هؤلاء الاغنياء أبعد الناس عن الاصغاء الى النصح وضرب الأمثال . وهم يعيشون ، بمالهم وميولهم ، فى كرة أرضية أخرى لايفهمون لغة سواد المسكونة الارضية . فنداء التحذير وصوت التنديد والتحقير لا يصلان الى آذانهم بل يذهبان هباء فى فضاء .

***

ودافع ثالث الى الزواج بالأجنبيات لا يكون عن عاطفة وقتية ، ولا يأتى من طغيان المال . ذلك فيمن يتزوجون منهن بدافع ما لهن من جمال ، أو رغبة فى تحسين النسل كما كان يحدث فى مصر فى

الزواج من التركيات ، والالبانيات ، والجركسيات ، والسوريات والقبرصيات . وفيمن يتزوجون من الاجنبيات لموافقة تربيتها لما تلقاه من تربية أجنبية ، ولعدم وجود الفتيات المثقفات ، واللائى يسايرن ميولهم الجديدة ومبادئهم العصرية . وفيمن يتزجون لعقد الصلات بين الامم كالملوك والامراء وعظماء التاريخ ولغايات سياسية أو مالية أو استعمارية أو دينية . وفيمن يتزوجون لأنهم اضطروا للاغتراب عن وطنهم .

فأمثال هذه الزيجات من الاجنبيات ، والباعث فيها العقل ، لا نظن أنها تكون محل طعن ؛ إن لم تكن محل تحريض أو ايجاب لتحقق الفائدة .

والصوت الذى ينادى بالفزع من الزواج من الاجنبيات على اطلاقه دون استثناء هو صوت غير موفق النداء . فقد عرضنا ظروفاً يحدث فيها الزواج من الاجنبية ، لا ينجع فيها حديث ولا يصغى عندها الى نصيحة . وظروفاً يكون فيهـــا العقل نفسه هو القاضى بهذا الزواج .

على أنه عنـــد ما يتسع نطاق الجامعات المصرية ويفد اليها الأجانب سنشهد حتما المصريات يسارعن فى الزواج منهم لمثل الاغراض وفى مثل الظروف التى يتزوج فيها مصرى بأجنبية

أما مزايا الزواج من الوطنيات من ناحية تآلف الزينة والطباع والعواطف الوطنية ، والدينية ، وحسن تأثير ذلك على النسل فهى مزايا غير منكرة ، ونقول ان الاصل والانفع هو الزواج بالوطنيات ، وأن الاستثناء هو الزواج بالاجنبيات .

الفصل الثامن عشر

المناعة الجنسية

يشكو شيوخ الأخلاق الفاضلة ودعاة الآداب اليوم فداحة خطب التجنى عليها ، وفقر النفوس منها . ويجدون ان بنايات الديانات ، وآداب السلوك قد انهارت أمام سيل المدنية العصرية . وهذه الشكوى لا تسمع فى الشرق والبلاد الاسلامية ومصر وحدها حيث فيها شريعة وعادات مناقضة لمثل ما يوجد من ذلك فى البلاد الأوروبية والامريكية . ولكن صوت الشكوى عال أيضاً فى أرقى البيئات الأوروبية . فرجال الدين عندهم والآباء وشيوخ السن لا يفترون يخطبون ويعظون ويكتبون فى شناعة الجناية على الآداب الى مثل ذلك الخطر الوبيل الذى وصلت اليه فى خلاعة ، وعورة ، ومجون ، وفجور .

ليس شىء عنـدهم يسمى سفوراً او حجاباً وليس قبيحاً أن تحادث المرأة الرجل كما تحادث المرأة المرأة وكما يحادث الرجل الرجل . والرقص من عادتهم وحتى من ضرورات الحياة اليومية والمدرسية . انما مع هذا توجد حدود للاختلاط ، ولما نعده فساداً . والقانون

المدنى الفرنسى نفسه مثل واضح على القيود التى تقيد بها حرية المرأة وحقوقها ،وعلى تبعيتها وخضوعها للرجل .انما طغى السيل على الحدود الاجتماعية ، والقيود القانونيـــة . وأطلق الناس أعنتهم للشهوات ، وأفسحوا للضلال الجنسى كل مجال فى غير ما حرج أو كلفة .

وقد أبنا فى فصل سابق العلل التى تضعف من الميل الى الزواج المبكر ، والتى تقضى على نظام الزواج نفسه يوماً فيوماً . وقلنا إن من هذه العلل سهولة إرضاء الشهوات البدنية الوقتية بغير قيد الزواج .

واذا كان انحلال مبدأ الزواج قــد أدى بالناس الى التماس مشتهيات الزواج ومنافعه من غير التقيد بر باطه ومدته ، ومن غير فزع بورطاته وسيئاته — فجدير ، واجدر ، ان لا يقف تفكير الناس عند غاية هذا الحل . فيوسعوا مجال التفكير وينتهوا منه إلى خلق جديد من ملذات الحياة ؛ والنظر الى الطبيعة وما احتوته من جمال ومنازع وآثار بنظرات العقل الحكيم .

ليست السهولة التى يجدها الناس فى ارضاء اغراضهم الجنسية البدنية بخالية من السيئات . إن لها نتائج الضرة كل الضرر . فيجب أن يُعرف ان الاباحة المطلقة كيفما يشاء الانسان وانى يشاء داعية الى الافراط والاسراف . وهذا ما ينال من صحة البدن وكفاية المال الى أسوأ العواقب . ويجب أن يُعـلم أن عدم وجود الرباط الشرعى (الزواج) لا يؤدى الى عدم رباط ما ولا الى حرية مطلقة . وانما

يغلب أن توجد رابطة أخرى غير شرعية · واذا عد لهـا حسنات فلن لها سيئات . وقد أقرت المحاكم نتائج قانونية رتبتها على الرابطة غير الشرعية . فمثلاً كفلت للخليلة تعويضاً عما لحقها من العار ، وأحياناً نفقه على اعتبارات مثل هذا . كما أن توقع الخليلة أن يصرفها خليلها عن نعيم بكلمة منه تخلق فيها صفات المكر والخيانة . وكثيراً ما شوهدت مرتكبة خيانة القتل بالسم او بالرصاص . وكثيراً ما تأدى من لسانها وسوء فعلها شرور خطيرة . وقد روى ان البارون دى فيتاءو فى باريس كان يجاور منزلا به بائعة زهور . وكان البارون عميلا لها وبعد زمن طويل اتخذها خليلة له وبذل لها من ماله وحبه ما أطمعها فيه . وحدث ان ذهب إلى قرية تينى فى جوار مرسيليا ؛ وأن كانت الآنسة (اكتارا) الايطالية نازلة بها مع والدتها طلب للاستشفاء ، وابتعاداً عن ضجيج المـدن ، وصفير السفن . وكان البارون يريد ولداً يخلفه فى لقبه وثروته بعد أن نيف على الاربعين . وكان يريده من كرائم الاسرات فخطب البارون الفتاة (اكتارا) من أشرف الاسرات الايطالية فى جنوا . لكن خليلته الباريسية تبعته الى القرية وعلمت بميوله . وكان ان تربصت له فى الطريق وأطلقت عليه الرصاص من مسدس أسقطه فى الحال قتيلا . ثم لما قدمت الجانيـة الى محكمة الجنايات بمرسيليا ، وهى متلبسة بالجناية

معترفة بها ، قــدم محاميها رسائل متبادلة بين المتهمة والمجنى عليه وفواتير من محال تجارية . فنطق المحلفون ببراءتها .

ومثل هذا كثير . والمطلوب التدليل به هو أن من لم يتقيد برباط الزواج كان فى مهب الريح وكان هدفاً لشر الروابط غير الشرعية .

وهناك شرور أخرى غير ما تقدم . هناك الأمراض السرية التى تفتك بالجسم فتكا ذريعاً .

ولست من القائلين بايجاب الزواج على كل رجل وامرأة . ولكننى من المحذرين من زواج لا تتوافر مدعماته وخصوصاً الدعامة المالية . ومن المنادين بالتأجيل فيــه على الأقل من أجل ان ينضج عقلا الزوج والزوجة وهو مالا أقدره فى الحالة العادية بأقل من خمسة وعشرين سنة . لأن نضوج العقل — والنضوج لا يكون بمجرد القدرة على الفهم وإنما بملامسة الحياة العملية زمناً ما وعرك التجارب المختلفة عركا — هو الذى يكيف الحياة الزوجية اقرب تكييف من وجهة استقراء المستقبل من مقدمات الحاضر .

وكلتى ، فى هذا الفصل ، موجهة الى اولئك الاشخاص الذين من مصلحتهم أو من الواجب عليهم ان لا يتزوجوا مطلقاً . وهم عدد يكثر يوماً فيوماً . أولئك الاشخاص يجب عليهم ان لا يسيئوا استعمال الحرية المطلقة التى منحوها أنفسهم برفضهم قيود الحياة

الزوجية . وأنا أفرضهم من خلاصة الشبيبة المفكرة ، التى يجب عليها أن تستفيد من العلم الذى تلقته فى الجامعات ومن الكتب حتى يكون للعلم ثمرة ؛ وللعمل به أثر .

* * *

جهلة الناس والاشقياء فيهم هم الذين يركزون عقولهم وعواطفهم فى المتاع الجنسى بالمرأة . وقد خلق الله فى الدنيا شهوات كثيرة متنوعة . ليس المتاع الجنسى بالمفرد فيها ؛ ولا هو أيضاً بخيرها . فى الدنيا شهوة الطعام ، وشهوة الملبس الأنيق ، وشهوة الشهرة ، وشهوة اقتناء التحف ،وشهوة العزف على الآلات الموسيقية ، وشهوة المعيشة الخلوية ، وشهوة الصحة ، وشهوة العمل الكثير ، وشهوة الخدمة الوطنية ، وشهوة الرياضات بأنواعها ، وشهوة الاطلاع ، وشهوة التأليف والتحرير ، حتى الألم والسجن شهوة عند بعض الناس . فهل يترك الشاب العاقل المتعلم المفكر كل هذه الشهوات وينساها ولا يحاول ان يرضيها ويسد حاجتها ، ويذكر شهوة واحدة ويركز مجهوده ، وفكره لارضائها ؟ !

على ان التمتع بالمرأة ممكن بغير وقاعها . ممكن بحديثها وحسن رأيها وبهائها في عفاف وطهر .

اذا تابعنا ذلك الضلال الجنسى فلا فائدة — اذن — فى علم أو فى عقل أو فى مدنية .

* * *

يقولون إن من الصحة أن ترضى النزعة الجنسية . وهذا غير صحيح من الوجهة الطبية . وأكابر الاطباء اثبتوا العكس . وقالوا إن المسألة مسألة ارادة . فاذا سلطت الارادة الانسانيــة على شهوات أخرى انصرفت عن تلك الشهوة الجنســية . وهذه الشهوة أقل بلا شك من شهوة الطعام ، ومن شهوة الصحة ، ومن شهوة التنفس ، إذ من المعروف أن الانسان الحى لا يستطيع أن يعيش بغير تنفس وبغير غذاء من المهد الى اللحد . أما الشهوة الجنسية فلا تغمر سنين الحياة كلها . فهى معدومة فى الاطفــال والاحداث ، مخلوقة فى الشباب ، نازلة فى عهد المشيب والشيخوخة . وهى تابعة على كل حال لقوة الجسم . وقوتها هى خلاصة قوة الطعام والغذاء والصحة . ونحن نستخدم قوة أجسامنا للقيام بمطاليب الحياة اليومية والسامية . وكل قوة تستنفد فى غير ذلك تنقص من كفايتنا على تحصيل الفوائد اليومية والامانى الغالية .

وليكن معلوماً أن كل قوة زائدة فى الجسم تتوازن من نفسها مع القوى الحيوية الأخرى . ونحن نحتاج الى قوة لكى نبصر ، وقوة لكى نسمع ، وقوة لكى نتكلم ، وقوة لكى نمشى ، وقوة لكى نفكر ، وقوة لكى نهضم الطعام ، وقوة لكى نستعمل أيدينا ، وقوة لكى نحمل الأثقال. أما القوة التى تكون خطراً على الصحة ببقائها فى الجسم

فهي تخرج من طبعها دون أن نشعر بها . والقوة التي نحاول اخراجها انما هي القوة التي وجودها في الجسم مفيد أو ضروري . وهذا ما أثبتته الفيزيولوجيا والتشريح .

وقد ثبت أن الأعفاء عن الشهوات الجنسية تطول أعمارهم ، وتقل أمراضهم ، ويتمتعون بالحياة تمتعاً صحيحاً ، وتكثر شجاعتهم ، وتصح آراؤهم .

على أن العفاف مطلوب من المتزوجين أيضاً .

ويزعم بعض الناس أن المرأة لا ترهق ولا تتأثر مثل الرجل بداعي طبيعة وظيفتها بالنسبة للرجل . ولكن هذا غير صحيح . فقد ثبت أن المرأة تتأثر ، وتسرع في ذهاب جمالها . ونحن هنا لا نتكلم عن الشاذات من النساء أو المحترفات بالضلال الجنسي ، أو المخفيات عيوبهن بالوسائل الصناعية المختلفة .

وكثير من رجال الدين والفلاسفة وكبار علماء العقل — بالعفاف التام أو المعتدل — أصحاء وطويلو العمر كثيراً ، مع أن غذاءهم خفيف قد لا يسد جوع الطفل الصغير ، ومع كثرة مطالعاتهم وأبحاثهم .

وعندي أن خير شهوة هي شهوة الصحة ، فارادتنا يجب أن تتوجه الى الصحة . وهذا يدعونا ، بلا شك ، إلى العناية بكل ما يحفظها قوية ، ومن أركان قوتها المحافظة على القوة الجنسية .

***

ان الاسراف فى القوة الجنسية يؤثر على المراكز الرئيسية فى الجهاز العصبى ، ويكثر افراز الغــدد الجنسية ، فتهيج الشهوة ، ويضطرب الجسم والعقل ، ويتعرض الجسم الى الضربات العصبية . فيفتقر الدم ، ويختل توازن الجهاز العصبى ، وتضعف قوة الدفاع فى الجسم ضد الجراثيم ، ويتعرض للسل والشلل والجنون .

وقد قال شيوخ الاطباء بما تقدم . فقد ذكر الدكتور (السر جيمس باجيه) طبيب القصر الملكى الامبراطورى بلندن « لا ضرر من العفاف للجسم وللنفس . ونعم هو »

وقال الدكتور (كزافيه فرانكوت) فى تقريره للجمعية العلمية فى سنة ١٩٠٧ «العفاف فى مقدور الانسان .وليس فى الشريعة الالهية التى أوجبته على العازبين ما يناقض قواعد الفيزيولوجيا »

وقال الدكتور (بريه) « عفاف الشبان يقى صحتهم وعقلهم . وقد دلت التجارب على ان ضبط النفس فى الانسان والحيوان عن الشهوات عامل قوى للنماء والصحة » .

وقد قرأت فى بعض الصحف أنه عقد فى بروكسل سنة ١٩٠٢ مؤتمر دولى عام للبحث فى أساليب الوقاية الصحية حضره ١٠٢ من أقطاب الطب من كل أمة فكان قرارهم :

« يجب أن يفهم الشبان بالخصوص – عن العفاف والطهارة –

انهما ليس فقط لا يضران . بل ان هاتين الفضيلتين من أنفع ما يكون للصحة طبياً » .

وأعلنت لجنة العلوم الطبية فى كلية كريستيانيا :

« ان ما روجه البعض وأذاعوه تكراراً من أن عيشة العفاف التام مضرة بالصحة انما هو زعم باطل يهدمه ما تقرره خبرتنا . ونعلن هنا باجماع الآراء وهو اننا لا نعرف حادثاً واحداً من حوادث الامراض أو عاملاً واحداً من عوامل ضعف البنية يصح أن ينسب الى نظام من المعيشة قوامه الطهارة والآداب بكمال معناها »

***

وقد اطلعنا على بحث طبي فى هذا الموضوع لحضرة الفاضل الدكتور شحاته خزام نورده هنا لفائدته فى الموضوع الذى نتكلم فيه الآن : قال :

« الدنس عموماً هو أصل المعاصى وجرثومة الآثام . اذا كان ولا يزال رأس الشر قديماً وحديثاً فهو رزيلة الذكر والانثى . الشيخ والشاب الابيض والاسود الهمجى والمتحضر . الامير والحقير . نقيصة قلّ ما يخلو منها مكان فى هذا المعمور . فهى تحل فى القرى الصغيرة كما تقيم فى المدن والعواصم الكبرى . وتوجد فى أحقر الدور والاكواخ . كما تسكن أشهر النزل وأفخم القصور .

وبالاجمال فهى لسوء الحظ جريمة البشر قاطبــة فى كل زمان وفى كل بيئة .

وكما ان في تأدية وظيفة التناسل المعلومة بحسب القوانين الشرعية والصحية خير جزيل للانسانية بل نعمة كبرى على العالم أجمع لما أودعه فيها البارى عز وجل من أبدع أسرار الحكمة الازلية بقصد تجديد النوع وحفظ كيان الخليقة كذلك انتهاك حرمتهــا المقدسة يجلب على مرتكبيه أشد المحن وأعظم البلايا

العادة السرية المنفردة

ان أول بوادر المخالفة لهذه السنن القويمة هى تلك العادة السرية القبيحة التى تلحظ بالأسف فى زمن الحداثة وبالاكثر فى حدود الشبيبة من النوعين بين من لا خلاق ولا سيما عند ادراكهم سن البلوغ . أى وقت الانتقال النهائى من حال الطفولية الى دور الفتوة

ففى ذلك التطور الدقيق يشاهد عنــد كل من الشاب والفتاة مجموعة تغيرات طبيعية ونفسية تدعو حقاً الى العناية والاهتمام . وأخص هذه الظواهر الفيزيولوجية ازدياد القوى العقلية والجسدية نمواً ونشاطاً بسبب ازدياد المخ ونمو سائر الاعضــاء . ويصحب ذلك بالطبع تأثيرات عدة وأميــال شتى تستهوى بعضهم الى اللذات الشريرة فكراً وفعلاً فينغمسون بها وقد يتمادون فيها الى حد بعيد

أما نتائجها الفيزيولوجية فهى أسوأ ما يكون على صاحبها مغبةً فى الحال والاستقبال . فان الهزة الشهوانيـة العنيفة التى تصيب الجسم عنوة من فعل ذلك التهييج المصطنع تحدث بطبيعتها ارتجاجاً خاصاً فى جوهر المراكز العصبية الرئيسية . ثم لا يلبث هذا الاضطراب النوعى ان يعم بدرجات مختلفة سائر الاجهزة والاعضاء وهكذا الحال فى كل دفعة حيث تتكرر الاضرار وتتفاقم الاخطار .

على أنه ليست الصدمة العصبية وحدها علة ما ينتاب البدن من عديد الأوصاب . بل أن فى سفك ذلك السائل السرى الثمين بمجهود افرازى شاذ وهـدره جرماً ضد الغاية السامية من وظيفتـه الفيزيولوجية لاوفر خسارة على المجموع العضوى بما لا يقاس . ولا عجب فان هذه المادة الجوهرية القيمة مكونة من أفضـل العناصر الحيوية المودعة فى صميم الاقتصادومدخرة فيه لحكمة بالغة وهى إعطاء الحياة ولغرض نبيـل وهو خلق النسل وتجديد النوع باستمرار على نمط قويم . فالعابث بهذه الوديعة الغالية فضلاً عن كونه ينقض بتعمد وسوء نية جل نظام الطبيعة وقانون المجتمع . فهو يهـدم بيده الأثيمة هيكل محبته المقدس عن جهل وغباوة لا مثيل لها .

أجل . انه ليحسب منتحراً ببطء مع تعذيب شديد . بل أفظع من ذلك . انه يعد قاتلاً ومنتحراً معاً .

ولنبدأ بالتأمل في ما يحل به من الوجهة الصحية تدريجاً

إنه بحسب ظروفه الشخصية من حيث البنية والاستعداد الخلقى ودرجة مقاومته للامراض ومقدار انهماكه فى تلك الرذيلة الخ . بنسبة ذلك كله تبدو عليه خفيفةً او ثقيلة دفعة واحدة أو بالتدريج بوادر الاعراض الباتولوجية المتعددة

فيرى اذ ذاك منهوك القوى . هزيل الجسم محدودب الظهر . متوانى الحركة . فاذا تفرسته عن قرب الفيتــه أصفر اللون . شاحب الوجه . مجعــد الخدين . غائر العينين . تخاله شيخاً هرماً وهو لم يزل بعــد فى سن الشباب . واذا أردت اختبار صفاته العقلية . أدركت ما أصابها من الضعف ودواعى الخمول . فهمه بطيء ، وذاكرته سقيمة وارادته متضاءلة حتى العدم .اذ أنه لا يستطيع تصميما جدياً ولاالقيام بأى عمل ايجابى

فان كان طالباً ذهب نشاطه.ووهن بصره.وانطفأ نبراس ذهنه . فأمسى عاجزاً عن مواصلة الدرس وتحصيل المعارف. فسرعان مايهجر العلم و يتبع طرف الغواية وبئس المصير .

وان كان تاجراً أو صانعاً قل اجتهاده . وفترت عزيمته . فاعتراه اليأس ولم يعد يصلح لمزاولة الاعمال أو ادارة الاشغال . فصار عاطلا بل ربما بات متشرداً فيزداد فساده وتتضاعف أمراضه .

وان كان موظفاً انحطت قواه . وجمدت قريحته فسادت عليه الخيبة وتولاه الذهول ثم ساءت صحته وتلقفته العلل والاسقام

على ان كل هذه ليست الا بوادر الشر . فأن لم تتدارك العناية الربانية ذلك المسكين بالاقلاع عن تلك العادة المرزولة وظل منغمساً فى حمأتها فأنه خاسر لا محالة . اذ يصاب حتماً بضعف عصبي أو شلل عام . أو بفقد بصره بنوع أخص فضلاً عن التأثيرات المرضية المتتابعة والتى كثيراً ما تؤدى الى الجنون المطبق أو امراض القلب أو السل الرئوى

ولا يخفى أن هذه الادواء العضالة تنتقل بالوراثة أو العدوى الى النسل البرىء فتجلب على الذرية بأسرها عواقب وخيمة عدة أجيال

ولكم شاهدنا بمزيد الاسف من تلك الحالات المؤلمة أمثلة متعددة بين كثير من خيرة العائلات من أحداث فقدوا جل نضارتهم وشباب أضاعوا باهر مستقبلهم بسبب ما حل بصحة جسمهم من التلف وعقليتهم من البوار

أما النتائج الصحية الاجتماعية لهذه العادات القبيحة فأهمها تحول الشاب المستعبد لها عن الارتباط بقران شرعى كما تقضى بذلك سنن الطبيعة ونواميس العمران وانصرافه الى دواعى الخلاعة ومهاوى الفجور حيث يمضى أفضل شطر من عمره ضالاً تعيساً فهو ليس فقط يجنى على نفسه بحرمانه من التمتع بالمزايا الشريفة التى خصه الله بها . بل يجنى ايضاً على المجتمع بأسره إذ يفقده عائلة قد تولد منها عدة عائلات وهذه تتناسل بدورها وهلم جرا . وأخيراً اذا قربت شمس

حياته للمغيب وفكر في عقد زواج متأخر . أقبل عليه متردداً بعد أن تكون قد ذبلت زهرة صباه . وانطفأ فيه أو كاد اتون ذلك الشباب الغض الذى كان يتقد قوة ونشاطاً فلم يعد ينبعث منه الا شعاع فاتر ضئيل . وهكذا يقضي بقيه أيامه فى اضمحلال جسمى وعقلى حتى اذا رزق أولاداً كانوا بنى ضعف وشيخوخة على كل حال . أو تركهم تربوا يتامى يكتنفهم البؤس وتنتابهم العالل

أشرنا فيما تقدم الى أن تلك العادة السرية المقوتة تلحظ فى الاحداث علاوة على ظهورها فى الشباب . ولربما تستغربون حضراتكم اذا أضفنا الى ذلك بأنها قد تشاهد لسوء الحظ حتى عند الاطفال أنفسهم وان تكن على صور أخرى وأوضاع خاصة . وبيان ذلك أنه توجد بين العائلات فيئة من الخدم الاغبياء العديمى التهذيب قد تعود بعضهم مداعبة الاطفال أو اسكاتهم بواسطة ملامسات قبيحة على سبيل اللهو والمزاح . فمع تكرار هذا الامر مدة من الزمن يصبح كتسلية مألوفة لدى الاطفال بل قد يستحبها احياناً لكثرة تعوده عليها . ثم يتدرج الى أن يباشرها بنفسه ببساطة طبعاً فتصير ملكة عنده دون أن يدرى من أمرها شيئاً . ولكنها بعدئذ تكبر فيه وتنتج نتائجها السيئة البادى وصفها .

وهناك طائفة اخرى من الاسباب الناشئة عن اهمال الوالدين . وهى ان بعض العائلات اعتادوا ترك الاطفال والاحدث من أولادهم

وأقاربهم وأصدقائهم ذكوراً واناثاً يختلون فى اماكن منفردة بقصد اللعب أو تمضية الوقت أو يخرجون معاً للفسحة والتنزه . وأخيراً يعدون للصغار من النوعين سريراً واحداً . ففى تلك الحالات توجد فرص شتى للاختلاط المريب المؤدى غالباً الى سوء المغبة . فمن محادثات بعيده عن الآداب . الى مزاح غير سليم : الى مداعبات أثيمة . وربما الى ملامسات شريرة وهكذا تتأصل فيهم العادات الفاسدة فتوثر فى امزجتهم الغضة وصحتهم عموماً . حتى أنها لتكون من ضمن البواعث القوية فى تبكير الادراك لسن البلوغ قبل الأوان المعتاد . وفى ذلك مضاعفة محسوسة للاضرار الصحية بسبب تعجيل الانهماك فى الشهوات والاسترسال فى مهاوى اللذات وما يتبعها من الاعراض المشؤومة والامراض القتالة .

ولذا فأقدس واجب على الوالدين البررة أن يتنبهوا لهذه الامور الخطيرة فى الوقت المناسب فيحيطوا أولادهم وفلذات اكبادهم بكل ما أوتوا من اهتمام وعناية . وذلك أولاً بمراقبة جماعة الخدم القائمين بشؤون أطفالهم بلا اغفال خشية الوقوع فى المحذورات التى مر بيانها . ثم ملاحظة الاولاد بكل مهارة فى محادثتهم والعابهم وخصوصاً فى علاقتهم بنظرائهم ولا سيما أبان سن البلوغ حيث يكونون اكثر تعرضاً للسقوط فى مهاوى الذلات كما تقدم . وعليه يتحتم السهر على سلوكهم الشخصى داخل العائلة وفى الخارج . ومنعهم منعاً باتاً من

المعاشرات الردية والمجتمعات الفاسدة . مع تزويدهم دائماً بالنصائح الغالية والارشادات الحكيمة وعداً ووعيداً . وتحذيرهم بشدة من الكسل والبطالة اللذين هما من رؤوس المعاصى ومجالب الشرور .

وأخيراً ترويض أجسامهم بالتمرينات البدنية المعقولة ، وافكارهم بالممارسات الادبية المناسبة مع طبعهم بطابع التقوى وحب الفضيلة قولا وعملا بواسطة القدوة الحسنة والمثل الصالح فأن لهما على عقول الناشئة أبلغ تأثير .

* * *

الفسق هو كما سبق البيان اكبر فاحشة تصب من الهموم على رؤوس الافراد بقدر ما تجلب من المصائب على لفيف العائلات . فأنها ليست فقط آفة الصيت والمال ومفسدة الشرف والاخلاق بل هى ايضاً معول الهدم والاتلاف لكل صحة وسلامة . ولو لم يكن فيها سوى نتائج الاضرار الناشئة عن الافراط المضنى لكفى بها طامة وبلاء .

فأن مجرد الاسراف فى الفعل المنكر يورث صاحبه بلا ريب ضعف جميع القوى بسبب تبديده لجرثومة الحياة التى انما هى وديعة غالية يتحتم عليه الاحتفاظ بها لأجل النسل فقط كما تقدم . فاستنفادها بغير حكمة ولا تبصر ليست نتيجته تقصير الأعمار فحسب بل انه يحدث فى الجسم امراضاً ثقيلة وتوالى أعراض مؤلمة لا تنتهى اوزاها إلا تحت اطباق الثرى .

وهنا لا بد من العودة الى تذكير حضراتكم بأن هذه الرزيلة الشنعاء لا تقتصر شرورها على الشبان والشابات أو من هم اكبر منهم فقط .بل بمزيد الأسف نصرح جهاراً أنه أيضاً من جراء اهمال بعض الوالدين أو اولياء الأمور قد تشاهد بين الاحداث والاطفال انفسهم وذلك معظمه بسبب سوء سلوك الخدم والاتباع المتغلغلين بكثرة بين صميم العائلات .

انهم ليس فقط يسممون عقول النشىء البرىء بما يعرضون عليه من انواع الغواية فى اشكال خلابة تارة باحاديث غرامية . وأخرى بصور خليعة بل هم يقودونهم احياناً بانفسهم أو بواسطة آخرين الى محلات اللهو واماكن الموبقات حيث مناظر التهتك بالغـة أقصى درجاتها . واعوان البغى يعملون بكل همـة ونشاط لاصطياد تلك النفوس الساذجة فسرعان ما تقع فى فخاخها وتبقى في حوزتها

أجل أن كثيرين من هؤلاء الخدم والمأجورين هم حقيقة أبالسة الاسر بل وحوش آدمية طالما افسدوا اخلاقاً . وهتكوا اعراضاً . وعبثوا بشرف بنين وبنات . ولا نقول اكثر من ذلك فما خفى كان أعظم .

اننا وايم الحق لنأسف مر الاسف لما نصادفه يومياً فى اختبار مهنتنا من الحوادث المؤلمة بل الشاذة فى فظاعتها عن الحدود المألوفة على انها من ثمار الدنس مباشرة . فكم شاهدنا اطفالا من النوعين

مصابين بامراض مخجلة أو ملطخين بتقرحات زهرية رغما من سلامة اهلهم من تلك الادواء . وكم يشق على الناظر لهؤلاء الصبية الاطهار ان يراهم يقاسون آلاما مبرحة تعذب اجسامهم الرقيقة وتفتت اكباد والديهم حسرة وأسى . وما ذلك الا نتيجة تدنيسهم بواسطة الخدم الساقطين ومن هم على شاكلتهم وماذا يرجى من اولئك الصغار اذا نشأوا فى وسط موبوء بمثل انواع الجرائم المتقدم ذكرها . انهم بهذا الحكم نفسه يشبون على اقبح الخصال بل هم يسيرون الى الفجور لامحالة . وحينئذ يكون مصيرهم الى احد الحالات الآتية وهى مشاهدات واقعية خبرناها بانفسنا مراراً عدة . بل صادفنا لبعضها مئات من الامثلة فى ظروف مختلفة وهى .

١) رأينا بعضهم بسبب زيادة انهماكهم فى الشهوة البهيمية رزئوا بصدمة عصبية ساحقة . اذ صعقوا بالموت فجأة وهم فى وسط المواخير ومواقف الفحشاء . فراحوا ضحية الزنا مأسوفاً عليهم . ونقلت جثثهم البالية من تلك البؤر القذرة الى حيث تشريحها والتمثيل بها .

٢) شاهدنا آخرين قد كانت بوادر علاقاتهم الجنسية الشريرة أن تلوثت اجسامهم بتلك الاعراض الزهرية المضاعفة فاكلت اللحم منهم ولم تبق حتى على العظم . اذ مسخت وجوههم . وشوهت انوفهم . ونخرت اعضائهم وتركتهم بين مخالب الذل والاوجاع يطلبون

الموت ولا يجدونه من هول ما يقاسون . ولقد سمعنا احدهم يصرخ من اعماق فؤاده وهو على فراش المرض .

حيـاتى تعـذيب وموتى راحـة
أين الخلاص من القصاص العادل

٣ – نظرنا غيرهم أيضاً وقد هاموا فى لذاتهم الجامحة ما حلل منها وما حرّم . ثم تمادوا فيهـا الى حد النهم والاغراق فما صحوا الا وقد أضاعوا جلّ قواهم الجسدية والعقليـة معاً . فسطت عليهم عوادى الأمراض العصبية الشديدة من انحطاط كلى أو شلل متنوع أو جنون تام . وأغلبهم أصيبوا بأمراض القلب أو داء السل الرئوى المشؤوم

٤ – كذلك الفينا كثيرين من كهول بل مسنين بعد ان أفنوا زهرة شبابهم فى البغى والهوى عادوا يلتمسون الزواج الشرعى . ولكن وا آسفاه لقـد كان مهرهم لعرائسهم الطاهرة ان أهدوا لهنّ عقب الزفاف مباشرة ذلك السيلان الخبيث أو داء الزهرى المريع

وهنا لا بد من الوقوف لحظة لنتأمل ولو قليـلاً فيما عساه أن يكون من أمر هاتيك الاسر

فماذا نجد : اننا نرى ذلك الزوج المصاب وقد عضه الألم بأنياب حادة فأضنى جسمه وأدمى فؤاده يسيء معاملة قرينته المسكينة علاوة ما بها من هم وتبريح . فكلاهما فى غصـة دائمة تارة لدواعى المرض نفسـه وأخرى بسبب مضاعفاته الاقتصادية المزدوجة ألا وهى قلة

الاكتساب وكثرة النفقات وما تنتجه حتما من تكدير العيش ودوام الشحناء

ثم ماذا نجد . اننا نرى تلك الزوجة الفاضلة التى جنى عليها بعلها فأوقعها فى مخالب الداء . انها بعد ان كانت نقية كالزنبقة سليمة من كل آفة باتت عليلة ذليلة تساورها لاحزان ويكتنفها اليأس . فمن حالات باطنية ،الى عمليات جراحية ،ومن إجهاض خطر ، الى مخاض عسر ، وغير ذلك مما يطول شرحه ، هذا فضلا عن ضيق ذات اليد وما يجره من خصام ، بل رزايا جسام . على أنه فوق ذلك جميعه لو كان الأمر ينتهى عند إصابة الزوج أو الزوجة اوكلاهما فقط دون أن يتعدى المرض الى سواهما لعدت البلوى خاصة وكانت دائرة المصيبة محدودة نوعاً ولكن لخيبة الأمل يرى الواقع أسوأ من ذلك بكثير وهو أن العدوى لا تلبث أن تنتقل من العليل الى السليم بحكم الروابط والاختلاط العائلى سواء من الاب أو الام الى البنين فالبنات أو الاخوة فالاخوات وهكذا تكتسح الجائحة لفيف الاحداث والاطفال المساكين فتمسي الاسرة بأكملها بؤرة أدواء تقشعر منها الابدان

هذا عدا تلوث أصول النسل العتيد بواسطة الانتقال الوراثى من الوالدين الجناة الى الابناء الابرياء . ومن هؤلاء الى صلب الاحفاد بعدهم أيضاً فيخلق ذلك النسل سقيما عقيما منذ تكوينه فى أحشاء الأمهات حتى اذا ما قدرت لبعضه الحياة كانت لشقائه وتعاسة والديه

لما يقاسيه هو من العلل المتنوعة بين حادة ومزمنة وما يتحملونه هم بأسبابه من البلايا والهموم

فهل فكر أولئك الزناة لحظة واحدة فيما تجلبه تلك الارجاس من الويل والمحن سواء عليهم أو على ذويهم بل أولادهم وذريتهم الى عدة أجيال ؟

أليس من الغباوة المطبقة أن يبتاع المرء لذة قصيرة بعذاب طويل ؟ وحلاوة وقتية بمرارة دائمة ؟ بل سروراً وهمياً بأحزان حقيقية تبقى آثارها السيئة عالقة به مدى الدهر ؟ انها لتبدو عاجلاً بلا إمهال . اذ يخر جانبها سريعاً على فراش الألم صريعاً تحت آلة العلاج أو مشرط الجراح ، حيث لا يجدى البكاء ولا قيمة للنواح . . .

ومَن من حضراتكم لا يهوله ذكر هاتيك الفظائع المرضية . فليسأل الاطباء والاخصائيين فى كل فرع عما يشاهدون منها يومياً أو عنها يسمعون . منها ان الملاجىء مكتظة . . . وتلك المستشفيات بضحاياها غاصة . . . ففيها من مختلف المرضى والجرحى والمصابين والمنكوبين ما لا يسعه حصر ، ولا يستقصيه بيان . . . ولا تقل عن كثير من العائلات من سائر الطبقات وما فيها من عوادى الاسقام . بل المصائب العظام . .

واذا استفسرنا كل قلب يدق من أفراد تلك الاسر وجدناه مفعماً بالحوادث الهامة والمؤثرات المؤلمة الشديدة

إذ فيه ما فيه مما لست أذكره فظن سوءاً ولا تسأل عن الخبر

النفيح

والخلاصة مما تقدم هى ما يعلمنا إياه الاختيار الطبي وينحصر فى وجوب ما يأتى :

أولاً — الاهتمام الكلى بأحوال الاطفال الادبية من النوعين سواء من حيث علاقاتهم ببعضهم أو مع الخادمين والخادمات

ثانياً — السهر على الأحداث والفتيات بشأن سلوكهم الشخصى فى العائلة والخارج وعدم السماح باختلاطهم المريب مع بعضهم ، وهذا موكول تقديره للوالدين وأولياء الامور

ثالثاً — منعهم قطعياً من المعاشرات الرديئة والمجتمعات الفاسدة أياً كانت ومهما تكن الظروف . كذلك تحذيرهم بشدة من المطالعات والمناظر الغير أدبية خصوصاً أبان سن البلوغ

رابعاً — زيادة مراقبة الشبان والشابات فى دور الادراك الدقيق وما بعده بكافة الطرق منعاً من سقوطهم فى المهاوى التى مر ذكرها

خامساً — التمسك باهداب العفاف التام فى حالتى العزوبة والزواج ان لم يكن للمحافظة على شريعة الدين والآداب فعلى الاقل خوفاً من الاضرار الصحية البادى وصفها . واتقاء شرورها على الفرد والعائلة

ولا عبرة قط بترهات بعض مشيرى السوء الذين يدعون بلا حياء أن اشباع الشهوة البهيمية ضروري لحفظ الصحة وقوام الحياة أو بعبارة أخرى أن بدون ذلك لا تحفظ صحة ولا تقوم حياة وهو زعم ظاهر البطلان فانه فضلا عن كونه فاسداً من وجهتية الفلسفية والاجتماعية معاً فهو على الاخص خطأ طبي واضح . اذ أنه لا يرتكز على قاعدة فيزيولوجية حقة . ولا غروفان الغاية الوحيدة من الوظيفة التناسلية وما يدل عليها اسمها نفسه انما هى اعطاء جرثومة الحياة ومادتها بقصد تجديد النوع واستبقاء النسل وليس المحافظة على كيان الشخص نفسه أو خدمته الذاتية كما هو شأن بقية الاعضاء وأجهزة الاقتصاد .

ويمكن ادراك ذلك بقليل من التأمل في أن الذين لا يؤدون هذا الفعل لغير أسباب المرض أى الممسكين عنه بعوامل شتي لم يكن عفافهم هذا ليمنعهم من التمتع بنعمة الحياة كغيرهم . بل انهم يعيشون بصحة وعافية وكثيرون منهم يعمرون طويلا بخلاف جماعة الفاسقين والزناة الذين يندر بينهم من ليس به داء وبيل أو مرض عضال كما سبق البيان

وانني لا اريد الآن الخوض فى هذا الموضوع من حيث وجوه البحث المتعددة بشأنه ولا سيما النظريات الطبية الفيزيولوجية المتعلقة به وذلك بالنسبة لتحديد هذا المقال وضيق دائرة المجال أ هـ .»

الفصل التاسع عشر

البغاء

ظهرت فى الصحف المصرية ضجة حول مسألة البغاء . وسبب اثارتها نهوض الاستاذ الشيخ محمود ابى العيون من علماء الجامع الأزهر بالدعوة الى الغاء البغاء الرسمى بنشر مقالات ثم باحاديث مع وزراء الدولة وبعض العظماء . وقد أظهر هؤلاء استنكارهم وجود البغاء مشرعاً تشريعاً رسمياً فى لائحة العاهرات .

كان لفكرة الغاء البغاء الرسمى ، كما لكل فكرة ، مؤيدون ومعارضون . والمسألة ذات فرعين : الدين والصحة أما الدين وأما كل الأديان فهى فى جانب تحريم البغاء إن رسمياً وإن خفياً . وأما الصحة ففريق يرى فى تشريع البغاء اضراراً بالصحة من حيث خلق بيئة لا عمل لأفراد النساء فيها الا المتاجرة بالأعراض بتعريضها لكل راغب مقابل أجر معين ، ومن حيث ان الرقابة الصحية لا يمكن أن تتناول كل النساء فان كثيراً من غير الرسميات يتسربن الى امكنة الرسميات ؛ كما ان الأمراض السرية أحياناً لا تظهر الا بعد مدة طويلة ، وكما ان الرقابة نفسها عاجزة عن فحص النساء فى كل آن فقد

تصاب امرأة بمرض عقب تقرير طهارتها الصحية فتصيب أول رجل يفد عليها. هذا الى ما يستعمل من رشوة رجال البوليس والاطباء.

وفريق بقــاء البغاء الرسمى يرى أن هجران البغايا إلى منازل المصونات مفسدة لهؤلاء، لما ان البغايا سيحترفن بالبغاء فى خفاء، وان الشبيبة تلتمس بغيتها بالاعتداء على المصونات، وأن الأمراض تنتشر انتشاراً سريعاً فى الاسرات، وأنه قد دل الاختبار فى شبين الـكوم، عند ما ألغيت نقطة البغاء فيها، على أن الأمراض السرية تكثر بالغاء البغاء الرسمى.

* * *

البغاء قديم فى الأمم قــدم الانسان. وهناك علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة فى صفتين صفة المعاشرة الطويلة التى هى درجة تشبه الزواج من حيث الفعل لا من حيث الشكل القانونى وما يترتب عليه من حقوق وواجبات؛ وصنعة الفسق المستور غير محدود بمعاشرة ولا بزمان انما يأتى من آن الى آخر تبعاً للفرص التى تسمح به.

أما البغاء نفسه، رسمياً وغير رسمى، فهو احتراف امرأة ببذل أعضاء جسمها للرجل. فى مقابل أجر معين

البغاء مشكلة اجتماعية خطيرة، وشر وبيل من شرور الدنيا. ولم يفتر رجال الاخلاق والدين، وانصار الفضيلة، والآباء يبحثون

فى حل للخلاص من هـذا الشر . وقد تقلب رأيهم عدة مرات فى بحث هذه المسألة . وصدرت عـدة قوانين ما بين معترفة بالبغاء ومنظمة له ، ومحرمة ، وما بين قوانين تتجاهله إياه .

والعلة الاصلية فى ظهور هذا الصنف من النساء البغايا هو الفقر وعدم امكان الحصول على القوت الضرورى من مهنة شريفة ، لعدم معرفة صناعة من الصناعات .

وتوجد علل أخرى وهى (١) تهور الشعور الجنسى عند المرأة ؛ و (٢) صعوبة الحصول على عمل ، و (٣) وجود عمل ولـكنه شاق وقليل الاجر ، و (٤) وجود ذكور واناث كثيرين مختلطين فى فى بيئة فقيرة ، و (٥) وجود فتيات صغيرات فى معامل واسعة مع فاسدى الاخلاق من العمال ، و (٦) حب محاكاة الاغنياء في الترف والاسراف فى الملذات ، و (٧) انحطاط أدب الـكتابة ، و (٨) وجود أشخاص محترفين بالتحريض على البغاء .

وانجلترا هى البلاد المتمدينة التى ليس فيها تشريع ينظم البغاء ويعترف به . وقد كان بها قانون فى سنة ١٨٦٤ يسمى قانون الوقاية من الأمراض المعدية . ولـكن فى عام ١٨٨٣ قرر مجلس العموم بأغلبية ١٨٢ صوتاً ضد ١١٠ إلغاء الفحص الطبى على النساء وفى المانيا لا يوجد تشريع للبغاء ومع ذلك توجـد بغايا . والبوليس الانجليزى عاجز عن مقاومة البغايا الانجليزيات فى الحدائق العمومية .

(ولا سيما في الهايدبارك) ومحرم قانونًا فى النمسا والمانيا وجود بغايا . ولكن فى النمسا يوجد لوائح بوليس لاتحرم البغاء . وقد بلغ نسبة عدد المرضى بالأمراض الجنسية فى الجيوش الأوروبية على قاعد النسبة الألف كما يأتى فى الجدول الآتى

السنة	المانيا	فرنسا	النمسا	بريطانيا
١٨٧٨	٢٨,٨	٥٧	٦٥,٨	١٤٦,٥
٧	٣٠	٥٧,٨	٦٦,٩	١٥٣,٢
٨	٣٦	٥٩,٧	٧٥,٤	١٧٥,٥
٩	٣٨,٥	٦٣,٧	٨١,٤	١٨٩,٥
١٨٨٠	٣٤,٩	٦٥,٨	٧٥,٧	٢٤٥,٩
١	٣٩,٢	٦٠,٦	٧٩,٠	٢٤٥,٥
٢	٤١	٦٢,٠	٧٣,٧	٢٤٦,٠
٣	٣٨,٢	٥٨,٩	٧٣,٣	٢٦٠,٠
٤	٣٤,٥	٥٢,١	٧٣,٥	٢٧٠,٧
٥	٣٢,٦	٥٠,٧	٦٩,٠	٦٢٧٥,٧
٦	٢٩,٧	٤٩,٦	٦٥,٨	٢٦٧,١
٧	٢٨,٦	٥١,٦	٦٤,٤	٢٥٢,٩
٨	٢٦,٣	٤٦,٧	٦٥,٤	٢٢٤,٥
٩	٢٦,٧	٤٥,٨	٦٥,٣	٢١٢,١
١٩٩٠	٢٦,٧	٤٣,٨	٦٥,٤	٢١٢,٤
١	٢٧,٢	٤٣,٧	٦٣,٧	١٩٧,٤
٢	٢٧,٩	٤٤,٠	٦١,٦	٢٠١,٢
٣		٤٥,٨	٦٤,٥	١٩٤,٦
٤		٤٠,٩	٦٤,٨	١٨٢,٤
١٩٩٥				١٧٣,٨

واذن يكون متوسط نسبة المرض فى الجيوش الاوروبية الى الألف كما يأتى

المانيا	فرنسا	روسيا	النمسا	بريطانيا
٢٧و٢	٤٣و٦	٤٣	٦٣و٥	٢٠٣و٦

وليست منازل البغاء كما هى فى مصر من حيث طريقة ظهورها وخروج النساء فى الشوارع والنوافذ . وفى باريس قصور واسعة مقفلة فضلا عن منازل أنيقة تجمع صنوف الجمال وادوات اللهو. فى حى مونمارتر

وقد كان مظنوناً أن فتح كل أبواب العمل أمام النساء يصرفهن عن البغاء ولكن كثرة الافتتان بالمدنية ، ومحاكاة الاغنياء ، والهجرة الى المدن أبقى على الفريق منهن الذى يحترف بتلك المهنة المخجلة . بل أن المشاهد بعد الحرب وخصوصاً فى بلاد كالنمسا وايطاليا وفرنسا أن عددهن زاد كثيراً عما كان عليه قبل الحرب .

ويظهر أن لا سبيل الى المقاومة بتشريع البغاء أو عدم تشريعه وانكاره وتحريمه ما دام يوجد فى المجتمع فقر ، وشهوات ، وحب للظهور ، وترف ، وفئة من الناس تعيش على التحريض على البغاء . ويمكن أن يقال إن فى القانون المصرى مثالاً من تحريم البغاء وتأثيمه . فقد جاء فى المادة ٢٣٣ من قانون العقوبات الاهلى « كل من تعرض لافساد الاخلاق بتحريضه ، عادة ، الشبان الذين لم يبلغوا سن

الثمانى عشرة سنة كاملة على العجوز والفسق ذكوراً كانوا أو اناثاً أو بمساعدته اياهم على ذلك او تسهيله ذلك لهم يعاقب بالجنس »

* *

والوسيلة التى تعمل هى البحث عن تخفيف ويلاته لا بالقوانين وانما بتوجية المدنية الجديدة الى ناحية أخرى غير ناحية الشهوات المطلقة . واذا كان الانسان قد الغى كلمة المستحيل وابتكر كل فكرة جديدة ، واخترع الآلات المدهشة ، وسير الطبيعة الى وجهاته – فهل يعجز عن القضاء عل ما يسمونه اليوم « مستحيلا » فى باب البغاء إعتماداً على قولهم أنه قديم وطبيعى مع الأمور ؟

الفصل العشرون والأخير

الرقص

الرقص فى اصله طبيعى فى الانسان . ولذلك نجده فى اقدم العصور وفى أحط الشعوب . وهو اهتزاز أعضاء من الجسم . وهذا الاهتزاز من أثر الانفعالات النفسية بالشكر والسرور والقبول . ولكنه تدرج الى أن صار فنًا ذا حركات معينة موزونة، ولعبة من الالعاب الرياضية المطلوبة . وقد كان الانسان يرقص كما كان يغنى . والرقص هو صدى نغمات الصوت .

والرقص ذو انواع تبلغ الألف . والرقص الهمجى لا يتبع حركات معينة وانما هو مجرد تحريك أعضاء الجسى بدون انتظام . وفى أول عصور الامم المتمدنية الأولى كان الرقص محاكاة حركات الحيوانات مثل الثيران والكلاب والذئاب مثل قبائل الأوستياك فى آسيا الشمالية وحركات الرقص نفسها مفيدة كفائدة الرياضة البدنية . وتكون افيد اذا نظمت قواعد الرقص . وتزداد الفائدة اذا وضعت له موسيقى أو غناء . وتعزز تلك الفائدة اذا كان الرقص بين اثنين لأن هذا يساعد على توازن الحركات مع راحة . بدلا من كونه شاقا . والرقص رياضة بدنية تحل محل حمل الاثقال المعروف فى الالعاب الرياضية .

وفرنسا هى مصدر الرقص الحديث . على أن ايطاليا كانت سبقتها منذ القرن الخامس عشر . وفى عصر شارل التاسع فى القرن السادس عشر كان الرقص المعروف هو «الرقص الواطى » على صوت الموسيقى وله مقابل يسمى « الرقص العالى » كان لطوائف الشعب . ورقص (بولكا) فى بوهيميا .

وصنوف الرقص الحديثة هى (فوكس تروت) و (ان ستب) و (تانجو) و (فالس) و (بوستو) و (جافا) و (فالس بوستو). واصل (وان استب) رقص الجندية و (فوكس تروت) هى الصنف الشائع .

والرقص صار اليوم ركناً من أركان المرأة الحديثة . ولا نتكلم عن مفاسد الرقص فكل مجتمع فيه فساد . والرقص يعلم فى المدارس ، ويشرع فى المنازل ، وصالات الرقص العامة ، وفى الفنادق وعلى ظهور السفن ، وفى كل مكان تقريباً . وتوجد حفلات ملكية للرقص تجمع الجمال والزينه والعظمة والنبل بسبب تربية الراقصين والراقصات من الطبقة الاستقراطية .

وما كنا نستطيع ان نغفل الرقص ونحن نحدثك ، أيها القارىء ، عن المرأة الحديثة التى أنت مضطر فى هذه الحياة العصرية أن تسوسها بحسب ما تطورت اليه من شركة فعلية ، وسمو ، ومكانة ، وعظمة ، وسيادة .

فهرس فصول

المرأة الحديثة

الفصل الثالث

الزوجان في الحب

٤٨ — ٦٨

الوقوع في الحب ، تأثيره على الرجال ، تأثيره في النساء ، الفرق بين حب الرجال وحب النساء، لماذا يحب النساء إطالة زمن الخطوبة، لماذا تكون الخطوبة الطويلة مميتة للحب ، النزاع بين العاشقين ، النساء اللواتى يبغضن الرجال حقا أو تصنعا ، النساء المحاربات ، الرجال الذين يخشون النساء .

الفصل الرابع

الحرب الزوجية

٦٩ — ٨٧

الزواج الأمثل ، الزواج كما هو في الغالب ، لماذا يغلب أن تكون حياة الزوجية حالة عراك ؟ رأى المرأة الحديثة فى الزوجية ، جهل الازواج المطبق ، جهل الزوجات المطبق ، هل يمكن اصلاح آلة الزوجية ، الزواج فى الحاضر والمستقبل ، هل النجاح أعظم فى المعاشرة الحرة أم فى الزوجية ؟

الفصل الخامس

العراك في الاسرة

الفصل السادس

النزاع في كسب العيش

الفصل السابع

المعركة السياسية

الفصل الثامن

هل السلام ممكن ؟

الفصل التاسع

كتاب المرأة

الفصل العاشر

صفات الزوجة

الفصل الحادى عشر

اختيار الزوجة خطيبها

الفصل الثانى عشر

مطالب المرأة المصرية

الفصل الثالث عشر

الامانة الزوجية

الفصل الرابع عشر

الزواج والطلاق

الفصل الخامس عشر

هل تتزوج ؟

الفصل السادس عشر

بمن نتزوج ؟

الفصل السابع عشر

الزواج بالاجنبيات

الفصل الثامن عشر

المناعة الجنسية

الفصل التاسع عشر

البغاء

الفصل العشرون

الرقص

٢٥٥ — ٢٥٦

الرقص القديم ، الرقص والموسيقى والغناء ، صنوف الرقص الحديثة ، انتشار الرقص ، الرقص والمرأة الحديثة .



جميع الكتب المذكورة في هذا الملحق من علمية وتاريخية واجتماعية هي من جود الكتب العصرية، ومؤلفوها أشهر كتاب الشرق، ومطبوعة أتقن طبع على حسن ورق ، ومزينة بالصور الجميلة ، ومغلفة بأجمل وأمتن غلاف

يُضاف الى ثمن الكتاب الذي يُطلب ٤ قروش أجرة بريد لبلاد القطر المصري و ١٠ قروش للخارج وهذا المبلغ يكفي لارسال

ما زنته ٥ كيلو جرام . فيحسن بمن يرغب في طلب كتاب واحد أن ينتخب من هذه المجموعة النفيسة بعض كتب أخرى فترسلها كلها معاً ضمن طرد بريد واحد خالصة الاجرة

قيمة الكتب ترسل مقدماً مع الطلب، أو يرسل نصفها ويحول على التكب المرسلة بالباقي .

(القرش المصري يساوي ½ ٢ بنسات انكليزية أو ٥ سنتات أميركانية)

العنوان البريدى — الياس انطون الياس ، صندوق البريد رقم ٩٥٤ — مصر
(Mr. Elias A. Elias, P.O. Box 954, Cairo, (Egypt.)

الدنيا في اميركا

تأليف

حضرة الكاتب العصرى الاستاذ امير بقطر

سكرتير الجامعة الاميركية

(وخريج جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك)

(حائز لدرجة M.A.)

كتاب عظيم محلى بكثير من الصور البديعة يصف لك ما في
اميركا من الغرائب والمدهشات ويطلعك على سر تفوق الاميركان

وقد ذيل اكثر فصوله بزبدة اختبارات الاخصائيين

فيما يتعلق بمصر وسائر الاقطار الشرقية

ثمنه ١٥ قرشاً واجرة البريد ٣ قروش

الحضارات الاولى

تأليف العلامة الحكيم

غوستاف لوبون

لما ألف الدكتور غوستاف لوبون كتابه في حضارات المصريين، والآشوريين والفينيقيين ، والفرس وغيرهم ، وضع له مقدمة هي بالنسبه الى تاريخ الامم القديمة بمنزلة مقدمة ابن خلدون بالنسبة الى تاريخ الامم الاسلاميه ، فأرسل هذا الفيلسوف نظره الثاقب فى تاريخ الحضارات الاولى واستعان على ذلك بسياحاته الكثيرة واستنتج من كل ذلك حقائق في فلسفة التاريخ بناها على قواعد علم النفس وعلى النواميس المقررة في العلوم الكونية ، فأصبح كتابه المرجع في كشف النقاب عن كيفية اشراق شمس الحضارة في شعوب البشر وتدريجها فى سلم الرقى . مطبوع طبعاً نفيساً (فى المطبعة السلفية) في ١٢٧ صفحة كبيرة على ورق صقيل وثمنه ٨ قروش

تاييس

(قصة مزينة بالصور)

تأليف شيخ كتاب العصر أناتول فرانس

وترجمة الاستاذ احمد الصاوى محمد

تاييس — صورة صادقة لمصر القديمة بعلومها وفنونها وفلسفتها وآدابها ، وقصورها ، حقولها، وصحاريها واديانها ،وملاعبها وأديارها ، وعادات أهلها

تاييس — معجزة رائعة لا مثيل لها في الأدب العصري، والفن القصصي . كان ظهورها فوزاً مدهشاً لعظمة الفكر الانسانى

تاييس — قصة حب تملك عليك نفسك ، فتظل تقرأ حتى تنسى نفسك ، ويحملك دعابات أناتول فرانس اللذيذة المشهورة الى عالم كله ضحك ومسرات ، ثم تجعلك تبكي لآلام رجل راح ضحية الدنيا الغرور بعد ان عذبه فكره عذاباً فظيعاً

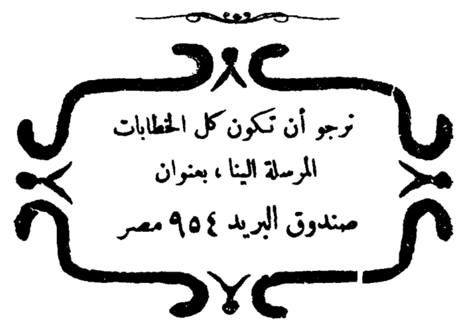
إقرأ تاييس — تجـد الحـكمة والمعرفة والردود الصائبة على الاسئلة التي تخالج نفوس الشباب الفتية الحائرة ، وقلوب أهل الفطنة والذكاء المستيقظة.

ما الحب ؟ ما السكره ؟ ما الحكمة ؟ ما الضلالة ؟ ما المعرفة ؟ ما الجهالة ؟ ما الفلسفة ؟ ما الغباوة ؟ما الوطن ؟ ما الخيانة ؟ ما الشر ؟ ما الدين ؟ ما الكفر ؟ ما الجنة ؟ ما النار ؟ ما الشهوة ؟ ما العفة ؟ ما التلذذ ؟ ما التقشف ؟ ما الحرية ؟ ما العبودية ؟ ما العشق الحلال والعشق الحرام ؟ما فلسفة الفضيلة والرذيلة ؟ما حكاية الارض والسماء ؟

تقرأ في الفصل الثاني « المأدبة» وهي وحدها كتاب جامع فُصّلت آياته للناس . فيه رأي الحكيم ، والفيلسوف ، والكاهن ، والشاعر ، والموظف ، والعاهر . . .

إقرأ تاييس —تاييس تحل لك الغاز الوجود ؟ تاييس تبوح لك باسرار الغرام ! إقرأ قصة تاييس الفاجرة ؟ تاييس الطاهرة ! تاييس البغيّ ! تاييس القديسة !

ثمن النسخة ١٠ قروش والبريد



الزنبقة الحمراء

(قصة مزينة بنحو ثلاثين صورة)

بقلم الكاتب العظيم أناتول فرانس

تعريب الاستاذ احمد الصاوى محمد

مع مقدمة بقلم كاتب الشباب النابه الاستاذ منصور فهمى

عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية

لم ينتشر كتاب فى الحكمة انتشار كتاب « تاييس » كما لم ينتشر كتاب فى الحب انتشار كتاب « الزنبقة الحمراء » ، ويكفى أن تعلم أن الترجمة العربية لهذه القصة منقولة عن الطبعة السابعة والثمانين بعد الاربعمائة !! فتأمل !!

وقديماً وصف «شكسبير» نابغة الدهر الغيرة بأنها : تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء التى تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس ! وقال : أن الرجل الذي يثلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد ، سعيد بجانب ذلك الذي يقضي الدقائق الجهنمية شغفاً ، الآ انه مستريب ، عاشقاً أشد العشق ، ولكن تساوره الشكوك . . .

وحديثا ، بعد ثلثمائة عام ونيف ، جاء أناتول فرانس ، افلاطون العصر ، فحلل الغـيرة في قلب رجل العصر ، الرجل الباريسي ، بأسلوبه الرقيق الجزل البليغ لمداعب الاخاذ بمجامع القلوب .

فلن تجد في هذه القصة عبث اطفال وغرام أيفاع . كلا ! انك ستجد الرجل الغيور المستهام وكيف يتعذب و يعمل على تكوين حزنه وضجره . كما انك ستجد المرأة بكل انوثتها القوية المستكملة لاسلطان عليها الاّ سلطان الهوى - هوى عقلها وفؤادها وجسمها . .

والى غير هذا الغرام والغيرة تجد أحاديث اخرى فيّاضة طليّة طريفة ساحرة . . منها فصل معقود على « نابليون » الذي يراه المؤلف مشهوراً بسرقة علب النشوق المرصّعة من النبلاء !!! ثم حديث «فلورنسا» الجميلة،والفنون الجميلة،والاشتراكية،والزواج. الخ

الزنبقة الحمراء ! انها نداء صارخ عميق الى الحب كأنه هدير البحر ! فترى الحب ، ذلك الطاغية الجبار ، آتياً ملبياً النداء تهتز لهويه الكائنات . . . فيطلع الفجر مبرقعاً بنشوة الحب الاولى . ثم تشتعل ناره و يشتد أواره حتى تأتي الغيرة فترخي بيدها على الغرام ستار ليل الهجر الأبدي . . . فياله من مشهد مهيب ترتعد من هوله الفرائص و يغلب الأسى العيون فتذرف الدمع الهتون ! . . .

الزنبقة الحمراء !انها كتاب الحب ! وهل كتاب الحب الاّ كتاب الحياة ؟ ؟ ؟ — ثمن النسخة ١٥ قرشاً والبريد ٣ قروش

مجموعة مقالات مختارة مما كتبهُ هذا العالم الكبير

عن اناتول فرانس وبيير لوتي وقاسم أمين وجورجي زيدان وغيرهم . ثم رسائل خاصة بمصر ، منها خلاصة كتاب مستر كارتر عن قبر توت عنخ امون ، وقصصاً وأحاديث ، كأبيس وسميراميس وخالد ، وغير ذلك مما يضيق بنا المقام عن الاسهاب في شرحه

ثمن النسخة ١٥ قرشاً واجرة البريد ٣ قروش



وهي مذكرات فلسفية وأخلاقية

على لسان حمار

اذا قرأت هذا الكتاب وأنت على رأى الناس فى قولهم

جاهل كالحمار، بليد كالحمار، عنيد كالحمار، انتهيت منه وأنت على رأي المؤلف تقول: زكي كالحمار، وديع كالحمار، عالم كالحمار

قدّم هذا الكتاب لابنك أو أخيك أو صديقك الصغير فيشكرك ويستفيد

وثمنه ٥ قروش مصرية والبريد

فارس الملك

تأليف

الكاتب الروائي الشهير ميشيل زيفاكو

وترجمة الكاتب البليغ الاستاذ

طانيوس عبده

هذه الرواية لم يسبق طبعها – مترجمة بلغة عذبة، تقع في ٢٣٥ صفحة من القطع الكبير في جزء واحد ومطبوعة على ورق جيد ومغلفة بغلاف جميل وثمنها ١٠ قروش فقط والبريد

أناتول فرانس

في مباذله

تأليف جان جاك بروسون

مع خلاصة كتاب

« محادثات مع أناتول فرانس » لنيقولا سيغور »

وزبدة ما قالتهُ الجرائد الفرنسية فى فرانس يوم وفاته

نقلهُ الى العربية وصدّرهُ بمقدمة وعلق عليه بعض حواش

كاتب الشرق الاكبر صاحب المطوفة

الامير شكيب ارسلان

من اعضاء المجمع العلمي العربى

القاموس العصري

انكليزي وعربي

تأليف

الياس انطون الياس

(الطبعة الثانية منقحة وموضحة بالصور)

ان جميع المعاجم الانكليزية وعربية التي تقدمت « القاموس العصري » لم يضعها مؤلفوها لفائدة طلاب اللغة الانكليزية من الشرقيين، بل وضعوها لطلاب اللغة العربية من المستشرقين، ولذلك تجدهم يأتون بالكلمة الانكليزية فيذكراو أمامها من البيانات ما يفسر اوضاع الترجمة العربية المقابلة لها وكيفية هجائهافي حالاتها المتنوعة ، وجمعها ومفردها ، الى غير ذلك مما لا فائدة منه مطلقاً للطالب الشرقي . وأول معجم وضع خصيصاً للشرقيين هو « القاموس العصري »

ويطول بنا الشرح اذا ذكرنا مميزات هذا المعجم .واننا ننصح

مسارح الأذهان

مجموعة ادبية فنية روائية في حقيقة الحياة

تأليف حضرة الكاتب البليغ

الاستاذ خليل بيدس صاحب مجلة النفائس

هي قصص صغيرة لذيذة مصورة ، جمعت من كل فن وضربت بكل سهم ، في الادب والاجتماع والحب والفلسفة ، في لغة سلسلة هي السحر الحلال ، واسلوب رائق هو الشعور المنثور . . . .

ولا ريب ان الاستاذ بيدس ، صاحب النفائس والمؤلفات العديدة ، قد أثبت بكتابه الجديد « مسارح الأذهان » قدرة فائقة في فن الرواية أو كعباً عالياً في عالم القصص مما يجعله بحق في الصف الاول من كتاب العربية والمتصدين لخدمة الناطقين بالضاد . . . .

ثمنه عشرة قروش والبريد ثلاثة قروش



انكليزي وعربي

عدد صفحاته ٣٢٠ وكلماته ١٨٠٠٠

وثمنه ٢٠ قرشا

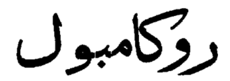


تأليف

الاستاذ فرنسيس ميخائيل

الغرض منه تعليم الطالب مقتطفات من النظام الاجتماعي ليلم بحقوقه وواجباته نحو ابناء وطنه و يقف على القوانين والانظمة التى تجري على بلاده و يطلع على حدود السلطة التنفيذية والقضائية وما يتمشي عليه دستور وطنه — يقع في ٧٠ صفحة

وثمنه ٣ قروش والبريد قرشان



في ١٧ جزء كل منهم روايه جميله كاملة

(الجزء الاول « الارث الخفي » وثمنه ٥ قرشاً)

مختارات

سلامه موسى

ليس بين كتاب مصر الآن من هو أصرح برأيه وأجهر به من الاستاذ سلامه موسى الذى يعرفه جميع قراء الصحف والمجلات فهو كثيراً ما يقتحم الميادين التى تخشى اقتحامها الملائكة ، لا يبالى أن يصرح برأيه فى الدين وفى الاشتراكية وفي المرأة ، وفي مثل هذه الشئون الاجتماعية ، غير متعمد في كل ما يكتبه اظهار براعة أو التباهي بمهارة ، وانما غايته التي لا يحيد عنها هى فائدة القارىء ، وليست هذه بالميزه القليلة القيمة في وقت نرى فيه عدداً غير قليل من كتابنا لا يبغي من وراء كتابته الا أن يقول عنه الناس كما يقولون عن البهلوان « ما أبرعه ! » فى حين كان يجب أن يقولوا «ما أنفعه»

ولسنا نشك فى أننا نخدم جميع قراء العربية بجمع هذه المقالات النفيسة ، وغيرها مما لم ينشر للآن ، حتى يتيسر للجيل الجديد قراءتها والانتفاع بها دون أن يحتاج الى الكد فى البحث عنها فى متفرق المجلات والصحف — ثمنه ١٠ قروش مصرية



هلمّ بنا ندخل في بوابة علم الاجتماع ونكشف اسرار الهيئة الاجتماعية ، تلك الاسرار العجيبة الغريبة

ترى امما عظيمةً راقية متمدّنةً حيوية تضرب فى طول الكرة الارضية وعرضها ، ونرى شعوباً متأخرة خاملة خامدة الحركة ، وترى جماعات همجية متوحشة منحطة جداً — اذا كانت هذه الجماعات كلها ابناء آدم وحواء ، فما سرّ تفاوتها فى الرقيّ؟

ففى « علم الاجتماع » تعلم كيف تكوَّنت الجماعات والشعوب والأمم ، وكيف تنوعت وتفاوتت فى رقيها

ترى جمهوراً متهيجاً متحمساً متهوّساً ، ثم ترى جماعات هادئة عاملة ، ثم ترى أناساً في مجالسهم يتناقشون ويقترعون ويقررون أموراً . ثم تري هيئات نظامية من جمعيات وشركات وحكومات الخ ، فما هو سر التهوس والتناقش والنظام ؟ . ثم ترى ازياء تتعاقب ، وعادات تتوالى ، وتقاليدَ تُتَوارَث ، ورأياً عاماً يسود ، وقوانين تتقرَّر . فكيف تنشأ الازياء والعادات والتقاليد والقوانين ؟

في « علم الاجتماع » ترى العواطف والعقول تتصادم فتثير الجماعات ثم تسكنها ، وتمخض الثورات الفكرية من الانظمة والهيئات ترى اماً ترقى واخرى تنحط ، واماً تنمو وتعظم واماً تتلاشى وتنقرض ، واماً تستعمر وتستعبد واماً تسترق وتعمــل لغيرها . ثم ترى عقولا تخترع وعقولا توسع العرفان والعلم وعقولا تصنع وتعمل . ثم ترى قوات الطبيعة تتساقط تحت قدمي الانسان الواحدة بعد الاخرى وهو يسخرها لخدمته، فيستطيع بها أن ينشر أفكاره في لحظات حول الكرة الأرضية ، وينتقل من مكان الى مكان بأسرع ما يمكن للآن ويغير طبيعة الاقليم بحيث تسهل المعيشة له في كل اقليم بين هجير خط الاستواء وزمهرير القطب . فما هي القوات الاجتماعية التي تقلب سطح الكرة الأرضية رأساً على عقب؟

« علم الاجتماع » يبين لك ان الشهوة الجسدية ، والحب ، والذوق الجميل ، والعواطف ، فعلت كل ذلك، وفي وسعها أن تقول للجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل

« فعلم الاجتماع » هو علم التكون والنشوء ، وعلم العواطف المسيطرة على الهيئة الاجتماعية ، وعلم العقل المدرّب للعواطف ، وعلم الحب والجمال اللذين يرتفعان بالمدنية الى فوق

« علم الاجتماع » هو البوابة التي تدخل منها إلى عالم أسرار

الهيئة الاجتماعية حيث تنكشف لك وترى العجب العجاب . هذا هو العلم الذي بسطه الاستاذ نقولا الحداد الكاتب الاجتماعي المعروف فى هذا الكتاب الذي نحن في صدده ، بسطاً يدع كل قارىء يفهمه بكل سهولة

فهذا الكتاب هو الوحيد فى موضوعه باللغة العربية والمستوفى كل ما يخطر لك بال من هذا القبيل . أفلا تشعر أنه يجب أن تطالعه وأن يكون فى مكتبتك لكي تعود اليه كلما رمت أن تعرف منزلتك فى الجماعة ومنزلة قومك فى الامة ومنزلة أمتك فى المجتمع الانسانى ؟ وما هى وسائل الارتقاء لك ولقومك ولامتك ؟

الكتاب الأول – فى حياة الهيئة الاجتماعية – ٢٥ قرشاً

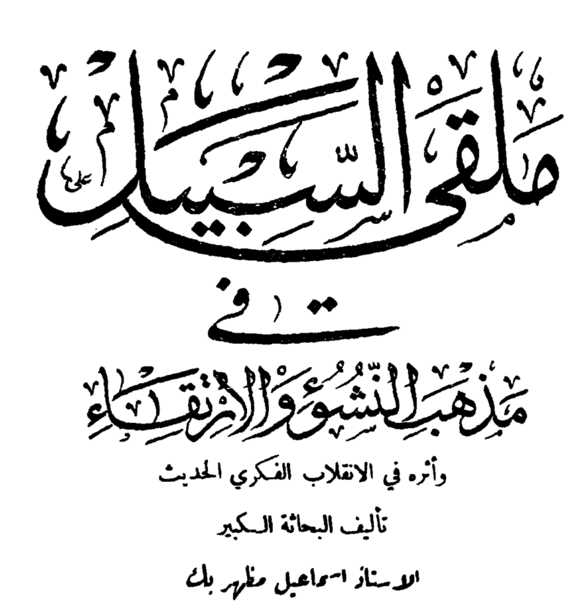
الكتاب الثانى – فى تطور الهيئة الاجتماعية – ٢٥ قرشاً

قاموس الجيب

انكليزى وعربي

عربي وانكليزي

اجابة لطلب وزارة المعارف العمومية قد طبعنا قاموسي الجيب الانكليزي عربي والعربي انكليزي في مجلد واحد وجعلنا ثمنه ٣٥ قرشاً – وقد قررته الوزارة لتلاميذ مدارسها الابتدائية ؟



وأثره في الانقلاب الفكري الحديث

تأليف البحاثة الكبير

الاستاذ اسماعيل مظهر بك

مجلد ضخم يوقفك على حقائق المذهب العظيم ، مذهب العلم الانساني في العصر الحاضر . فهو دعامة كل العلوم الحديثة ، ولا يستغنى عن دراسته مشتغل بالعلم الطبيعي أو الجيولوجيا أو البسيكولوجيا ، (علم النفس) بل هو سنادة علوم اللغات والأثنولوجيا والانثروبولوجيا والنبات والحيوان والاجتماع والحفريات وقدم الانسان وتسلسله من صورة أحط من صورته .

وفضلا عن أن مؤلفه قد بذل أقصى الجهد في شرح المذاهب الحديثة في الجيولوجيا والحفريات والانقلاب الجنيني وقدم الانسان والمذاهب الحديثة في الوراثة وتطبيقها على نظرية الانتخاب الطبيعي، فانه عقد فصلا في تطبيق مذهب النشوء الحديث على الدين والآداب، ولم يغفل نقد رجلين من رجال القرن الماضي هما دكتور شبلي شميل والسيد جمال الدين الافغاني، لما كان لاولهما من الأثر في العمل على إذاعة المذهب منقولا عن بخنر مسمما بالرأي المادي المنكر لوجود الله سبحانه وتعالى، واثبت في فصل ممتع أن الاعتقاد بوجود الله ضرورة أولية للاحتفاظ بألفة العقل الانساني، ولما كان لثانيهما من الأثر في العمل على نقض المذهب قضاء لمعتقده بأن المذهب يفسد من طبيعة الشرقيين اكثر مما يصلح منها، وتناول بالنقد كل القضايا التى تكلم فيها السيد الافغاني في رسالة الرد على الدهريين متوخياً شرح المذاهب الحديثة في العلوم الطبيعية شرحاً وافياً في قالب علمي سلس ولغة واضحة.

اقرأ في كتاب ملقى السبيل

آراء — هيكل وولاس وشميت وبرون وناجيلي وهكسلي في أصل الانواع وأصل الانسان.

وآراء — أثر طمسون وجوهانسن وويزمان ومندل في الوراثة.

وآراء — سنيك وكانت وماتيو أرنولد وكونت واسكندر باين

وادوارد كايرد وهيجل وهكسلي وميل وكارليل ودكتور مارتينو ودكتور بوزانكويت في الدين

وآراء — العلامة بنيامين كيد في وظيفة الدين الاجتماعية

وآراء — الفيلسوف الكبير أوغست كونت في الارادات والاسباب

وآراء — العلامة جون بيتي كروزيار في مذهب كونت واثبات أن الاعتقاد بالله ضرورة أولية للاحتفاظ بألفة العقل الانساني مؤيدة بآراء غاليليو وكپلر وكوپرنيكوس وسبنسر وليبنتز

وآراء — زيللر وهيكل وأوزبورن في قدم فكرة النشوء

وآراء — روبرت ملتاس في تزايد العضويات بنسبة رياضية، وهي التي بنى عليها دروين مذهبه في التناحر على البقاء

وآراء — داروين وكروبوتكين وهوبهوس ووستارمارك ويجهوت وسيمون وهيرنج وصمويل بطلر وفرنسيس داروين في مذهب النشوء ازاء الدين والاداب.

وآراء — روسو وفولتير وجون مورلي ومبادىء ابيقورس وديمقريطس لدى لرد على السيد الافغاني.

وآراء — عمانوئيل كانت واسحاق نيوتن ولابلاس وارسطوطاليس وكاسبار فردريك وولف ولامارك وماليبغي وسيبولد وليونيهويك وهولر وليبنتز وبونيت وفون همبولد ولينيوس وكيسر ميكل وكارل

ارنست ڤون باير و باندر ودولنجر وجورج كوفييه وجوهانس موللر وروبرت ريمارك ووليم هيس وهيكل في الانقلاب الجنيني

وآراء — زينوفون وكوفييه وشارلس ليل وهيويل وجنريل وجنريللي ودسمارست وهاتون وهكسلي وبلا فير وفيتون وسيدويك وبوكاند وكونبيير وهنسلووفون زيتل وجون جود وسكروپ وفون هوف جوتا وبروينار ودوبني في قدم الانواع وعلاقة ذلك بالجيولوجيا

وآراء —كوفيه وأوين وهكسلي وفون ميير وريوتميه ومارش وكوب وأوزبورن وجفروي سانتليير وسيريز وميكل وفريتز موللر وهيكل ودي كاندول وجوتة وأوكن وبووار وأويمان وغوليك في قدم الانواع وعلاقة ذلك بالحفريات .

تقرأ آراء كل هؤلاء الفحول وغيرهم من كبار العلماء قديماً وحديثاً فتخرج بفكرة كاملة في مذهب النشوء الحديث واقفاً على آخر الآراء فيه حتى اواخر الربع الأول من القرن العشرين .

وحباً في تعميم فائدته جعلنا ثمنه ٢٠ قرشاً فقط والبريد ٣ قروش



انجليزى وعربي وبالعكس (تأليف الياس انطون الياس)

وقد قررته وزارة المعارف — وثمنه ٥٠ قرشاً



رواية تاريخية ادبية غرامية

بقلم

طانيوس عبده

بول دي سويف

الفاجرة

ترجمها عن الافرنسية

حضرة الاستاذ توفيق عبد الله



تأليف

الـكاتب الروائي الشهير ميشيل زيفاكو

وترجمة الـكاتب البليغ الاستاذ

طانيوس عبده





مجموعة ممتعة تشمل ٨٠ قصة أدبية غرامية مختلفة المغزى
والاسلوب ومحلاة بكثير من الصور الرمزية ومترجمة بعبارة فصيحة

يتأثر بالعناية الصحية أو بالزينة الصناعية . واذا أردت أن تفهم حقيقة موقفها كفتاة ، وكأم ، وكواحدة حرة طليقة لا تخضع لأنظمة الزواج

اذا أردت أن تعرف كل شيء عن المرأة بصراحة فنية ودقة علمية

فما عليك الا أن تقرأ كتاب « المرأة وفلسفة التناسليات »

يقع هذا الكتاب في نحو ٤٥٠ صفحة ، ومحلى بأكثر من ٥٠ صورة تمثل حياة المرأة فى مختلف الأقطار والعصور (وثمنه عشرون قرشاً فقط)

التربية الاجتماعية

تأليف الاستاذ على فكرى

أمين دار الكتب المصرية

ظهر هذا الكتاب حديثاً وقد جمع من الحقوق والواجبات والآداب الاجتماعية الشرقية ما يعرف به المرء ما له وما عليه ليعيش في راحة بال واسعد حال . وهو أول كتاب فيموضوعه ، وحبا في تعميم فائدته جعلنا ثمنه ١٠ قروش مصرية والبريد

نظرية التطور

وأصل الإنسان

تأليف الكاتب الكبير الاستاذ

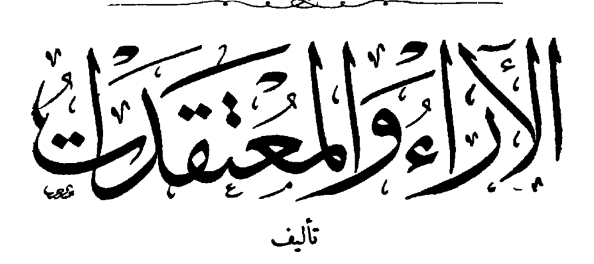
سلامه موسى

ليس بين الالفاظ الآن ما هو اكثر وروداً على اقلام الكتاب والمؤلفين من لفظ « التطور » ولا يمكن قارئاً يحترم نفسه أن يهمل فهم مدلول هذه اللفظة وادراك النظرية التي تقول بها

والتطور ليس نظرية فحسب بل هو نزعة نزعت اليها العلوم والاداب والفلسفة . بل لا يمكن أن نجاري الثقافة الحاضرة ونساير العلماء فى أرائهم ما لم نفهم هذه النظرية ونقتنع بها

ليس في العالم العربي منذ أن مات الدكتور شبلى شميل من يدعو الى هذه النظرية بنشاط وهمة مثل الاستاذ سلامة موسى فهو يكتب عنها بأسلوب مغر ويأتي بأمثلة مألوفة تعين القارىء على فهمها. وقد وضع كتاب « نظريه التطور وأصل الانسان » فى نحو

ثلاثين فصلا يتضمن النصف الاول من الكتاب فصولا عن تطور الاحياء الى ظهور الانسان . والنصف الثاني يحتوى على ١٥ فصلا خاصة بتطور الانسان الجسمي والعقلي والاجتماعي . والكتاب موضح بنحو خمسين صورة فريدة تساعد القارىء على فهم الموضوع



الآراء والمعتقدات

تأليف

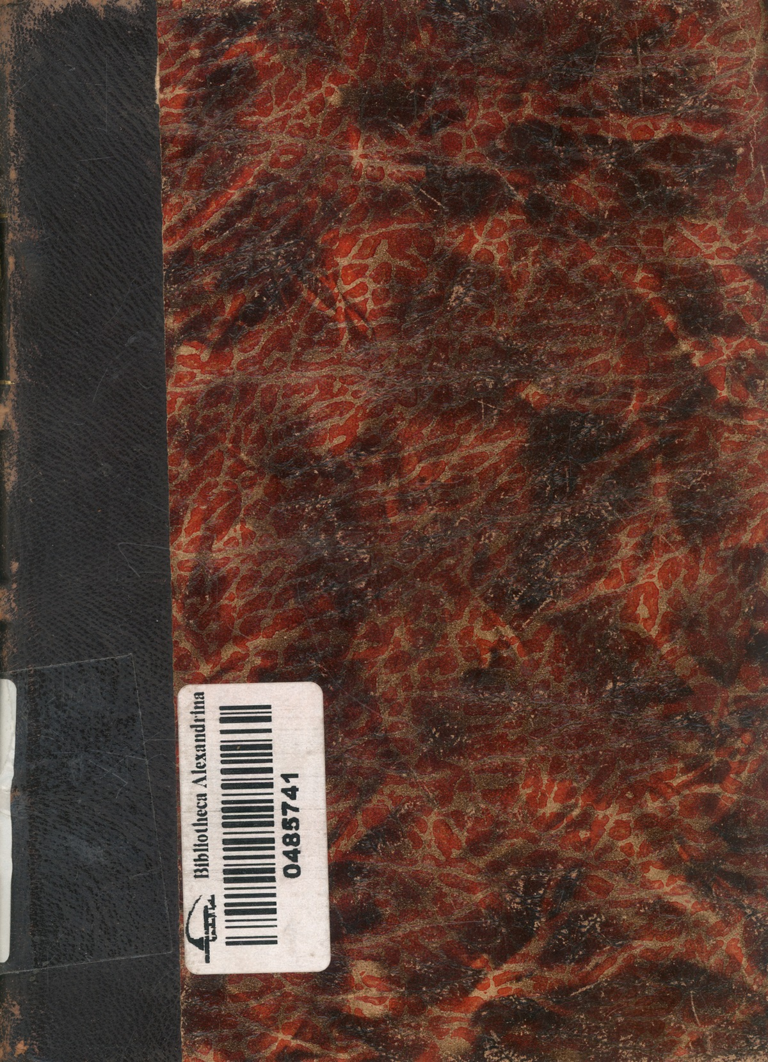
الدكتور غوستاف لوبون

نقله الى العربية الاستاذ

محمد عادل زعيتر

(خريج جامعة باريس)

كتاب اجتماعي يبحث عن مصدر المعتقدات غير العقلي ، وعن العناصر التى تتألف شخصية الانسان من مجموعها ، وعن الارادة غير الشاعرة ، وعما بين المنطق العاطفي والمنطق الديني ومنطق الجموع والمنطق العقلي من عراك ، وعما بين العوامل المتباينة من توازن ، وعن سبب اختلاف الآراء وكيفية انتشارها


Bibliotheca Alexandrina
0485741